سلسلةُ زادِ المُناسَبات

زادُ المُبلغات

الجزءُ الثالث

البحثة والمستشارة التربوية

ثياب سندس

مناسبات شهر ربيع الأول

مركز الإرشاد الأسري/ النجف الأشرف

زادُ المُبلِّغات
الجزء الثالث
(مناسبات شهر ربيع الأول)

كتاب: زاد المُبلِّغات - الجزء الثالث-
تأليف وإعداد: الباحثة مياسة شبع
تصميـــــــــم: كرار الشمخي
النـــــــــاشر:
الطبعـــــــــة:
عدد الصفحـــات: ٢٣١

مركز الإرشاد الأسري / النجف الأشرف
٠٧٨١٥٠٥٤٥٦٤ - ٠٧٨١٥٨٤٠٠٦٠
EMAIL: fgc.najaf@gmail.com
fgc.najaf@outlook.com

الجزء الثالث

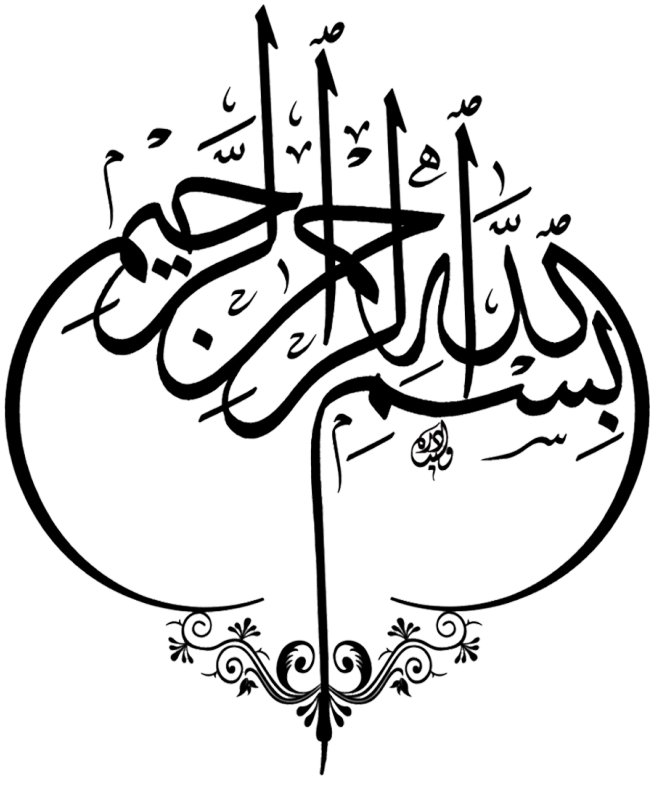
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المقدمة ٦

يوم ١ربيع الأول: هجرة الرسول (ص) إلى المدينة، ومبيت الإمام علي (ع) في فراشه..... ٩

موضوع المحاضرة(١): المحادثة ما بين الجنسين ١١

يوم ٢ ربيع الأول: عودة بنات الرسالة إلى المدينة ٢٦

موضوع المحاضرة(٢): إثبات وجود اللّه-ج٢ ..... ٢٧

أوائل ربيع الأول: شهادة المحسن بن علي وفاطمة عليهما السلام ٤٦

موضوع المحاضرة(٣): مراحل التنشئة الوراثية للطفل ٤٧

يوم ٥ ربيع الأول: وفاة السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليهما السلام..... ٦٤

موضوع المحاضرة(٤): رضا الناس غايةٌ لا تُدرك ٦٦

يوم ٨ ربيع الأول: شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٨٨

موضوع المحاضرة(٥): تساؤلات عن الحقوق الزوجية- ج٢..... ٨٩

يوم ٩ ربيع الأول: فرحة الزهراء عليها السلام..... ١٠٧

موضوع المحاضرة(٦): تتويج الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف..... ١٠٨

يوم ١٠ ربيع الأول: زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خديجة عليها السلام ١٢٤

موضوع المحاضرة(٧): مفاتيح السعادة الزوجية ١٢٥

يوم ١٤ ربيع الأول: هلاك يزيد بن معاوية لعنه اللّه..... ١٤٥

موضوع المحاضرة(٨): التوعية من الشذوذ الجنسي ١٤٦

يوم ١٧ ربيع الأول: ولادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والصادق عليه السلام ١٦٥

موضوع المحاضرة(٩): التوسل بمحمد وآله عليهم السلام ١٦٦

في أيام شهر ربيع الأول: حادثة فدك ١٨٨

موضوع المحاضرة(١٠): حبس حقوق الآخرين ١٩٠

الهوامش ٢٠٦

المقدمة

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين..

تُعَدُّ مهمّة العمل التبليغي من أشرف الأعمال التي تقع على عاتق أهل العلم والإيمان كونها تتّحد في جوهرها وماهيتها مع مهام الأنبياء والرسل والأولياء. وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[1] نجد في كل مناسبة دينية تُستنفر همم الأخوات المبلّغات لأداء واجبهن في نشر العلم والحثّ على العمل الصالح أداءً لهذه المهمّة الرساليّة العالية، وبالأخص ونحن نعيش في زمن تزداد الحاجة فيه إلى التبليغ؛ لأنّ الإعلام المضاد للدين ــ والذي تتحكّم فيه القدرات العالمية، وتُوظّف فيه أحدث الأساليب والطرق ــ قد بلغ أقصى مداه، خاصّة وأنّ الكيان الثقافي الإسلامي معرّض لمخاطر معقّدة وجدّية، وفي المواجهة الراهنة سيحدّد إمّا البقاء بعزّ ورفعة الإسلام والمسلمين أو العيش على هامش الثقافات العالمية المنسوخة، وفي هذا السجال ستقرّر رفعة الإسلام والمسلمين، أو ديمومة الذلّ والانحطاط[2].

وفي إطار مواكبة المبلّغات في عملهن التبليغي الذي يمثل غاية الشرف، وبهدف تأمين مادة ثقافية تُمكّن المبلّغة من الاستفادة منها لإحياء المناسبات الدينية، وحرصاً على إرشاد الفرد والأسرة والمجتمع من النواحي التربوية والاجتماعية والإيمانية؛ عمد مركز الإرشاد الأسري في النجف الأشرف، التابع للعتبة الحسينية المقدسة، إلى تأليف كتاب (زاد المُبلّغات) والذي يقع ضمن سلسلة (زاد المناسبات) في أربعة عشر جزءاً، وكل جزء سنطرح فيه أبرز المناسبات الدينية لكل شهر وفق التاريخ الهجري، والتي سيتم بيانها بمحاضرة أو الإشارة إليها بشكل موجز بعد ربطها بمحاضرة معينة، وعدد مناسبات كل جزء يتراوح ما بين(١٠-١٤) مناسبة دينية. علماً أن الأخوات غير مقيّدات بطرح

المحاضرة لنفس المناسبة المطروحة في الكتاب، بل لهنّ الحرية في ربطها بأي مناسبة دينية أخرى.

ولقد حرصنا على أن تكون مواضيع المحاضرات منتخبة من الواقع الذي تعيشه الأمة (ومقسّمة ومنوّعة حتّى لا تُسبب الملل للمتلقّي، وتكون مناسبة لكافّة شرائح الحاضرات والمتلقّيات، ففي اغلب المجالس تحضر الفتاة الشابّة والمرأة المسنّة، وهناك مَن تحمل شهادة ولديها مستوى ثقافي متوسّط أو عال، وهناك مَن لا تحمل شهادة، ولربما تكون أميّة، فيتوجّب مراعاةً الفوارق الفردية بين صفوف الحاضرات، وهذا ما يُشير إليه النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في قوله: (إنَّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم)[٣]، فمن ذكاء المبلّغة أو الداعية أن تعرف ما تحتاج إليه المتلقّية من أمور دينية وتربوية وغيرها، فلا تنتظر أن تأتي النساء إليها، بل هي التي تقتحم الميادين)[٤]، فالمبلّغ كما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ واصفاً النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (طبيب دوار بطبه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه.. يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمى، وآذان صم، وألسنة بكم.. متتبع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة)[٥].

أي أن المبلّغة كالطبيب الذي يُعطي مريضه جرعة دوائية مناسبة لنوع المرض، فعلى سبيل المثال لو كانت اغلب أمراض النساء هي التبرج والسفور، أو التأثر بالفساد الإعلامي فوجب التركيز على تلك المواضيع أكثر من غيرها. وأيضاً الطبيب الماهر هو الذي يُعطي مريضه جرعة دوائية كافية تفي بالغرض دون زيادة أو نقصان، فإذا زادت المحاضرة ربما تسبّب نفوراً وملالاً، وإذا نقصت فسوف تسبّب سوء فهم، أو عدم اكتمال الصورة المطلوبة في ذهن السامعة، ولقد ارتأينا أن نطرح الحد الأعلى، فكانت مُدّة طرح المحاضرة في هذا الكتاب ما بين (٣٥-٥٠) دقيقة، وللمبلّغة الحرية في إيجازها وانتخاب ما تراه مناسباً.

وختامًا أسأل الله تعالى أن يتقبّل هذا العمل بأحسن قبول وأن ينال رضا قلب صاحب العصر والزمان عج.

١ ربيع الأول

هجرة الرسول (ص) إلى المدينة
ومبيت الإمام علي (ع) في فراشه

المناسبة

هجرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة

ومبيت الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في فراشه

قصيدة «ستشرق أنوار الفجر» للشاعر طريف عثمان

في يوم الهجرة أهديكم ... أشواقا حرى كالجمر
قد هلتَ أنسامٌ نشَوى ... أشواق القلب بها تسري
والكونُ تراقص مبتسما ... والزهر تبسم للزهر
في يوم الهجرة أشواق ... تنبي عن مكنون السر
تنبي عن حب مكنون ... نهر الأشواق به يجري
خطوات خطت أمجادا ... تمتد إلى يوم النشر
خطوات باركها المولى ... غراء تبشر بالنصر
في يوم الهجرة موعظة ... ودروس شعت كالدر
تحكي عن إيمان يسمو ... بالنفس فتغدو في طهر
عن تخطيط عن أفكار ... وحكايا عن صبر مر
تحكي عن نصر موعود ... عن فجر يزهو مفتر
إن طال ظلام الليل بنا ... والتف بنا قيد القهر
فالشمس ستسطع مشرقة ... وستشرق أنوار الفجر

القصيدة للسيد الحميري، إذ قال في شجاعة مَن بات في الفراش:

وسرى بمكة حين بات مبيته ... ومضى بروعة خائف مترقبِ
خير البرية هارباً من شرِّها ... بالليل مكتتماً ولم يستصحبِ
باتوا وباتَ على الفراشِ ملفَّعاً ... فيرون أنّ محمّداً لم يَذهَبِ
حتّى إذا طلع الشميط كأنّه ... في اللّيل صفحة خدِّ أدهم مغربِ
ثاروا لأخذِ أخي الفراش فصادفتْ ... غير الذي طلبت أكفُّ الخيَّبِ

فوقاهُ بادرةَ الحتوفِ بنفسِه ... حذراً عليه من العدوِّ المجلبِ
حتّى تغيَّبَ عنهم في مدخل ... صلى الإله عليه من متغيّبِ
وجزاهُ خير جزاء مرسل أمة ... أدّى رسالته ولم يَتَهَيَّبِ
فتراجعوا لما رأوه وعاينوا ... أسدَ الإله مجالداً في منهبِ (٦)

قال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ شعراً في المناسبة يذكر فيه مبيته على الفراش، ومقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الغار ثلاثاً:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله الخلق إذ مكروا به ... فنجّاه ذو الطول الكريم من المكر
وبات رسول اللّه بالشعب آمناً ... وذلك في حفظ الإله وفي ستر
وبت أراعيهم وهم ينبؤوني ... وقد صبرت نفسي على القتل والأسر
أردت به نصر الإله تبتّلاً ... وأضمرته حتّى أوسد في قبري

المحاضرة الأولى

المحادثة بين الجنسين

روي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْكَلَامَ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ».[٧]

مباحث الرواية العلوية

المبحث الأول: تفسير الحديث

يدعونا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الحديث الشريف إلى التحفّظ الشديد، والتحرز، والتدقيق فيما يجره الكلام من عواقب، وحساب الاحتمالات في ذلك ليتعرف الإنسان على موارد النفع أو الضرر في كلامه [٨].

فقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ «وَاعْلَمْ أَنَّ الْكَلَامَ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ... » فالوثاق -كَسَحَاب -: ما يشد به ويربط ، أَيَ : أنت مالكٌ لكلامك قبل أن يصدر عنك، فأنت قبل الكلام المُسيّطر، إن شئت تكلمت، وإن شئت سكت.. ولكن إذا تكلمت به ذهبت السيطرة منك وصرت مملوكاً له مأخوذاً بما تكلمت به ، فأما نفعك أو ضرك.

فالإنسان مسؤولٌ عن كلمته، لذا عليه أن يفكّر قبل أن يتكلم ليعرف متى وكيف يطلقها، فالكلمة قد تدمر وقد تعمر، وقد تبني وقد تخرب.

إذن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يأمرنا بضبط كلامنا، ومعلوم أن الوسائل المعبّرة عن الكلام تارة تكون عن طريق اللسان، وأخرى بالكتابة، وأخرى بالإشارة، أو الرسوم وهكذا.

وهذه الوسائل كثيرًا ما نراها تُستخدم في مواقع التواصل

الاجتماعي وبالأخص اللسان، فهي إحدى وسائل الإنسان المفصحة عن كنه معدنه وحقيقة أدبه وأخلاقه، وبها تُعرف الرجال، روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: « الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ »[٩].

روي أَنَّهُ جاء رجلٌ إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقال له: « يَا رَسُولَ اللّه أَوْصِنِي، فَقَالَ: احْفَظْ لِسَانَكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللّه أَوْصِنِي، قَالَ: احْفَظْ لِسَانَكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللّه أَوْصِنِي، قَالَ: احْفَظْ لِسَانَكَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟ »[١٠].

المبحث الثاني: حكم المحادثة ما بين الجنسين

لقد ذكر الفقهاء عدة أحكام تتعلق بموضوع المحادثة ما بين المرأة والرجل الأجنبي، ونذكر منها ما وافق آراءهم ومنهم رأي سماحة السيد السيستاني (دام ظله):

١- لا تجوز المحادثة ما بين المرأة والرجل الأجنبيّ، سواءً أكانت مباشرة، أو عبر الهاتف، أو عبر الإنترنت، أو بالمراسلة وما شابه ذلك فيما إذا كانت -المحادثة- مثيرة للشهوة، أو كانت بقصد التلذّذ والريبة، أو مع خوف الافتتان، أو استلزمت الوقوع في الحرام أو المفسدة[١١].

ملاحظة: التلذذ والشهوة يراد بهما التلذذ الجنسي الشهوي، لا مطلق التلذذ، ولو التلذذ الجبلّي للبشر الحاصل من النظر إلى المناظر الجميلة، والمراد بالريبة خوف الافتنان والوقوع في الحرام[١٢].

٢- لا يجوز للمرأة ترقيق الصوت وتحسينه على نحو يكون عادة مهيَّجاً للسامع، وإن كان مَحْرَماً لها، قال تعالى ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[١٣]. [١٤] وبنفس الوقت لا يجوز للرجال الاستماع لصوتها بتلذذ شهوي، سواءً كان مُحَسَّنًا و مُرققًا أم لم يكن كذلك.

٣- يحرم المزاح والمفاكهة مع الرجال الأجانب، روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «.. و من فاكه امرأة لا يملكها حبسه اللّه بكل كلمة كلمها في الدنيا ألف عام». (١٥)

عن أبي بصير، قال: «كنت أُقرئ امرأة، كنت أعلمها القرآن فمازحتها بشيء، فقدمت على أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال لي: أي شيء قلت للمرأة؟ (فغطيت وجهي) فقال: لا تعودن إليها». (١٦)

٤- يحرم ممارسة الحب، أو إظهاره مع الأجنبية سواء في الكلام أو غيره. وإليكم هذه الفتوى وفق رأي سماحة السيد السيستاني (دام ظله):

سؤال: هل يجوز التحدّث مع النساء حديثًا غزليًا دون ريبة أو تلذذ؟

الجواب: لا يجوز على الأحوط. (١٧)

وهناك عدة أسئلة أجاب عنها سماحة السيد السيستاني (دام ظله)، في ضوء متطلبات الحياة العامة، ولكنها متقيدة بالشروط نفسها في عدم التلذذ الشهوي، أو الريبة المحرمة، أو الافتتان، اخترت لكم منها هذا السؤال المرتبط بمواقع التواصل ا لا جتما عي

السؤال: في الآونة الأخيرة ومع التطور التكنولوجي الحاصل في العالم عمومًا، وما نراه نحن في العراق خصوصًا من شبكات التواصل العالمية (من خلال الإنترنت) نودّ أن نطرح على جنابكم الموقر الأسئلة الآتية، التي ابتلينا بها نحن العوائل المسلمة من اتباع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذا وجعلكم اللّه حصنًا منيعًا للإسلام والمسلمين. والأسئلة هي:

١) هل يجوز للمرأة مراسلة أي فرد على الإطلاق، ومن دون علم زوجها أو أبيها، وكذا الحال بالنسبة للأبناء حيث يراسلون الإناث؟
٢) عند طلب الرجل معرفة ما يحصل من مراسلة الزوجة، أو البنت،

أو الابن، أو الأخت، يقولون: (هذا ليس من شأنك، ولا يحق لك الاطّلاع على ذلك؛ لأنه مخالف للخصوصية الشخصية)، فهل هذا صحيح؟
٣) هل يحق للزوج أو الأب محاسبة الزوجة، أو الأولاد إذا استمر التواصل مع الآخرين خصوصًا إذا كان ذلك التواصل مخفي ومثير للريبة، والشك بوجود علاقات غير شرعية، وبتعبير آخر ما هي وظيفة الزوج تجاه زوجته، ووظيفة الأب تجاه ابنته أو ابنه؟

الجواب: بسمه تعالى، لا يجوز للمرأة التواصل مع الرجل بالمراسلة الكتابية، أو الصوتية فيما لا يجوز بالمشافهة بلا فرق، ولا ينبغي لها التصرّف على وجه يثير ريبة زوجها، أو أبيها، بل قد يحرم ذلك في جملة من الموارد كما لو كان التصرّف من قبل الزوجة مريبًا عقلًا، بحيث يعدّ منافيًا لما يلزمها رعايته تجاه زوجها، أو كان التصرف من البنت مما يوجب أذيّة الأب شفقة عليه، وكذلك الحال في الابن بالنسبة إلى أبيه، وإذا توقّف رفع الإشكال على اطّلاع الزوج، أو الوالد على مضمون المراسلات تعيّن ذلك إذا لم يترتب محظور آخر. وعلى العموم فإنّ للزوج والوالد وظيفة في شأن الزوجة والولد، قال اللّه تعالى في سورة التحريم الآية ٦: ﴿ يَا أَيّها الّذينَ آمنوا قُوا أنفسَكُم وأهليكُم ناراً وقُودها الناسُ والحِجَارةُ عليها ملائِكَة غِلاظٌ شِدَادٌ لا يعصُون اللّهَ ما أمَرَهم ويفعلون ما يُؤمرون ﴾. فعلى الزوجة والأولاد أن يكونوا عونًا لهما في القيام بهذه الوظيفة على ما أمر اللّه تعالى به، ولهما في حال عدم الاستجابة لذلك، القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مورده حسب الضوابط الشرعيّة واللّه العاصم.[١٨]

المبحث الثالث: الانضباط في العلاقة بين الجنسين

من المشكلات التي تعاني منها المجتمعات البشرية وجود تطرّف ذات اليمين أو ذات الشمال فيما يتعلق بالعلاقة ما بين الجنسين خارج الإطار الزوجي، فهناك من رأى أن التعاطي والتعامل بين الرجال والنساء خارج الإطار الزوجي المشروع مثار خطر الوقوع في الانحراف والفساد، وأن الحل هو إقامة جدار فاصل بين النساء

والرجال، ويحرم على المرأة مطلقًا التحدّث مع الرجل الأجنبي؛ لأن صوتها عورة، وهذا لا أساس له في الدين، نعم إذا كان في الأمر إثارة للعاطفة والغريزة، فهذا عنوان ثانوي، أما في الأصل فليس هناك مثل هذا الحكم، فالقرآن ينقل لنا مشاهد للتخاطب بين الرجال والنساء الأجنبيات، كما تتضمن السيرة النبوية الشريفة، وسيرة الأئمة والصحابة الكثير من هذه الصور، وهذه الحالة من التشدد تود أن تسجن المرأة في البيت، وكما قال بعضهم: للمرأة خروجان مشروعان من البيت، الخروج الأول من بيت أبيها إلى بيت بعلها عند زواجها، والخروج الثاني من بيت زوجها إلى القبر.

في المقابل هناك تطرف ذات الشمال، يتمثل في الابتذال والميوعة، والاختلاط غير المحتشم والتحدث مع الرجل الأجنبي، رغم ما يترتب عليه من تلذذ وريبة وفتنة، والمتاجرة بأنوثة المرأة ومفاتنها، وهي المشكلة التي تعيشها المجتمعات الغربية، والتي أخذت تنسحب إلى مجتمعاتنا الإسلامية، وهي سبب لويلات ومصائب في المجال الاجتماعي والأخلاقي، والأمني والصحي، فقد أصبحت هذه المجتمعات تعاني من تفكك أسري، وخواء روحي، وتصاعدت فيها أرقام جرائم التحرش الجنسي، والاغتصاب والخطف، وتفشت الأمراض الخطيرة كالإيدز.[١٩]

ولكن الدين الإسلامي هو دين الوسطية، دين بعيد عن التطرّف ولذا لم يُحرّم تحدث المرأة مع الرجل الأجنبي بشكل مطلق؛ لأن المرأة قد تحتاج إلى سؤال رجل الدين، أو الطبيب أو الأستاذ أو غيره، لذا فأئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الوارثون علومهم من جدهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن جبرائيل عن الباري ذكروا في رواياتهم شروطا وضوابط شرعية وجب الالتزام بها قد تم ذكر تفاصيلها في المبحث السابق، ومنها (لا يجوز تحدّث المرأة مع الرجل الأجنبي خوفًا من الوقوع في الحرام، ولو بالانجرار إليه شيئًا فشيئًا).

ومفاد الفتوى المذكورة هو أن جواز التحدث مع الرجل الأجنبي منوط (بإحراز عدم الوقوع في الاستخدام المحرَّم ولو في

مستقبل الأيام، وعليه لو احتمل المكلَّف احتمالًا معتدًا به أنه قد يترتب على التحدث الانجرار إلى المحرَّم فإنَّ هذا الاحتمال كافٍ في تحقُّق موضوع الحرمة للتحدث مع الرجل الأجنبي) [٢٠]

ولتقريب فكرة علّة التحريم لنفترض أن هناك أرضًا فيها حفرة عميقة مسجّرة بالنيران، ويحيط هذه الحفرة منطقة منحدرة بحيث من يقف عليها سوف ينزلق من أعلى المنحدر إلى أسفله لينتهي به الانزلاق إلى الوقوع في الحفرة، فالعاقل الذي يريد أن يحمي الناس من الوقوع في الحفرة، لا يحذرهم من الحفرة فقط بل يحذرهم من الوقوف على المنحدر؛ لأنه إذا وقف عليه فلن يسيطر على نفسه وسوف ينجذب للأسفل بفعل الجاذبية، ويفقد سيطرته على نفسه ويقع في الحفرة، ولذا نرى أن العقلاء عندما يعلمون بوجود متفجرات (ألغام) في منطقة معينة يجعلون سياجًا يبعد مسافة عن مكان اللغم.

وهذا المثال ينطبق على المرأة أو الرجل عندما يتحدثان مع الجنس الآخر من غير ضرورة، أو يتبادلان النظرات وغيرها، لذا فاللّه تعالى لم يحرم الزنا فقط، بل حرم حتى مقدماته المتحققة بالنظر والمحادثة واللمس وما شابه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾[٢١]

فمكمن الإشكالية هي في وجود حالة الانجذاب العاطفي والغريزي الجنسي، من كل من الطرفين نحو الآخر، هذا الانجذاب يتحقق بالتواصل ما بينَ الجنسين مع عدم مراعاة الضوابط الشرعية، كالضوابط الشرعية المختصة بالتحدث مع الرجل الأجنبي التي ذكرناها سابقاً.

(ولمواقع التواصل الاجتماعي دور كبير في تشجيع وتسهيل الاختراق العاطفي، الذي يبدأ غالبًا بتبادل المراسلات والصور، وقد يتم التعارف والتلاقي من خلال برامجه.

وقد يكون الاختراق استدراجًا عفويًا، وذلك يوجب الحذر من

الخطـــوات الأولـــى، التي قد تبـــدأ بكلام عاطفـــي عابر، أو نظـــرة مريبة.

وقد يكـــون اختراقًا مقصـــودًا، وهناك ذئاب بشـــرية، من بعـــض الرجال الذين يتجـــرؤون على انتهـــاك أعـــراض الآخرين، ويســـتخدمون مختلف ســـبل الخديعة والمكر للإيقـــاع ببنات النـــاس في شـــباك ابتزازهم)[٢٢]

وبســـبب كثـــرة الانزلاقـــات والاختراقـــات العاطفيـــة التـــي انتهت بارتـــكاب المحرمـــات والفواحـــش، والتي كلها بـــدأت بمحادثـــة المرأة للرجـــل الأجنبـــي بحجـــة أنهـــا تأمن علـــى نفســـها من الوقـــوع في الحـــرام، ولكن مـــع الاســـتمرار حصل الاســـتدراج فوقعت فـــي الحرام، ولـــذا نرى أن الجـــواب القديم الـــذي كنا نقـــرأه من بعـــض الفقهاء عن حكـــم تحـــدث المرأة مـــع الرجل الأجنبـــي صوتيًـــا أو كتبيًا هـــو: (يجوز إذا أمِنـــا مـــن الوقوع فـــي الحرام)

ولكـــن (الجـــواب الجديـــد): (لا يجـــوز لعدم الأمـــن من الوقـــوع في الحـــرام، ولـــو بالانجـــرار إليـــه شـــيئًا فشـــيئًا)، وإليكم هـــذا النموذج التطبيقـــي وفـــق رأي ســـماحة الســـيد السيســـتاني دام ظله.

السؤال(١): ما حكم المراســـلة بيـــن البنـــت والولد عبـــر الإنترنت مع العلـــم بأنّ الـــذي يدور مجـــرّد الســـؤال عـــن الصحّة وعـــن موضوعات اجتماعيّـــة متفرقّة؟

الجـــواب: لا يجـــوز، لما فيه من خـــوف الوقوع فـــي الحرام ولـــو بالانجرار إليه شيئًا فشـــيئًا. [٢٣]

السؤال(٢): هـــل يجـــوز إقامة علاقـــة أُخوة بين شـــاب وبنت فـــي إطار الاحتـــرام والأخـــلاق، وعدم تجـــاوز الحدود الشـــرعية في هـــذه العلاقة؟ وهـــل يجـــوز محادثتها صوتيًـــا بالســـلام والتحية فقط؟

الفتـــوى: لا يجـــوز مطلقـــاً، لعدم الأمـــن من الوقـــوع في الحـــرام، ولو بالانجرار إليه شـــيئًا فشـــيئًا. [٢٤]

المبحث الثالث: مسوغات وهمية للمحادثة بين الجنسين

هناك بعض المبررات التي يتمسك بها بعضهم لجعلها ذريعة للتمرد على الأحكام الشرعية ومنها تحدث المرأة مع الرجل الأجنبي دون مراعاة الضوابط الشرعية، ونذكر منها ما يلي:

المسوّغ الأول: أنا لست مقتنعة بالحكم، ولذا عندمّا اقتنع سألتزم به!!

ونرد عليه باختصار: إن تطبيق الأحكام الشرعية لا يشترط وصول المكلف إلى القناعة لأنها مسائل فقهية وليست عقائدية، أي يجب أن نطيع أوامر اللّه تعالى دون جدال، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ (٢٥)

نعم يحق لنا أن نتساءل عن السبب، ولذا ذكرت لنا رواياتهم بعض علل الشرائع ولكن لم تصل لنا علل كل ما يتعلق بالأحكام الشرعية، ولكننا رغم ذلك ملزمين بالطاعة؛ لأنه يكفي أن أعرف أنني أعبد إلهاً عالمًا حكيمًا عادلًا غير ظالم، لا يأمرنا بأمر إلا وفيه المنفعة، ولا ينهانا عن شيء إلا لدفع المضرة عنّا، وهذا يكفي أن أطيعه حتى لو جهلت العلّة، فالطبيب الحاذق عندما يطلب من مريضه أن يلتزم بأوامره من تناول الأدوية وإجراء العملية والابتعاد عن بعض الأطعمة المضرة، تجد المريض ملتزماً بتعاليمه رغم أنه لا يعلم علّة وصفه لهذه الأدوية وتأثيرها وكيفية علاجها، فلماذا عندما تصل النوبة إلى طاعة أوامر الخالق يتمرد المخلوق عليها؟ رغم أن الطبيب غير معصوم ومعرّض للخطأ، روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « يا عباد اللّه أنتم كالمرضى، واللّه رب العالمين كالطبيب فصلاح المرضى فيما يعلمه الطبيب يدبره به لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه، ألا فسلموا للّه أمره تكونوا من الفائزين ». (٢٦)
وإذا كان المسلم يؤجل طاعته إلى أن يقتنع بعلّة التشريع فهذا

يعني أنه عرّض حياته للخطر كامتناع المريض من العلاج، ومن ثمّ سيموت قلبه الذي من أسبابه كثرة مناقشة الجنس الآخر الأجنبي، وهذا ما صرّح به رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حيث قال: « أربع يُمِتن القلب: الذنب على الذنب، وكثرة مناقشة النساء -يعني محادثتهن- ومماراة الأحمق تقول ويقول ولا يرجع إلى خير، ومجالسة الموتى، فقيل له: يا رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وما الموتى؟ فقال: كل غني مترف». [٢٧]

فإذا مات المسلم وهو مصر على ارتكاب المعاصي سيخسر الدنيا والآخرة، فقد روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: « إيّاك والإصرار فإنّه من أكبر الكبائر، وأعظم الجرائم ». [٢٨]

المسوّغ الثاني: الأغلبية يدّعي بأنه واثق من نفسه بأنه لن يقع في الحرام عندمّا يتحدث مع الجنس الآخر ولو بشكل متواصل؛ لأن نيته حسنه وقلبه نقي ويعدَّ الطرف الآخر أخًا أو أختًا له!!

ونرد عليه بأن النفس الأمارة بالسوء لا يمكن الوثوق بها، فلما يرغب الرجل بالتواصل مع المرأة الأجنبية وبالعكس، ستسعى- النفس الأمارة بالسوء- جاهدة لتحقيق ما تريد حتى لو كانت تعرف بأنه شرعًا لا يجوز التحدّث مع الجنس الآخر الأجنبي خوفًا من الوقوع في الحرام؛ لأنها لسان حالها سيقول: (أنا متأكدة وواثقة بأني لن أقع في الحرام، ولذا جاز لي أن أتحدث مع الجنس الآخر)

ونحن كمبلّغات تسألنا النساء عن الحكم ونسمع أمثال هذه الردود، ولكن بعد مدّة يتصلن ويقلن: ما توبة من وقع في الحرام؟ وعندما نعاتبها ونقول: (ألم تقولي أنك واثقة من نفسك بعدم الوقوع في الحرام حينما تتحدثين مع الرجل الأجنبي؟)، تقول: (لقد أغواني الشيطان اللعين)، فنطلب منها الاستغفار والتوبة وأن تحذر من مخالفة الأحكام مرة أخرى، فالشيطان الملعون وظيفته يقبّح الحلال ويحسّن الحرام.

ولكن هناك أمر مهم وجب أن نعرفه وهو أن العديد من الحالات التي تحدث فيها مخالفة لأحكام العفة -ومنها أحكام المحادثة ما بين الجنسين- لا تنتهي بهذه البساطة، بل تنتهي بمصائب وفضائح؛ لأن الرجل الذي تحدّثت معه المرأة وأغواها وأقنعها بإرسال صورها وفتح الكاميرا، قام بحفظ الصور والفيديوهات وتصوير المراسلات الكتبية سرًا، وبعدها يبتزها بتهديدها بنشر صورها ومقاطع الفيديو على مواقع التواصل الاجتماعي مقابل مبالغ مالية والانصياع لرغباته الجنسية الدنيئة وقتما يشاء، أي يريدها أن تكون أمَة وأسيرة له طوال حياتها، وفعلًا فُضِحت بعض النساء وصارت كل واحدة منهن وصمة عار على نفسها وأهلها وعشيرتها، وصدق أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما قال: « وكم من شهوة ساعة أورثت حزنًا طويلًا ». [٢٩]

ولذا (فالأحوط والأسلم لدين الفرد أن يبتعد عن هذه الأحاديث ما دامت المرأة أجنبية عنه، ويكتفي بالحديث مع أبناء جنسه أو أرحامه من النساء وحتى الحديث بين الجنسين من الأرحام، لابد كذلك من أن يكون خاليًا مما يثير الريبة واللذة والشهوة وبعيدًا عن كل ما يكون خاليًا مما يثير الريبة واللذة والشهوة وبعيدًا عن كل ما يجرح الحياء ويخدش العفة وإنما ذلك لكي تُسد أبواب الشيطان المشرعة لإغواء بني آدم وتزيين المعصية لهم. قال تعالى: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [٣٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[٣١]. [٣٢]

المسوّغ الثالث: بعض النساء يتحدثن مع رجل أجنبي لمدّة طويلة ومستمرة بحجة انه يريد أن يسأل عن المذهب الحق، وأنا أريد أن أساعده!!

وبعض الرجال يحتجون بأن الكلام والحديث مع المرأة بداعي الإرشاد والنصح وتعليم أمور الدين لإيجاد ثقافة دينية عندها كي تتحصن بها من الشيطان والنفس الأمارة بالسوء.

الجواب: إن الإرشاد والنصح وتعليم أمور الدين شيء جيد في

حد ذاته، وطاعة للّه تعالى وهو راجح شرعًا بلا شك لكنه غير منحصر بالجنس الآخر فإن كان الذي يريد أن يرشد رجلًا والطرف الآخر امرأة فالأمر لا ينحصر به أكيدًا لوجود -بفضل اللّه تعالى- الكثير من الأخوات المؤمنات اللواتي يمتلكن ما تستطيع به المرأة أن ترشد وتبلغ وتنصح، بل توجد مؤسسات علمية دينية نسوية متصدية لهذا الأمر، ولها مواقع على الفيس بوك وغيرها من مواقع التواصل الاجتماعي. فعلى الرجل المؤمن المتقي أن يرشد المرأة إلى تلك الأخوات أو المؤسسات، كي يبتعد عما ذكرناه ونعيد التأكيد عليه أن الأمر يبدأ بكلمة وموعظة وإرشاد، ولكن قد يسوء الحال ويدخل الشيطان بينهما فالأحوط اتخاذ الحال الذي ذكرناه.

نعم لو انحصر طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد وتعليم الجاهل برجل متفقه في الدين، فحينئذ وجب عليه، ولكن لابد أن يكون بأعلى مستويات الأدب في الكلام والتعامل مع الحفاظ على العفة والحياء والطهارة من دون التوسع أكثر مما يتم به المطلوب، وكذلك الحال مع المرأة السائلة ولتتخيل أن صاحب الزمان عج أو أبيها أو زوجها واقف بجانبها ويراقبها، لذا وجب اختصار الكلام دون التوسع والتدخّل في الخصوصيات، فإذا حصل تجاوز من الطرف المقابل فأنصح بعمل حظر لأي رجل بدون تردد. [٣٣]

أختي المؤمنة...على المرأة أن لا تكون ساذجة، بل عليها الحذر من العالم الافتراضي ومواقع التواصل الاجتماعي؛ لأن بعض الرجال يدخلون بأسماء وهمية وأغلبهم يكذّبون في المعلومات التي ترسل للطرف الآخر، وهدفهم اصطياد النساء واستدراجهن بعدة حجج: كحجة أنه ضال ويريد أن يهتدي ويتعرف على المذهب، أو يكتب لها بأنه معجب بثقافتها، ومعلوماتها، وهكذا إلى أن يوقعها في الحرام إما بممارسة الفاحشة، وبالانحراف عن المذهب بطرح الشبهات على المذهب، فتضعف عقيدتها بالتدريج إلى أن تقع

في الهاوية.

وفي الختام نؤكد على ضرورة الالتزام بالأحكام الشرعية وتقليل الحديث مع الرجال الأجانب إلا للضرورة، مع الالتزام بكل الضوابط الشرعية عند التحدّث؛ لأنه كما ذكرنا عن أمير المؤمنين «وَاعْلَمْ أَنَّ الْكَلَامَ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ ». (٣٤)

وذكرنا أن أكثر الوسائل المستخدمة للتعبير عن الكلام في مواقع التواصل هي اللسان، والكتابة، والرسوم، فهي سيف ذو حدّين، فإذا أحسنّا استخدامها فسوف ننال رضا اللّه ورسوله وأئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وإذا أسأنا استخدامها فسوف ننال غضبهم فنخسر الدنيا والآخرة.

ومن أفضل الأمور التي ننال بها رضا اللّه ويترتب عليها ثوابًا عظيمًا، هو استثمار مواقع التواصل في الدفاع عن الدين ونصرته وبيان أحكام اللّه وتعريف الناس على اللّه ورسوله وأئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ورد الشبهات من أجل إخراج الناس من الظلمات إلى النور وتثبيت المؤمنين، فقد روي عن الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ : « من كان من شيعتنا عالمًا بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به (٣٥) جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور يضئ لجميع أهل العرصات، وحلة لا تقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي مناد «يا عباد اللّه هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمد، ألا فمن أخرجه في الدنيا من حيرة جهله فليتشبث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزهة الجنان» فيخرج كل من كان علمه في الدنيا خيرًا، أو فتح عن قلبه من الجهل قفلًا، أو أوضح له عن شبهة ». (٣٦)

ومن تلك الأمور التي ينبغي التأكيد عليها عند نصرة الدين في الواقع الميداني وفي العالم الافتراضي هو إحياء المناسبات

الدينية ومنها مناسبة تعدّ من أهم الأحداث التاريخية في الإسلام، وهي هجرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة وهو رأس السنة الهجرية، ومبيت الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في فراشه والذي يصادف في اليوم الأول من شهر ربيع الأول.

حيث تذكر كتب السيرة والتاريخ (بعد أن فشلت جميع الطرق التي اتّبعها مشركو قريش في صدّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن أداء رسالته الإلهية، اتّفقوا على أن يرسل كلّ فخذ من قريش رجلًا مسلّحًا بسيفه، ثمّ يأتوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو نائم على فراشه، فيضربوه جميعًا بسيوفهم ضربة رجل واحد فيقتلوه، فإذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تسلّمهم، وبذلك يذهب دمه هدراً.

ولكن جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بخطّة قريش، وأمره بالهجرة إلى المدينة المنوّرة، ونزل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٣٧)

فدعا رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الإمام عليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخبره بخطّة قريش وبهجرته إلى المدينة المنوّرة، ثمّ قال له: «يا علي، إنّ الروح هبط عليَّ بهذه الآية آنفًا، يخبرني أنّ قريش اجتمعت على المكر بي وقتلي، وأنّه أوحي إليَّ عن ربّي عزّ وجلّ أن أهجر دار قومي، وأن أنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي، وأنّه أمرني أن آمرك بالمبيت على ضجاعي ومضجعي لتخفي بمبيتك عليه أثري، فما أنت قائل وصانع؟ فقال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أو تسلمن بمبيتي هناك يا نبي اللّه؟ قال: «نعم»، فتبسّم علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ضاحكًا، وأهوى إلى الأرض ساجدًا، شكرًا لما أنبأه رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من سلامته (٣٨).

ثمّ نزل قوله عزّ وجلّ في حقّ علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَاد ﴾ (٣٩)

ثم خرج رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في أوّل الليل، والرصد من قريش قد أحاطوا بداره ينتظرون انتصاف الليل ونوم الأعين، فخرج

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾[٤٠]، وأخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بيده قبضة من تراب، فرمى بها على رؤوسهم، فما شعر القوم به حتّى تجاوزهم، ومضى إلى غار ثور.

فلما اقتحمت قريش دار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وهم شاهرون سيوفهم، وتهيج منهم رائحة الحقد والخبث والدناءة، فنهض الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ من مضجعه في شجاعته المعهودة بوجوههم الإجرامية، فارتعد القوم وتراجعوا، فلمّا عرفت قريش فشل خطّتها خرجت في طلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، فعمى اللّه أثره وهو نصب أعينهم، وصدّهم عنه، وأخذ بأبصارهم دونه وهُم دهاة العرب، ثمّ بعث اللّه العنكبوت فنسجت في وجه الغار فسترته، وبعث اللّه حمامتين فوقفتا بفم الغار، فأيّسهم ذلك من الطلب.

وكان تاريخ الهجرة ١ ربيع الأوّل ١٣ للبعثة، وتاريخ الوصول إلى المدينة في ١٢ ربيع الأوّل

وقد قال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ شعرًا في المناسبة يذكر فيه مبيته على الفراش، ومقام رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الغار ثلاثاً[١٤]:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى	ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله الخلق إذ مكروا به	فنجّاه ذو الطول الكريم من المكر
وبات رسول الله بالشعب آمناً	وذلك في حفظ الإله وفي ستر
وبت أراعيهم وهم ينبؤوني	وقد صبرت نفسي على القتل والأسر
أردت به نصر الإله تبتّلاً	وأضمرته حتّى أوسد في قبري[٢٤]

٢ ربيع الأول

عودة بنات الرسالة إلى المدينة

المناسبة

عوّدة بنات الرسالة إلى المدينة

القصيدة للشيخ عبد المنعم الفرطوسي

موكبٌ للشُجونِ تهفو عليه ... عَذُباتٌ من راية سوداءِ
طالعته الأحزانُ وهي عيون ... من ثنايا المدينةِ الغرّاءِ
حين وافى بشرٌ لها وهو ينعى ... بمراثيه سيِّدَ الشهداء
قال شجوا فهزَّ مسجدَ طه ... بالمآسي وريعَ كلُّ بناء
ليس في يثربٍ مُقامٌ كريمٌ ... بعد قتل الحسينِ في كربلاء
فتعالى الصُراخُ في كل بيت ... بنجيب يعج بالأصداء
وأتى الناسُ يُهرعون رجالا ... ونساءً في ندبة وشقاء
للإمام السجادِ وهو المعزَّى ... بأبيه الذبيحِ من غير ماء
لليتامى وللأرامل ثكلا ... من صبايا وصبيةٍ ونساء
حيث ناحت أمُّ المصائب ناحوا ... لعويلِ العقيلةِ الحوراء
ضجةٌ للشجون والوجدِ منها ... ضجَّت الأرضُ والسما بالبكاء
وأُقيمت مآتمٌ في بيوت ... هي كانت مآتم الأرزاء[٤٣]

(مجردات)[٤٤]

من طبت او شافت المنزل ... موحش خلي مظلم او يذهل
صاحت او دمع العين يهمل ... يا دار فگد الأهل يكتل
عفيه اعله گلبي اشكثر يحمل ... ضيم او حزن متراكم او ذل

المحاضرة الثانية

إثبات وجود الله - الجزء الثاني

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقّ ﴾(٤٥)

مباحث الآية الكريمة

المبحث الأول: تفسير الآية

إنَّ اللّه تعالى لمَّا خلق الوجود خلقَ نوعين من الآيات، ذكرهما اللّه تعالى في هذه الآية الكريمة، وهما: آيات الآفاق وآيات الأنفس.

يقول صاحب كتاب الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل: «آيات الآفاق » وتشمل: خلق الشمس والقمر والنجوم، والنظام الدقيق الذي يحكمها، وخلق أنواع الأحياء والنباتات والجبال والبحار وما فيها من عجائب وأسرار، لا تعد ولا تحصى، وما في عالم الأحياء من عجائب لا تنتهي، إنَّ كل هذه الآيات هي دليل على التوحيد وعلى وجود اللّه.

أما « الآيات النفسية» مثل: خلق أجهزة جسم الإنسان، والنظام المحير الذي يتحكم بالمخ وحركات القلب المنتظمة، والشرايين والعظام والخلايا، وانعقاد النُّطفة ونمو الجنين في ظلمات الرحم، ثم أسرار الروح العجيبة... إن كلَّ ذلك هو كتاب مفتوح لمعرفة الإله الخالق العظيم.

صحيحٌ أن هذه الآيات قد طرقت سابقًا بمقدار كاف من قبل اللّه تعالى، إلا أنَّ هذه العملية والإراءة مستمرة؛ لأن ﴿سَنُرِيهِمْ﴾ فعل مضارع يدل على الاستمرار، وإذا عاش الإنسان مئات الآلاف من السنين، فسوف تنكشف له في كل زمان علامات وآيات إلهية جديدة؛ لأن أسرار العالم لا تنتهي.

إنَّ كافة كتب وبحوث العلوم الطبيعية وما يتصل بمعرفة الإنسان في أبعاده المختلفة (التشريح، فسلجة الأعضاء، علم النفس، والتحليل النفسي) وكذلك العلوم الَّتي تختص بمعرفة النباتات والحيوانات والهيئة والطبيعة وغير ذلك، تعدّ في الواقع كتبًا وبحوثًا في التوحيد ومعرفة الخالق (جلَّ وعلا)؛ لأنها عادة ما ترفع الحجب عن الأسرار العجيبة لتبيِّن قدرًا من حكمة الخالق العظيم، وقدرته الأزلية، وعلمه الذي أحاط بكل شيء.

أحيانا يستحوذ علم واحد من هذه العلوم، بل فرع من فروعه المتعددة على اهتمام عالمٍ من العلماء؛ فيصرف عمره في سبيله، وفي النهاية يقرر قائلًا: مع الأسف لا زلت لا أعرف شيئًا عن هذا الموضوع، وما علمته إلى الآن يجعلني أغوص أكثر في أعماق جهلي..)[٤٦].

ويُفترض عندما ننظر إلى الآيات الآفاقية والأنفسية أن ننظر إليها نظر تدبُّر وتأمَّل وتبصَّر وتفكّر لا نظر مقرون بغفلة وحماقة وبَلَه وسهو الَّتي هي من خصائص الأنعام، قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٤٧].

فالنوع الثاني من النظر لن يعرّفنا اللّه، بينما النظر الأوَّل يقودنا إلى معرفته تعالى الَّتي اتفق العلماء بوجوبها على كل مكلَّف؛ لأنها أساس الدين وأوله كما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: « أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ ».[٤٨]

(فلو رأيت بيتًا بديع البنيان، جميل التصميم، رائع المنظر، هل تشك أن له بانيًا ومصممًا أبدع هذا البناء الجميل الراقي؟!

ولنفترض أنَّك رأيت دخانًا يتصاعد من مكان ما، أو شممت رائحة احتراق شيء، هل تشك لحظة أنَّ نارًا مشتعلة تصدر عنها تلك الرائحة، ويطلع منها ذلك الدخان؟!

ولو كنت تسير على شاطئ البحر، ورأيت آثار أقدام حفرت على رمال الشاطئ، فبان شكلها متتابعة، هل تشك لحظة أنَّ هناك شخصًا كان يسير على هذه الرمال، خاطًا عليها آثار أقدامه معلنًا أنَّه مرَّ من هنا؟

والآن هلمّوا معي لننظر فيما حولنا... هذه السماء المزينة ليلًا بقمرها ونجومها المتلألئة في لُجَّة اللَّيل... كواكب، ونجوم، تسبح في الفضاء، منذ ملايين بل مليارات السنين، معلَّقة كأنَّها قناديل تتخذ لها مسارات لا تحيد عنها، محسوبة بدقة، ولو اختلَّ حساب سيرها في السرعة أو المسار، لاصطدمت ببعضها وتلاشت.. من الذي قام بحساب هذه المسافات، وتنظيم المسارات وتقدير السرعات؟

هل تشك أنت، أنَّ هناك قوة هائلة عظيمة ومدبِّرة، دقيقة التدبير وحكيمة، هي الَّتي نظَّمت، وحسبت وأجرت هذه الأمور بدقة عالية وقدرة فائقة؟

وانظر إلى المطر، وعلاقته بالأرض وإحيائها، وإنبات نباتها؛ لتزهر وتثمر، وليأكل من ثمرها الخلق... هل تصدق لو قال لك شخص: إنَّه يشك أنَّ هناك من أوجدها وسخرها لنا؟! فمن الذي ربط بينها؟

الإنسان يفلح ويبذر، مستخدمًا الآلات، أو الحيوانات، وروث الحيوانات يسمد الأرض، والمطر يروي البذور المطمورة في الأرض، فتنبت، ثم تزهر، فتأتي الريح أو الحشرات، فتنقل حبوب اللقاح من زهرة إلى أخرى؛ لينعقد الثمر ثم ليصبح فاكهة لذيذة.. من الذي نظَّم هذه العلائق بين الفلاح والأرض، والمطر والزهر، والحشرات هل تشك أنَّه اللَّه؟ ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[٤٩].

العقل يحكم بوجود مُدبّر قدير حكيم وعالم وخالق رحيم... فطر عقولنا على معارف لا تقبل الشك، نهتدي بها إلى الإيمان

باللّـــه، فنحـــن لم نـــرَ اللّـــه بأعيننا، ولكـــن رأيناه بعقولنـــا، من خلال تصفح آيـــات الأفاق والتي تشـــهد بكل وجودهـــا على أن اللّـــه خالقها: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ ﴾ (٥٠) (٥١)

فقوله تعالـــى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾(٥٢)، تعـــدّ مـــن الآيـــات الّتي تحثنـــا على التفكّـــر في اللّه وفـــي قدرته، يقـــول أميـــر المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: « نبّـــه قلبك بالتفكّـــر ». (٥٣)

ويقـــول الإمام الصـــادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أفضـــل العبادة إدمـــان الفكر في اللّه وفـــي قدرته » (٥٤)

وروي عـــن أميـــر المؤمنيـــن عَلَيْهِ السَّلَامُ: « ولـــو فكّروا في عظيـــم القدرة وجســـيم النعمـــة لرجعوا إلـــى الطريق -معرفـــة اللّه- وخافـــوا عذاب الحريق ». (٥٥)

أي إنّهـــم لأدركوا أنّ مـــا بعد هذا العالـــم عالم جزاءٍ وثـــوابٍ وعقاب، ولخافـــوا من ذلك.

وحينمـــا نـــتأمل في خلق اللّه وآياته الآفاقية والأنفســـية ســـنجد أنَّ طـــرق معرفـــة اللّه عديدة ومتنوعـــة، ولقـــد ذكرنا في الجـــزء الثاني مـــن كتـــاب (زاد المبلغات) فـــي المحاضـــرة المعنّونة بـــ(إثبـــات وجود اللّه) دليليـــن عقليين يثبتـــان وجود اللّه تعالـــى، وهما (برهـــان النظام)، و(برهـــان الحركـــة)، ونريـــد أن نقـــف فـــي هـــذه المحاضرة علـــى دليل ثالث وهـــو امتنـــاع الصدفة.

وقبـــل أن ندخـــل في بيـــان الدليل نؤكد علـــى المربـــي أن يعي هذه الأدلـــة والبراهيـــن، ويعلمها لأولاده وبالأخـــص الأدلة الّتـــي تثبت بطلان ما يحتـــجّ به الملحـــدون الّذيـــن يعتقدون أنَّ هـــذا الكـــون وجد صدفة أو اتفاقًـــا مـــن غيـــر قصـــد ولا إرادة، أو أوجدتـــه الطبيعة؛ لأن وســـائل الإعـــلام الحديثـــة جعلت العالـــم قرية صغيـــرة، بحيث صـــارت الأفكار المنحرفـــة كالإلحـــاد تنتشـــر وتغـــزو المنصـــات والهواتف أســـرع من انتشـــار النار في الهشـــيم.

فإذا كان الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ يحذّر المؤمنين من اختلاط الأولاد بمن يحمل أفكارًا منحرفة قائلًا:« بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم إليهم المرجئة » (٥٦)

أي يحذّرهم من المرجئة رغم أنّهم موحّدون - أي يعتقدون بوجود اللّه- ولكن التحذير من باب أنهم يحملون أفكارًا منحرفة، فعقيدتهم أن الإيمان هو (التصديق والقول فقط، ولا يزيد ولا ينقص، ولا دخل للطاعة والمعصية في مُسمَّى الإيمان)، فلذا الإمام يحذرنا منهم رغم أنهم أقلّيَّة يعيشون في دولة إسلامية لم يكن في زمانهم وسائل اتصالات كزماننا هذا... لذا من باب أولى على المربين - في ظل وسائل الإعلام- أن يسرعوا في المبادرة لتحصين أولادهم عقائديًّا لحمايتهم من الملحدين الذين ينكرون وجود اللّه، فهؤلاء أخطر من الفرق الإسلامية المنحرفة؛ لأن الاعتقاد بهم يخرجهم من الإسلام ويدخلهم في الإلحاد فيخسروا الدنيا والآخرة.

المبحث الثاني: دليل امتناع الصدفة

وصلنا إلى الدليل العقلي الثالث الَّذي يثبت وجود اللّه تعالى، وهو امتناع الصدفة.

فإنَّ أغلب المنكرين لوجود اللّه عندما تسألهم من الخالق لهذا الكون العظيم بما فيه من الخليقة المنتظمة؟ يقولون: بأنّ الصِّدفة هي الَّتي أوجدتها... أي إنها وجدت بنحو الصِّدفة، وتحقّقت بنحو المصادفة، فإذا أثبتنا بطلان ذلك تبين أنَّه تعالى هو الحق. ونرد على من يقول بالصدفة بالنقاط الآتية:

أولًا: إنَّ العقل يرفض الصدفة، بل حتّى عقل الصبيان يرفض ذلك... فلو كان طفلك يملك علبة فيها مكعبات متناثرة، وفي أثناء غيابه قمت ببناء دار جميلة من هذه المكعبات دون أن يعرف طفلك، فلما يراها الطفل فسوف يسأل عن الشخص الذي قام

ببنـــاء الـــدار، فلو قلـــت لـــه: (إن الصُّدفة هي الَّتـــي بنت الدار) فســـوف لـــن يصدق ذلك أبـــدًا؛ لأن الإنســـان مفطور علـــى أنَّ لكلِّ معلـــول علّة، ولكل ســـبب مســـبب كما ذكرنـــا ذلك فـــي طريق الفطـــرة. (٥٧)

فـــإذا كان العقـــل يؤمـــن أن الصدفـــة عاجزة عـــن تركيـــب دار من مكعبـــات متناثـــرة، فكيف يقبـــل العقل مـــن يدّعي أن الصُّدفـــة قادرة علـــى إيجـــاد مخلوقـــات لا متناهية فـــي الدقـــة والنظـــام والحكمة؟!

(لنفتـــرض كتابًـــا علميًّا يحتـــوي علـــى ١٠٠ ورقة مرتّب حســـب أرقام الصفحـــات، فـــإذا فرقنـــا أوراق الكتـــاب وخلطناها ثم أعطينـــا الكتاب بيد رجـــل أعمـــى أو أمـــيّ وطلبنا منـــه أن يرجعـــه إلى صورتـــه الأولى فماذا ســـيكون منه؟

إنـــه أعمـــى أو أمـــيّ... وعلى أي حـــال فلا يمكنـــه قـــراءة الأرقام ولا تمييـــز الصفحـــة الأولى مـــن الثانيـــة، فيلتقط مـــن بين تلـــك الأوراق إحداهـــا أمـــلًا بأنهـــا الورقـــة الأولى، فمـــن البديهـــي أن تكون نســـبة عثـــوره علـــى الورقة الأولـــى من بيـــن الأوراق المائـــة ١/١٠٠.

ثـــم يلتقـــط ورقـــة أخـــرى أمـــلًا بـــأن تكـــون هـــي الورقـــة الثانية فنســـبة إصابته إلـــى خطأه تكـــون ١/٩٩. فـــإذا أراد أن يلتقـــط الورقتين الأولـــى والثانيـــة بالتوالي فلا بـــد وأن تكون نســـبة إصابتـــه إلى خطأه ١/١٠٠×١/٩٩=١/٩٩٠٠.

أي ينبغـــي أن يقـــوم بتســـع آلاف وتســـعمائة محاولـــة ريثما ينجح في إحداهـــن لالتقاط الورقـــة الثانية بعـــد الأولى مباشـــرة، وإذا التقط ورقة أخـــرى أمـــلًا بأن تكـــون الثالثة فالنســـبة مـــن بيـــن البواقي هي ١/٩٨. أمـــا عثوره علـــى الأوراق الثـــلاث تباعًـــا فيحتاج إلى:

١/١٠٠×١/٩٩×١/٩٨=١/٩٧٠٢٠٠.

وعلـــى هذا الترتيـــب تتصاعد النســـبة، وأخيـــرًا فإنه لا يســـتطيع مـــن إرجاع صفحـــات الكتاب المشوشـــة إلـــى صورتها الأولـــى إلا بعد

عـــددٍ هائل غيـــر متناهٍ هـــو العـــدد (١) وأمامه (٢٠٠صفـــر). [٥٨]

بمعنـــى أن الصدفـــة تكاد تكـــون عاجـــزة عن جمع صفحـــات على نحـــو الترتيـــب.. فكيـــف بنـــا لـــو طبقنـــا هـــذه الفرضية علـــى خلق الإنســـان بما هـــو عليـــه من دقـــة وإبـــداع وغيره مـــن الموجـــودات؟

(أو ليـــس من اللائـــق أنّ ندقّـــق النظر فـــي أبداننـــا... أنّ نعمـــل بأمر القرآن الذي يقـــول لنا: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ * يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ [٥٩]

ليـــس في هذا البـــدن ولا حتى عرق واحـــد أو عظم واحـــد دون حكمة، وكلمـــا تطوّر علم التشـــريح اتضح أكثـــر مدى الحكـــم والمصالح الّتي روعيت فـــي خلـــق أجزاء الجســـم. فـــي هـــذه الاكتشـــافات المذهلة الّتي حدثت مؤخـــرًا).[٦٠]

فالأبحـــاث العلميـــة الحديثة تذكر بأنّـــه (يوجد أكثر مـــن ٢٥٠٠٠ خلية شـــعر في قوقعـــة الأذن، وهي عضـــو فـــي الأذن الداخلية، هـــذه الخلايا مهمـــة للغايـــة لعملية الســـمع؛ لأنها تكتشـــف الصوت وتســـتجيب له، وتنقـــل الإشـــارات العصبية إلـــى الدماغ)[٦١]

فـــإذا أثبتنـــا بـــأن الصدفة عاجـــزة عن ترتيـــب ١٠٠ صفحـــة فهي من بـــاب أولـــى عاجزة عـــن ترتيـــب ٢٥٠٠٠ خلية شـــعر فـــي القوقعـــة، وهي عضـــو فـــي الأذن الداخلية الّتـــي لو حصل فـــي تكوينهـــا وترتيبها خلل لفقد الإنســـان حاســـة السمع.

والأمـــر نفســـه ينطبق مـــع خلايا الطّبقـــة الخارجية في شـــبكية العين الّتـــي يبلـــغ مجموعها حوالـــي ١٣٢ مليـــون خليـــة[٦٢]، فلو كانت الصدفة هـــي أوجدتها لمـــا وجدنا شـــخصاً ســـميعاً بصيراً.

ولـــو نغض النظـــر عن الخلايـــا ونقف على أجزاء جســـم الإنســـان، فهـــل يعقـــل أن الصدفة العميـــاء الّتي لا تُـــدرك ينتج عنها باســـتمرار نفـــس الترتيـــب بأن يكـــون شـــعر الإنســـان - بالصدفة- أعلـــى الرأس،

والحاجبان -بالصدفة- فوق العينين، والأنف -بالصدفة- في وسط الوجه، والفم -بالصدفة- أسفل الأنف، ويكون للإنسان -بالصدفة- يدان اثنتان وليس عشر، وبالصدفة قدمان اثنتان وليس واحدة... إلخ!!

بالتأكيد هذا الأمر لا يُصدّقه عاقل.. فلو كان خُلقُنا خاضعًا للصدفة لما وجدنا من بين كل سكان العالم شخصًا واحدًا على هيئة البشر.. وهكذا الحال مع بقية مخلوقات اللّه.

ولو ألقينا نظرة إلى ما يحيطنا (فالساعة الَّتي تشتمل على حلقات وبراغ وعزقات كثيرة، وعلى عقارب وصفحة مرقمة بحيث إن في كل جزء منها صغيرا كان أم كبيرا خاصية معينة تتوقف الساعة عن العمل بدونها ، ويطرب بذلك سير العمل في هذا الجهاز، هل يمكن لعاقل أن يقول: إن الساعة قد وجدت بنفسها، وأن الدوائر وسائر أجزائها قد تجمعت فوق بعضها بعضا بهذه التنظيم من باب الصدفة؟

إن أمرا كهذا لا يمكن حدوثه أبدا، بل إنَّ كلَّ عاقل إذا ما رأى جهاز الساعة هذه وخصائص أجزائها يحصل لديه اليقين بأن صانعها شخصٌ حيٌّ ذو إرادة وشعور وقدرة، وهو لن يتردد في الحكم أبدا.

إنَّ جسم الإنسان بكل تلك الأجهزة المحيرة الَّتي تنطوي عليها كجهاز التغذية والهضم والتنمية والتوليد وتصفية الدم (القلب)، والكبد والكلية والبصر والسمع والأعجب من كل هذا جهاز المخ ومركز الإدراكات، وهل هذه الأجهزة كلها هي أقل شأنًا من جهاز ساعة ؟

إنَّ الإنسان العاقل الذي يتأمل بخلق اللّه وجب عليه الانتباه للنقاط الآتية:

ثانياً: أن العقل يحكم بأن صانع هذا الكون والمخلوقات ذو إرادة وشعور وقدرة لا متناهية، بينما نفس تلك المخلوقات ومن ضمنها

المصنوعات البشرية كالساعة وغيرها، هي أيضًا مخلوقات لرب العالمين، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٦٣]. [٦٤]

يروى بأنه يوم من الأيام (وقع جدال بين عالم ربّاني وبين زنديق - أيّ منكر لوجود اللّه - فوعده العالم أن يأتي إليه غدًا، وكانت دار المنكر في الصفة الأخرى من النهر العريض، وحينما صار الغد تأخّر العالم مدّة طويلة وبقي الزنديق ينتظره إلى أن جاءه، فاعترض عليه لماذا تأخّرت؟ قال: لم تكن هناك سفينة أركبها لأعبر النهر، ولذلك كنت متحيّرًا ماذا أصنع؟ وإذا بريح عاصفة أتت بشجرة كبيرة فتقطعت وصارت بصورة ألواح من الخشب، ثمّ أتت الريح بمسامير وركبت بعضها على بعض، فصارت سفينته صدفة فركبتها، وأتيت إليك لنناقش معًا مسألة وجود اللّه تعالى، ومن أجل ذلك تأخّرت. فضحك الزنديق من كلامه وقال: كيف توجد سفينة من دون أناس يصنعونها؟ فقال العالم: أنت تستبعد حدوث سفينة صدفة بدون صانع مدبّر، فكيف يمكن وجود هذا الكون بلا صانع قادر حكيم عليم؟ فبهت الذي كفر وأذعن بوجود اللّه تعالى)[٦٥]

ثالثاً: إن الصدفة إذا كان لها القابلية على إيجاد كون فسيح من الذرة و حتى المجرة بنظام متناسق متكامل غاية في الدقّة والحكمة والتدبير، فلماذا الملحدون -القائلون بالصدفة- حريصون على التطور العلمي والتكنولوجي والبناء والإعمار؟ لماذا لا يتركون الأمر للصدفة؟!

فهل الصدفة بَنَت لهم البيوت والعمارات، وصنعت لهم السيارات والهواتف والطيارات؟

وإذا كانوا يعتقدون أن الكون نشأ بواسطة الانفجار الكوني الكبير (big bang)، والصدفة هي الّتي نتجت عنها السموات والأرض والجبال الراسيات والمياه والأنهار والكائنات، فلماذا لا يعملون انفجارات في المناطق الصحراوية؛ كي ينتج عنها طبيعة خلابة؟

ولماذا عندما تحصل انفجارات نتيجة الحروب لا ينتج عنها سوى الدمار والخراب والفوضى والعشوائية؟!

رابعاً: إن عقل المادّيين والطبيعيّين الذين يقولون بأن الكون وما فيه مخلوق بالصدفة، نجدهم يناقضون هذا الادِّعاء حينما يرفضون تطبيق الصدفة في حياتهم.

فضابط الشرطة الملحد حينما يعلم أن هناك شخصًا مطعوناً بالسكين في بطنه تجده يبحث ويتفحص الأمر لمُدّة أيام عديدة، ولو قلنا له: (لا داعي للبحث لأن سبب الجريمة أن السكين طار بالصدفة وطعن بطن الرجل)، فسوف يضحك علينا ولا يقبل بالصدفة أبدًا ويعدَّ القائل لديه قصور في عقله.

وترى طبيبهم الملحد - مثلًا- صرف مدّة مديدة، وساعات عديدة من عمره في سبيل معرفة سبب وجود غُدّة صغيرة في جسم إنسان مريض تصدّى لمعالجته، ولا يقبل أن يؤمن بأنّها وجدت بنحو الصدفة والاتّفاق، أو أوجدتها طبيعة الآفاق.. فكيف بهذه البدائع العظيمة في هذا العالم العظيم؟! هل يمكن قبول أنّها وجدت بالاتّفاق والصدفة؟!

خامساً: الصدفة إن أمكنها خلق شيء فلا بدّ وأن يكون موجودا بنفسه، فنسأل من هو مُوجده؟ وإن لم تكن موجودا فيقال: إنّ المعدوم لا يمكنه إيجاد شَيء. على أنّ الصدفة العمياء شاردة غير منتظرة، لا تخضع لأي حساب وقانون، بل تخالف الحسابات العلمية، فكيف يمكنها أن توجِد هَذه الخلائق الكونيّة الَّتي تُبهر العقول وتُدهش العقلاء؟

وكيف يمكنها أن توجِد المادّة الأولى لهذا العالم كما يزعمون حتّى يكون العالم ماديّا؟

وكيف يمكنها أن توجد تكاملها وعلّية موجوداتها فيما بينها - كما يدّعون- حتّى يكونَ العالم صدفيا؟ والحال أنّ الصدفة عمياء

صمّاء، وليس لها حظٌّ من العطاء.[٦٦]

سؤال: لماذا لا نسند النظام المتقن إلى فعل الطبيعة الذي يقوله بعض الملحدين؟

والمقصود بالطبيعة الماء والهواء والتراب والجبال والأنهار و غير ها

الجواب على هذا السؤال بسيط جدًا؛ لأن نظرة تأمّلية في الطبيعة ترينا أنها إمّا المادة نفسها، أو حالة ثانوية للمادة، وإذا كانت المادة فاقدة للوعي والشعور والإدراك يعرض لها العدم والتغير، ويطرأ عليها الفقر والحاجة، وتؤثر فيها المؤثرات المختلفة، فالطبيعة (وهي حالة ثانوية للمادة) فاقدة للشعور، ولا يمكن إسناد النظام المتقن إلى علّة فاقدة الشعور)[٦٧]

إن هذا العالم المشاهد لا يمكن أن يصدر إلا عن إرادة وعلم وقدرة، بينما الطبيعة عمياء جاهلة والجاهل لا يعطي علما، (فالطبيعة إذا كانت لا تملك شعورًا، إذًا فماذا يعني هذا؟ هل في النطفة شعور حتى تنظم هيئة الجسم وترتب أنظمته، وتضع كلّ شيء في محلّه؟

أمعنوا النظر في أهداب أعينكم هذه... هل ترون هذه الشعيرات الّتي تنمو على حواشي جفن العين... الرموش العليا مائلة قليلًا إلى فوق، والرموش السفلى مائلة قليلًا إلى تحت، ولهذا فهما أثناء تشابكهما، الرمش الأعلى والرمش الأسفل، يتشابكان جنبًا إلى جنب. ولو لم يكن للرمشين هذا الإنحاء والتمايل، وكان استقرارهما موازيًا لبعضهما تمامًا، ولما تشابكا جنبًا إلى جنب بل لانطبقا فوق بعضهما بعضا، ولبقيت هناك منافذ إلى العين تجعلها غير مصانة من دخول الغبار والأشياء الّتي لا يجب أن تصلها .

ألا ترون أنه تعالى لم يغفل حتى عن الرمش وشكل استقراره، لقد اهتم سبحانه بما يؤمن راحة الإنسان ويحفظ له عينه، هذا

العضو المهم والفعّال في جسم الإنسان.[٦٨]

وقد أجاب الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ على هذا القول: فقد جاء في توحيد المفضّل بن عمر أنّه قال للإمام: « يا مولاي إنّ قومًا يزعمون أن هذا من فعل الطبيعة، فقال: «سلهم عن هذه الطبيعة أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال أم ليست كذلك؟ فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق، فإنّ هذه صنعته؟ وإنْ زعموا أنّها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة، علم أنّ هذا الفعل للخالق الحكيم، وإنّ الذي سموه طبيعة هو سنَّة في خلقه جارية على ما أجراها عليه ». [٦٩]

يقول الشيخ مُحَمَّد المظفر: انظر إلى قول أهل الطبيعة فإنهم جروا على نسق واحد من عهد الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى اليوم، و كأنهم لم يتعقّلوا هذا الجواب القاطع لحججهم أو أغضوا عنه إصرارا على العناد و الجحود.

إن الإمام حصر الطبيعة بين اثنين لا ثالث لهما؛ و ذلك لأنها إمّا أن تكون ذات علم و حكمة و قدرة، أو تكون خالية عن ذلك كلّه، فإن كان الأوّل فهي ما نثبته للخالق، و لا فارق إذن بينهم و بيننا إلّا التسمية، و إن كان الثاني كان اللازم أن تكون آثارها مضطربة لا تقدير فيها و لا تدبير شأن من لا يعقل و يبصر و يسمع في أفعاله، و لكننا نشاهد الآثار مبنيّة على العلم و الحكمة و القدرة و التقدير، فلا تكون إذن من فعل الطبيعة العمياء الصمّاء و كانت الطبيعة غير اللّه العالم القادر المدبّر و لا تكون الطبيعة إذن إلّا سنّته في خلقه، لا شيء آخر له كيان مستقلّ عن خالق الكون.[٧٠]

وفي الختام: أنقل إليكم حوارين دارا ما بين مؤمن وملحد، يذكرهما صاحب كتاب (هل تحب معرفة اللّه)

الحوار الأول:

المتدين: سمعت أنّك تقول بالطبيعة.

المثقف: نعم.. أقول.. ثم ماذا؟

المتدين: ما هي الطبيعة؟

المثقف: الطبيعة، هي الأرض.. والكواكب.. والهواء.. والضوء.. وما إليها .

المتدين: لي سؤالان:

١: هل هذه الأمور عالمة قادرة حكيمة أم لا؟

٢: من خلق هذه الأمور؟

المثقف: أما هذه الأمور فليست عالمة قادرة حكيمة.. ولا خالق لها .

المتدين: فكيف يخلق ما لا علم له أشياء محكمة متقنة؟

أيصح أن يقال: إن رجلًا جاهلًا صنع سيارة؟

فكما لا يتمكن الجاهل من صنع السيارة، كذلك لا يتمكن جمادات جاهلة من خلق الإنسان.. والحيوان.. والنبات.. وما إليه.

ثم: هل تصدق أنت، تكون طائرة بدون صانع؟

إنه لا يمكن ولا يعقل، ويخالف البديهي.

فكيف تقول: بأنَّ هذه الأمور صارت من أنفسها، بلا مكون و صا نع ؟

المثقف: أفكر في الجواب، وأمهلني يومًا!

المتدين: أمهلتك سنة، عوض يوم، ولكن.. لا تتعب نفسك، فلن تجد الجواب، إنك إن تمكنت من إقناع نفسك بأن قطارًا.. أو دارًا..

أو فأسًا.. صنع بدون صانع، فسوف تقنع نفسك بأن الطبيعة هي الخالقة.

فكر.. ثم فكر..[٧١]

الحوار الثاني:

جاء أحد التلاميذ واسمه (محمد) بصورة ديك ملوَّن، قائلًا لصديقه: ألا ترى هذه الصورة الجميلة؟

قال صديقه (هادي): نعم أراها، ومن أين لك هذه؟ أأنت صنعتها بنفسك، أم هي من صنع غيرك؟

قال محمد: إنها ليست من صنع نفسي.

فقال هادي: فمن صنع من؟

قال محمد: لم يصنعها أحد وإنَّما هي صُنعت بنفسها، من عوامل الطبيعة؟

فضحك منه هادي، وقال: أتمازحني أم تقول هذا المقال بكل جد ؟

قال محمد: لا أمازحك، وأقولها بكل جد.

قال هادي: كيف يمكن أن توجد الصورة بدون مصور؟

قال محمد: فأي أعظم: صورة الديك أم الديك نفسه؟

قال هادي: الديك نفسه أعظم، وهذا واضح جدًا.

قال محمد: فمن صنع الديك.

قال هادي: الطبيعة صنعته!

قال محمد: فكيف تتمكن الطبيعة من صنع الأعظم، ولا تتمكن من صنع الأضأل؟

وهذا يشبه القول: بأن الحمال يتمكن من حمل ألف كيلو، ولا يتمكن من حمل كيلو واحد.

فكر هادي مليًا، ثم قال: لكنا لم نرصانع الديك، ولهذا لا نقول به .

قال محمد: وهل أنك رأيت صانع الصورة؟

قال هادي: لا.

قال محمد: إذًا فقل: إن الصورة لا صانع لها، لأنك لم ترصانعها.

وهنا انقطع (هادي) عن الاحتجاج، ثم أقبل على محمد قائلًا: إني كنت إلى اليوم في جهل وضلال، أما اليوم فقد اعترفت بوجود الإله بفضلك، وصحيح ما تقول:

إذا لم يكن وجود صورة الديك بدون مصور، فكيف يمكن وجود نفس الديك بدون خالق. (٧٢)

نعود إلى الآية الكريمة: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (٧٣)

نفهم من خلال البحث أن اللّه تعالى منذ أن خلق الكون جعلنا نرى آياته في الآفاق وفي أنفسنا لتكون كل آية حجة علينا كدليل وعلامة على وجود اللّه، وبعض الآيات يجعلها اللّه تعالى دليلا على صدق دعوى النبوة، والتي تسمى الآيات بالمعجزات، كما قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٧٤) .

ومثل هذه الآيات لمّا تصدر من الأئمة المعصومين تُسمَّى بالكرامات، ومنها: كرامة قراءة الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للقرآن بعد مقتله في واقعة الطف، نذكر منها:

ما رواه ابنُ شهرآشوب في المناقب: «أنّه لمّا صُلب رأسُ الحسين بالصيارف في الكوفة فتنحنح الرأسُ، وقرأ سورةَ الكهف إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾[٧٥] وفي أثر أنّهم لمّا صلبوا رأسَه على الشجرة سُمع مِنه ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[٧٦].[٧٧]

وأيضًا وردت كثير من الروايات في مصادر أهل السنة تتحدث عن بعض الظواهر الكونية، والكرامات الّتي ظهرت عقيب مقتل الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أسفًا وحزنًا عليه، ونذكر منها ما روي عن حصين: « فلما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة، كأنّما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع» [٧٨]

ونقل عن السيوطي في تاريخ الخلفاء، وأرسله إرسال المسلّمات، فقال: ولما قتل الحسين مكثت الدنيا سبعة أيام والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة، والكواكب يضرب بعضها ب[١]عضًا، وكسفت شمس ذلك اليوم، واحمرَّت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة ترى فيها بعد ذلك ولم تكن ترى فيها قبله[٧٩]

وهكذا استمرت كرامات الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد مقتله وأثناء مُدّة السبي إلى أن تم دفن الرأس الشريف في يوم الأربعين، وأقام آل الرسول المآتم عند قبر الحسين ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع توجّهوا نحو المدينة.

قال السيد ابن طاووس في اللهوف: ثم انفصل الآل من كربلاء طالبين المدينة.

١

قال بشر بن حذلم: فلما قربنا منها نزل علي بن الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وضرب رحله وقرب فسطاطه وأنزل نسائه وقال: يا بشر رحم اللّه أباك لقد كان شاعرا فهل تقدر على شيء منه؟ فقلت: بلى يا ابن رسول اللّه إني لشاعر فقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ادخل المدينة وانعَ أبا عبد اللّه، قال بشر: فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رفعت صوتي بالبكاء، فأنشأت أقول:

يا أهلَ يثربَ لا مُقامَ لكم بها ... قُتل الحسينُ فأدمعي مِدرارُ
الجسمُ منه بكربلاءَ مضرّجٌ ... والرأسُ منه على القناة يُدارُ

قال: ثم قلت: هذا علي بن الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع عماته وأخواته، قد حلوا بساحتكم، ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم، وأعرّفكم مكانه، قال: فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة، إلا برزن من خدروهن ضاربات خدودهن، يدعون بالويل والثبور، فلم أر باكيا أكثر من ذلك اليوم، ولا يوما أمر على المسلمين منه.

ومن جملة من خرج من المخدرات زوجة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام أم البنين، خرجت وعلى كتفها طفل للعباس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حتى دنت من بشر، فأخذت تسأله عن الحسين، وهو يجيبها عن أولادها الأربعة، وهو يقول لها: عظم اللّه لك الأجر بولدك جعفر، قالت أخبرني عن ولدي الحسين، قال: عظم اللّه لك الأجر بولدك عبد اللّه، قالت: أخبرني عن ولدي الحسين، قال: عظم اللّه لك الأجر بولدك عثمان، قالت يا بني أخبرني عن ولدي الحسين، قال: عظم اللّه لك الأجر بولدك أبي الفضل العباس، فلما سمعت بذكر أبي الفضل العباس وضعت يدها على قلبها ثم قالت: يا ابن حذلم لقد قطعت نياط قلبي أخبرتني بقتل أولادي الأربعة ولكن يا ابن حذلم إعلم إن أولادي وجميع من تحت السماء فداء لأبي عبد اللّه الحسين، يا ابن حذلم أخبرني عن الحسين. عند ذلك قال: يا أم البنين عظم اللّه لك الأجر بالحسين فلقد خلفناه بأرض كربلاء جثة بلا راس فصاحت وا ولداه وا حسيناه، وسقطت إلى الأرض

مغشـــيا عليها...

(نصاري)

يگلها عظـــم اللّه اجرچ بالحســـين بگه ابوادي الطفـــوف ابغير تكفين
اولفه الســـجاد بضعون النســـاوين او نصب بره المدينه الهم امخيـــم

(مجردات)

جانـــي الخبـــر بحســـين مذبوح او دمّـــه علـــى التربان مســـفوح
لانعـــاه واگضي العمـــر بالنـــوح واعمـــي اعيونـــي واتلـــف الروح

ثم انطلقـــت إلى حيـــث نزل أهـــل البيـــت عليهم السلام ووقفت أمام الســـيدة زينب تســـألها:

(نصاري)

لفتها أم البنين اتگوم واتطـــيح ويـــن اهلـــچ يزينـــب راحـــوا تصيح
ويـــن ابـــدور هاشـــم والمصابيح او ويـــن احســـين والينه المشـــيَّم
تگلها والدمـــع يجري امـــن العيون گضوا يـــمّ البنيـــن ابخطـــة الكون
هـــووا مـــا بيـــن المطبـــر او مطعون او بين البالعمد راسه تهشم[٨٠]

أوائل ربيع الأول

شهادة المحسن بن علي وفاطمة عليهم السلام

عظم الله لكم الأجر والثواب

الشرفوي

المناسبة

شهادة المحسن بن علي وفاطمة عليهما السلام

القصيدة للسيّد محمّد مهدي الخرسان[٨١]

للمُحسنِ السِّقطِ حَقٌّ لو تُوَفِّيهِ ... فالمُحسنُ السِّبطُ مَظلومٌ لِتَبكِيهِ

مِيلادُهُ كانَ رُزءاً حِينَ نَذكُرُهُ ... للمُصطَفَى جَدِّهِ حَقّاً نعزيه

فابنُ البَتولةِ لا ذِكرى تُقامُ لهُ ... ورُزؤُهُ رُزؤُها مُذ أُثكِلَتْ فيهِ

مَولًى هُو الفَذُّ في الدُّنيا بأجمعِها ... فلا شبيهَ لهُ فيها يُوازيهِ

في أَشهُرِ الحملِ ستّاً نيّفت فَعَلَت ... على السِّنينِ جِهاداً حيثُ تَرويهِ

من يومه بان وجه الزيف في صُحفٍ ... تُملى وتُتلى كما يرويه راويه

لولا رزيّته في يوم هجمتهم ... لم يعرف الناس مولى من أعاديه

يا(محسن السقط) في الدنيل ونرثيه ... أنت (المحسَّن) في الأخرى نرجّيه

حدّث فديتك مظلوماً أفدّيه ... سِفر الشهادة بدءاً أنت ترويه

يا ثالثاً شرف الأسباط سابقها ... سبق الشهادة جلّى في معاليه

يا أولاً لضحايا العُنف أسّسه ... حكمُ الأولى لم تزل تترى تواليه

فصرت أول مظلوم قضيت وقد ... نلت الشهادة حملاً شُلّ جانيه

(بحر طويل)

يحامي الجار بيك اشصار للزهره متحميها ... تشكي اوتبكي اوتسمع شكاويها اوبواچيها

للزهره متحميها يحامي الجار بيك اشصار ... سيفك كلّت احدوده يو فرّيت يا كرار

يوم الگوم اجوا ليكم وجّوا بابكم بالنار ... والزهره تدافعهم ما تنغر يواليها

بيديها تدافعهم خوف او روحها راحت ... عنهم لوّذت بالباب عصروها لَما طاحت

كسروا للضلع بالباب طرحت محسن اوصاحت ... تعالي لي يفضه اتريد بس واحده تباريها[٨٢]

المحاضرة الثالثة

مراحل التنشئة الوراثية للطفل

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله :

« تخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ فَإِن العِرْقَ دَ سَّاس ». (٣٨)

مباحث الرواية الشريفة

المبحث الأول: تفسير الرواية

لقد توصَّل علماء الوراثة منذ أكثر من قرن بأبحاثهم الدقيقة إلى وجود موجودات صغيرة داخل الكروموسومات تنقل الصفات الوراثية والتي أسموها (الجينات)، وهذا ليس أمراً جديداً، فالرسول الأعظم والأئمة الطاهرون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الذين كانوا يكشفون الحقائق بنور الوحي والإلهام لم يُغْفِلُوا أمر هذا القانون الدقيق، بل أشير إليه في بعض النصوص منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة، وأطلق على عامل الوراثة فيها اسم (العِرْق)، وبعبارة أوضح: فإن المعنى الذي يستفيده علماء الوراثة اليوم من كلمة (الجينة)، هو نفس المعنى الذي استفادته الأخبار من كلمة (العِرْق)، كالمذكور في الرواية محل البحث (تخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ فَإِن العِرْقَ دَسَّاس).

وأما كلمة (دسّاس) من الدسّ، أي: أدخل الشيء في الشيء بخفاء، ومفاد الحديث: أنّ هناك خصائص معيّنة تنتقل بالنسب من الأصل وتدخل إلى الفرع.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوصي أصحابه بألا يغفلوا عن قانون الوراثة، بل يفحصوا عن التربة الصالحة التي يريدون أن يبذروا فيها؛ لكي لا يرث الأولاد الصفات الذميمة.[٨٤]

لكن يبقى سؤال: هل تشمل الوراثة انتقال الخصائص غير

الجسمانية إلى الذرّية، كالخصائص الذهنية والصفات النفسية... إلخ؟ وعلى فرض انتقالها هل يُمكن للإنسان بإرادته الحرّة واختياره نقض قانون الوراثة الطبيعيّ؟

نُشير في البداية إلى مقدّمة منهجية في هذا السياق، وهي أنّ العلاقة بين جسد الإنسان وروحه هي علاقة الاتّحاد التفاعليّ، بمعنى: أنّ روح الإنسان تؤثّر في بدنه، والخصائص البدنية للإنسان تؤثّر في روحه، وهذا يعني أنّ الإنسان الذي تكون له خصائص وصفات جسمانية معيّنة فسوف تؤثّر هذه الصفات والخصائص على صفاته الذهنية والنفسية، فمثلاً: بعض الغدد إذا أفرزت كمّية أكثر من المعتاد؛ يؤدّي ذلك إلى سرعة الغضب عند الإنسان، وإذا أفرزت بكمّية أقلّ من المعدل الطبيعيّ يُلاحظ على الإنسان الارتخاء.

ويكشف لنا التطوّر العلميّ يوماً بعد يوم إمكان السيطرة على مثل هذه الحالات في مرحلة ما من حياة الإنسان، فمثلاً: مرض (phenylketonuria)، الذي تنتج عنه أعراض التخلّف العقلي، هو مرض قابل للتوارث، ولكن إذا تمّ اكتشاف المرض عن طريق الفحوصات المطلوبة في وقت مبكر، كأن يكون قبل دخول الطفل في الشهر الثالث من عمره مثلاً، فإنّه يُمكن تجنّب تلك الأعراض بدرجة كبيرة، من خلال تجنّب تناول الأطعمة التي تحتوي على بروتينات خاصة تزيد من تراكم المادة الضارّة، والمتسبّبة في إحداث المرض؛ نتيجة تأثيرها على خلايا المخ. وقد أظهرت متابعة العديد من الحالات نجاحاً كبيراً، وتقدّماً ملحوظاً في النموّ العقليّ، حتّى يكاد يصبح الطفل طبيعياً في سنّ الخامسة من عمره تقريباً.(٨٥)

وهناك أمثلة كثيرة لا تُحصى في العلاقة بين تصرّفات الإنسان وسلوكه، وبين حالته الجسدية، وبعض هذه الخصائص الجسدية تنتقل إليه بالوراثة، وهذا ممّا لا شك فيه.(٨٦)

وبالعودة إلى السؤال: صرّح العديد من العلماء المسلمين بهذا الخصوص بالإيجاب، معتبراً أنّ هناك خصائص ذهنية: كالذكاء أو التبلّد والحمق.... ونفسية: كالكرم والشجاعة وسوء الخلق.... تنتقل من الأصل إلى الفرع بالوراثة.[٨٧]

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: «إنّ الآباء والأمّهات ينقلون قسماً من صفاتهم الجسمية والروحية إلى أبنائهم حسب قانون الوراثة الطبيعيّ»[٨٨]

ويقول الشيخ جعفر السبحاني: «إنّ الأولاد كما يرثون أموال الآباء وثرواتهم، يرثون أوصافهم الظاهرية والباطنية؛ فترى أنّ الولد يُشبه الأب أو العم، أو الأم أو الخال... وعلى ذلك فالروحيات الصالحة أو الطالحة تنتقل من طريق الوراثة إلى الأولاد، فنرى ولد الشجاع شجاعاً، وولد الجبان جباناً، إلى غير ذلك من الأوصاف الجسمانية والروحانية»[٨٩]

ومن الأدلّة على ذلك أيضاً: ما روي أنّ الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين قال لأخيه عقيل وكان نسّابة عالماً بأنساب العرب وأخبارهم: « انظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب، لأتزوّجها، فتلد لي غلاماً فارساً. فقال له عقيل: تزوّج أم البنين الكلابية، فإنّه ليس في العرب أشجع من آبائها. فتزوّجها الإمام علي »[٩٠]

فأنجبت له أبا الفضل العبّاس الذي دافع عن أخيه الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في كربلاء بشجاعة حتى استشهد دونه.[٩١]

المبحث الثاني: مراحل التنشئة الوراثية

حينما نستقرئ النصوص الشرعية نستخلص منها توصيات في هذا المجال في خمس مراحل، وهي كالآتي :

١ ــ مرحلة الانتقاء الزوجي.
٢ ــ مرحلة انعقاد النطف.
٣ ــ مرحلة الحمل.

٤ ــ مرحلة النفاس.
٥ ــ مرحلة الرضاعة.
حيث توجد مجموعة من العوامل التي تؤثّر في بناء شخصيّة الإنسان وتعديل وتحسين سلوكه، وهذه العوامل هي عبارة عن توصيات أمرتنا الشريعة الإسلامية بالالتزام بها في كل مرحلة من هذه المراحل الخمسة الخاضعة لعنصر الوراثة الطارئة، وهي كالتالي:

١ ـ مرحلة الانتقاء الزوجي:

راعى الإسلام في تعليماته لاختيار الزوجين الجانبين الوراثي الذي انحدرا منه، والجانب الاجتماعي الذي عاشاه وانعكاسه على سلوكهما وسيرتهما.

ففيما يتعلق بالجانب الوراثي: يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « أنظر في أيّ شيء تضع ولدك فإنّ العرق دسّاس »[٩٢]. وقد عقّب الإمام الخمينيّ -قدس سره- على هذا الحديث بقوله: «والمراد من الدسّاس أنّ أخلاق الآباء تصل إلى الأبناء»[٩٣]، فقد روي عن الإمام عليه عَلَيْهِ السَّلَامُ: « حسن الأخلاق برهان كرم الأعراق »[٩٤]

ومنها: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « تخيّروا لنطفكم، فإنّ النساء يلدن أشباه إخوانهنّ وأخواتهنّ »[٩٥]

وعنه: « اختاروا لنطفكم، فإنّ الخال أحد الضجيعين »[٩٦]؛ وذلك لأنّ الولد يكسب من صفات أخواله وأخلاقهم بالوراثة. قال العلامة محمد باقر المجلسي معلّقاً: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أحد الضجيعين»، لعلّ المراد بيان مدخلية الخال في مشابهة الولد في أخلاقه، فكأنّ الخال ضجيع الرجل لمدخليّته فيما تولد منه عند المضاجعة من الولد...»[٩٧][٩٨].

وأما ما يتعلق بالجانب الاجتماعي الذي عاشه الفرد وانعكس على سلوكه وسيرته فلقد حذّرنا الإسلام من المحيط غير

الصالح؛ ولذا نهانا من الزواج من الحسناء المترعرعة في منبت السوء فقال رسول اللّه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : « إياكم وخضراء الدمن .. المرأة الحسناء في منبت السوء »[٩٩]

وأكّدت الروايات على أن يكون التدّين مقياساً لاختيار الزوجة ، وكان رسول اللّه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يشجع على ذلك ، فقد أتاه رجل يستأمره في الزواج فقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ :« عليك بذات الدين تربت يداك »[١٠٠] وفيما يختص باختيار الزوج فأيضاً جعل الإسلام التدّين مقياساً في اختيار الزوج ، قال رسول اللّه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : « إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه »[١٠١]

٢- مرحلة انعقاد النطف:

المرحلة الثانية الخاضعة لعنصر الوراثة هي مرحلة انعقاد النطفة، فلقد حذّرت النصوص الروائية من الممارسة في حالات ومواقف وأزمنة معينة، وهي في الغالب غائبة عن البحث الأرضي؛ نظراً لعزلته عن إدراك أسرار التشريع.

علماً أن هذا التحذير لا يصل مرتبة الحرمة، ولكن فيه كراهة -عدا الجماع عند الطمث والنفاس ففيه الحرمة- ؛ لانعكاساته السلبية على سلامة الجنين وصحته الجسدية والنفسية، ومن تلك التوصيات ما يلي:

١. النهي عن الممارسة في حالات معينة:

ومنها النهي عن المجامعة في حالات الطمث، والاحتلام، والاختضاب، مشيراً إلى أنّ الممارسات التي تزامن الحالات المذكورة، تَسحب آثارها السلبية على الجنين في حالة انعقاد النطفة، أي: إذا قُدّر للنطف أن تنعقد خلال الحالات المذكورة. وتتمثل هذه الآثار السلبية في أعراض عقلية ونفسية وجسمية مثل (الذهان) و(العصاب): (كالنزعة العدوانية) ومثل العمى، والخرس، والبرص، والجذام... الخ.

ففيما يتصل بالتوصيات المحذّرة من الممارسة في حالة الطمث، يشير أحد النصوص إلى العرض الجسمي التالي، من خلال هذا التساؤل: (ترى هؤلاء المشوهين في خلقهم؟) قلت: نعم. قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:« هؤلاء: الذين يأتون نساءهم في الطمث »[١٠٢]

وفيما يتصل بالممارسة عقيب الاحتلام (وقبل الاغتسال منه)، يشير أحد النصوص إلى العرض العقلي الكبير (الذهان): قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « يكره أن يغشى الرجل المرأة وقد احتلم حتى يغتسل من احتلامه الذي رأى، فإن فعل فخرج الولد مجنوناً؛ فلا يلومن إلا نفسه »[١٠٣] وأما في ظاهرة (الاختضاب)، فان التوصية الآتية تحذّر من إمكان تأثير (التخنّث) على الجنين: تقول التوصية: « لا تجامع أهلك وأنت مختضب. فإن رزقت ولداً، كان مخنثاً »[١٠٤]. [١٠٥]

٢. النهي عن الممارسة في أوقات معينة:

ومن هذه الأوقات: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ومن مغيب الشمس إلى مغيب الشفق، وبعد الظهر مباشرة، وفي أول الشهر ووسطه وآخره، وفي الأوقات التي ينخسف فيها القمر، وتنكسف فيها الشمس وفي أوقات الريح السوداء والحمراء والصفراء، والأوقات التي تحدث فيها الزلازل، وشجع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ على غير هذه الأوقات، فبعض الأوقات لها تأثير على الجانب العاطفي للطفل وخصوصاً الأوقات المخيفة ، فينشأ الطفل مضطرباً هيّاباً متردداً ، والأوقات الأخرى قد تؤدي إلى إصابة الطفل بالجذام والحمق والجنون[١٠٦]. [١٠٧]

٣. النهي عن الممارسة في أوضاع معينة:

فهنالك بعض التوصيات المتعلقة في المباشرة، نذكر منها ما يلي:

روي عن رسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ :« لا تتكلم عند الجماع ، فإنه إن قضى بينكما ولد؛ لا يؤمن أن يكون أخرس

، ولا ينظرنَّ أحد في فرج امرأته، وليغض بصره عند الجماع، فإن النظر إلى الفرج يورث العمى في الولد» [١٠٨]

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « يكره أن يغشى الرجل المرأة وقد احتلم، حتى يغتسل من احتلامه الذي رأى، فإن فعل ذلك فخرج الولد مجنوناً؛ فلا يلومنَّ إلاّ نفسه»[١٠٩]

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « لا تجامع امرأتك من قيام؛ فإن ذلك من فعل الحمير، وإن قضى بينكما ولد؛ كان بوّالاً في الفراش..»[١١٠]

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « لا تجامع امرأتك بشهوة امرأة غيرك؛ فإني أخشى إن قضي بينكما ولد أن يكون مخنثاً، مؤنثاً، مخبلاً»[١١١].

ويفهم من هذه الرواية الشريفة: أن لا يتخيل الرجل امرأة أخرى في أثناءَ المباشرة، ونجد هذه الحالة انتشرت بعد انتشار الفساد والمواقع الإباحية؛ ولذا ترتب عليه كثرة عدد المخنثين في الآونة الأخيرة.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « إذا حملت امرأتك فلا تجامعها إلاّ وأنت على وضوء، فإنه إن قضي بينكما ولد يكون أعمى القلب، بخيل اليد»[١١٢]

وفي كل الأوقات يشجّع الإسلام على ذكر اللّه تعالى قبل المباشرة والتسمية عندها، إضافة إلى استخدام الأساليب المعمِّقَة لروابط الحب والودّ والرباط المقدس، كالتقبيل والعناق ورقة الكلمات وعذوبتها.[١١٣]

ويجب على الزوجين أن يحذرا من الجماع بوجود شخص آخر؛ لما له من تأثير خطير عليه، فعن أبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « والذي نفسي بيده لو أن رجلاً غشى امرأته، وفي البيت صبي مستيقظ يراهما، ويسمع كلامهما ونَفَسَهُمَا؛ ما أفلح أبداً: إن كان غلاماً كان زانياً، أو جارية كانت زانية. وكان علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا أراد أن يغشى أهله أغلق الباب، وارخى الستور، وأخرج الخدم »[١١٤].

الرد على تساؤلين:

التساؤل الأول: ربما ينكر بعضهم مثل هذه الأحاديث؛ لأن الممارسة قد حصلت في مثل هذه الظروف والأزمنة ولكن لم يترتب عليها أثر؟

ويجيب عليه علماؤنا بالنقاط الآتية[١١٥]:

أولاً: لا تأخذ هذه التوصيات - في لسان النصوص- طابعها الحتمي، بقدر ما تخضع لمجرد (الاحتمال)، من خلال التزامن... ويتضح هذا في مثل قوله ــ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « فإن قضي بينكما ولد...» [١١٦]، أي: إذا تزامن الانعقاد مع الموقف.

ثانياً: حتى مع التزامن، فإن التوصيات المحذّرة تشير إلى (احتمال) انسحاب السمة السلبية على الجنين، وليس إلى (حتمية) الانسحاب. ويتّضح ذلك في قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن بعض الممارسات: (فانه (يتخوّف) على ولد من يفعل ذلك بالخبل). وهذا يعني أن ثمة (احتمالاً) بانسحاب ظاهرة (الذهان) على ا لجنين .

إذن: الأعراض المذكورة تظل (جزءاً) من سبب، وليست (كل) السبب في العملية المذكورة. على أن المُشَرّع الإسلامي؛ نظراً لحرصه بالغ المدى على إبقاء النسل نقياً من كل شائبة، نجده يضع أمامنا كل فرص (الوقاية)، مُلحّاً على ضرورة تلافي أي (احتمال) يمكن أن يترك أثره السلبي على النسل: مع ملاحظة أن التحذيرات المذكورة تفسر لنا بعض الأسباب الكامنة، وراء ظهور الأعراض المرضية المختلفة، فيما لا يزال الطب العقلي والنفسي عاجزاً عن تشخيص (أسبابها)، بخاصة فيما يتصل بالمواقف والأزمنة المحظورة: الغائبة عن البحث الأرضي، بسبب عزلته عن أسرار التشريع كما قلنا.

التساؤل الثاني: قد يستنكر بعضهم لما يقرأ مثل هذه الأحاديث ويستهزئ بها، كقولهم: ما دخل الجماع بالأوقات والأوضاع وبعض الحالات؟!

الجواب: أن في عالمنا الذي نعيش فيه كثير من الخفايا والأسرار التي نجهلها، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١١٧)، فنحن نعيش في عالمين عالم المُلك وهو الدنيا، وعالم الملكوت وهو العالم المجهول الذي لا تدركه حواسُّنا، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾(١١٨).

ومعلوم أن هذا الكون قائم على الأسباب والمسببات، منها أسباب مادية تدركها الحواس: كإدراكنا أن النار سبب في الإحراق، وشرب الماء سبب في رفع العطش...

وهناك أسباب غيبية: قسم منها يدركها العقل بآثارها رغم أن حواسنا لا تدركها: كسريان التيار الكهربائي في السلك، ووجود الجاذبية، وتأثيرها على الأشياء... وهناك أسباب غيبية لا تدركها حواسُّنا قد أخبرنا عنها الخالق عن طريق رسله وعلى رأسهم محمد وآل محمد عليهم السلام: فالصدقة يروى أنها تدفع البلاء، أما ما علاقة الصدقة بدفع البلاء النازل عليّ؟ وما هي الكيفية؟ ومن هم الذين دفعوا البلاء؟ هذه التفاصيل لا علم لنا بها ...ولكن عقولنا أدركتها حينما صدّقت أنها صادرة من نبي ﴿ وما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (١١٩)، وأيضًا ربما هذه التفاصيل أخفاها عنّا؛ من أجل حكمة ومصلحة، منها: الاختبار والامتحان بالاعتقاد بعالم الغيب؛ فلذا عُدّ الإيمان بالغيب من أول صفات المتقين، قال تعالى: ﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ (١٢٠)

ومن تلك الأسباب الغيبية: هي أن الابتعاد عن المحرمات، بل والمكروهات ينعكس إيجاباً على الطفل، فإن عمل الإنسان خيراً أو شراً ربما عاد إليه في ذريته وأعقابه، قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ (١٢١).

فظاهر الآية: إن لصلاح أبيهما دَخْلاً فيما أراده اللّه، ورحمةً بهما، وقال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عليهم﴾[١٢٢]. وعلى هذا فأمر انعكاس العمل أوسع وأعم، والنعمة أو المصيبة ربما تَحُلّان بالإنسان؛ بما كسبت يدا شخصه أو أيدي آبائه.[١٢٣]

فكما أن تناول دواء من غير استشارة الطبيب قد يؤدي إلى تشوُّه الطفل، فكذلك الإقدام على الأفعال القبيحة والمحرمة يؤثر على نفسية الطفل ويُشَوِّه روحه؛ فيجعلها غير قابلة للكمالات والاستعدادات الروحية؛ لأن الأفعال لها تَجَسُّمَات، فإن أكل مال اليتيم هو حقيقة عن أكل النار لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[١٢٤].[١٢٥]

والعلم كلما تقدم يؤيد لنا مثل هذه الحقائق المذكورة في مصادر التشريع، ومنها: تأثير الأزمنة على بعض السلوكيات، فلقد (أثبت العلم بأن دوران القمر حول الأرض، ودوران الأرض حول الشمس، له تأثيرٌ على الظواهر الكونية الأرضية، ومنها ظاهرة المدّ والجزر، وهذا التأثير لا يختص بالجمادات بل يشمل الكائنات الحية كالإنسان؛ فقد وصف الطبيب النفسي الأمريكي أرنولد ليبر في كتابه (مفعول القمر) ارتفاع أعداد الجرائم وحوادث الطرق عند اكتمال البدر؛ مما دفع بالسؤال الآتي إلى واجهة مراكز البحوث: هل يحرك البدر المجرمين؟ وهل يتصرف حقاً أناس كثيرون بشكل غير معقول عندما يكتمل القمر؟ وكانت مدينة (لدفكسهافن) الألمانية قد أصدرت تعليمات تلزم عدداً أكبر من الشرطة بالقيام بالواجب عندما يكون القمر بدراً؛ إذ إن ما لا يقل عن ٥٠ حادثة فأكثر تحصل في الليالي المقمرة؛ إن نظام السوائل أي الإنسان يتكون بنسبة ٦٦٪ من الماء واستناداً لذلك فإنه يمكن التكهّن أن أجسادنا كذلك تخضع لحركة المد والجزر)[١٢٦]

فمن خلال مدّ عال في نظام الهرمونات يمكن أن يحصل وضع استثنائي لدى أناس شديدي الحساسية.. وربما -واللّه العالم- مثل هذه الظواهر لها تأثير سلبي على النطفة المنعقدة في ذلك الوقت بسبب حدوث خلل في هرمونات الإنسان.

٣ـ مرحلة الحمل:

المرحلة الثالثة الخاضعة لعنصر الوراثة هي مرحلة الحمل، فإن لها علاقة في عملية تحسين النسل. وقد قدّم المُشرّع الإسلامي توصيات متنوعة ينبغي مراعاتها وهي كالآتي:

١.مراعاة الحالة الروحية: (المؤمنة التي تحرص على إنجاب ولد صالح يجب أن تأخذ على عاتقها مضاعفة الأمور المستحبة، وعدم ترك الواجب لأي عذر من الأعذار، ولتقوي علاقتها باللّه سبحانه وتعالى؛ فتكن على طهارة دائماً لأن اللّه سبحانه وتعالى يحب المتطهرين. فإن البقاء على الطهارة ليس بالأمر الصعب ولا الشّاقّ بل هو أمر سهل يسير؛ فإذا أحبك اللّه فإنه سيكافئك برحمته ونظره إليك؛ فإن نظر اللّه إليك ظهرت عليك الإشراقات الربانية مما تنعكس هذه الأنوار على الجنين فيكون سعيداً في بطن أمه.

ومن الأمور التي لها أثر واضح هو قراءة القرآن، ويكفيك أن تعلم أن السيد محمد حسين الطباطبائي علم الهدى هذا الطفل المعجزة ما خرج بهذه الصورة إلا ببركة أن والديه يقرآن يومياً جزءاً من القرآن؛ فكانت هذه حالتهما منذ بداية زواجهما حتى الآن فكافأهما اللّه بهذا الولد الذي يُعَدُّ معجزة في قرننا هذا، زاده اللّه توفيقاً إلى توفيقاته)[١٢٧]

٢.مراعاة النظام الغذائي: من خلال أمرين:

١. الامتناع عن بعض الأطعمة: فقد أوصى رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بمنع الزوجة في أسبوعها الأوّل من (الألبان والخلّ والكزبرة والتفاح الحامض)؛ من أجل ضمان سلامة الجنين الجسديّة والنفسيّة لكون هذه المواد لها تأثير على تأخّر الإنجاب، واضطرابه، وعسر الولادة، والإصابة ببعض الأمراض التي تؤثّر سلباً على الحمل وعلى الوليد.[١٢٨]

٢.الحث على تناول بعض الأطعمة، ونذكر منها ما يلي:

✿ التغذية باللبان: روي عن رسول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : « أطعموا نساءكم الحوامل اللّبان، فإنّه يزيد في عقل الصبي ». [١٢٩]
ويقول الإمام علي بن موسى الرضا عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ:« أطعموا حبالاكم اللبان: فإن يك في بطنها غلام: خرج زكي القلب شجاعاً. وإن تكن جارية: حسن خلقها وخلقها». [١٣٠]
✿ التمر: روي عن رسول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : « أطعموا المرأة في شهرها الذي تلد فيه التمر، فإنّ ولدها يكون حليماً نقياً » [١٣١]

ففي هذه النصوص إشارة واضحة إلى أهمية التغذية المذكورة، وصلَتُها بتحسين النسل من حيث السمات العقلية والنفسية: كالذكاء، والشجاعة، وحسن الخلق.

✿ السفرجل: فقد روي عن رسول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بشأنه: « كلوا السفرجل؛ فإنّه يجلو البصر، وينبت المودّة في القلب، وأطعموه حبالاكم فإنّه يحسّن أولادكم » [١٣٢]، وفي رواية أخرى أنه « يصفّي اللون» [١٣٣]

وهذا الحديث يدّل بأن تناول بعض الأطعمة لها خصوصية في تحسين النسل من حيث السمات الجسدية بالإضافة إلى ا لنفسية .

٤ـ مرحلة النفاس:

المرحلة الربعة الخاضعة لعنصر الوراثة هي مرحلة النفاس التي تمثل أياماً معدودات، تصاحبها عادةً تغيرات جسمية ونفسية، ويظل عنصر (التغذية المنتقاة) على صلة بها من حيث انسحابها على سمات الطفل. وقد أوصى المشرّع الإسلامي بتناول نمط من التغذية في هذه المرحلة هي: تناول (الرطب): نظراً لانسحابه على السمة (المزاجية) للطفل، متمثلة في سمة (الحلم).

وفي هذا الصدد، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « لا تأكل نفساء -يوم تلد- الرطب، فيكون غلاماً: إلا كان حليماً، وإن كانت جارية، كانت حليمة » [١٣٤] ويقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ مشيراً إلى أحد أنواع التمور، وهو (البرني)، مؤكداً أهميته في انسحاب السمة المتقدمة (الحلم) على الطفل .قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « خير تموركم البرني، فأطعموا نساءكم في نفاسهن: تخرج أولادكم حلماء »[١٣٥] وواضح أن سمة (الحلم) تعدّ من أبرز ملامح الشخصية السوية، حيث تمثل قدرة فائقة على التحكم في الانفعالات وضبطها، والالتزام بالتوصية المذكورة، يعني: تهيئة الطفل لتحسين بالغ الخطورة في شخصيته لاحقاً.[١٣٦]

٥ـ مرحلة الرضاعة:

المرحلة الخامسة الخاضعة لعنصر الوراثة هي مرحلة الرضاع، فالحليب هو المصدر الأساسي والوحيد لتغذية الطفل في الأشهر الأولى من حياته، وأفضل الحليب حليب الأم؛ لأن عملية الرضاعة لها تأثيرها على الجانب العاطفي للطفل، والأم أفضل من تمنحه الحنان والدفء العاطفي بدافع غريزة الأمومة التي أودعها اللّه تعالى في المرأة ، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ : « ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمه » [١٣٧]

وتخبرنا الشريعة الإسلامية بأن المرضعة لها أثر كبير على سلوك الطفل: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أنظروا من ترضع أولادكم فان الولد يشب عليه » [١٣٨] فهذا النص يعني بوضوح أن شخصية الطفل، ستشب على نمط الحليب الذي يتناوله، ساحباً أثره على سلوكه اللاحق.

لذا فالشريعة تحذّر مثلاً من شاربة الخمر، وآكلة لحم الخنزير. ونهى الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ من الاسترضاع من المرأة

الزانية فقال: « لا تسترضعها ولا ابنتها » [١٣٩]

والحكمة في النهي: تأثير اللبن على طباع الطفل، فالمرأة الزانية تعيش حالة القلق والاضطراب النفسي والشعور بالإثم والخطيئة من أول يوم انعقاد الجنين، وتبقى على هذه الحالة في جميع فترات الحمل وفي أثناء الولادة، وهذا القلق والاضطراب يؤثر في التوازن الانفعالي للطفل. [١٤٠]

وعلى المؤمنة الحامل والمرضع الحريصة على صلاح ولدها أن لا تغفل عن الورع عن محارم اللّه بحجة أن الطفل صغير ولا يتأثر إلا إذا صار مميزاً، بل إن المعصية تؤثر على الجنين والرضيع لكونه يتغذى من أمه...

(ينقل أن أحد العلماء الأبرار رضوان اللّه عليه- ذهب إلى الخباز لكي يشتري خبزاً فرأى الخباز في حالة استماع إلى الغناء، فتركه وانصرف، ولاحظ الخباز ذلك فأوقف العالم، وسأله عن سر إعراضه عنه فقال ذلك العالم: رأيت أن القوة التي تعطيك الطاقة في العمل هي استماعك للغناء. فهذه الحالة غير مرضية للّه، وهذا الخبز يكون قد وصل إلينا في أثناء غضب اللّه فعندها لا نرى للطعام خيراً..

فكذلك حالة المولود إذا كان يتناول الغذاء ، وأمه في حالة الإشراق الإلهي سيكون لهذا الحليب لذة. بخلاف هذا لو كانت أمه في حالة معصية -والعياذ باللّه- كأن ترضع ولدها وهي تغتاب، فإن الحليب سيكون منشأ أكل لحم أخيه ميتاً أي محرماً فيؤثر على مزاج الطفل وروحيته المعنوية، وهكذا باقي حالات المعاصي حيث لها أثر على نفسية الإنسان.

ومن اللطيف أنه لما وصلت زمام الأمور للشيخ الأنصاري ذهب بعض الناس ليبارك لأمه على هذا المولود الذي أصبح من كبار العلماء فأجابتهم أم الشيخ قائلة: كنت أتوقع من هذا الولد أكبر

من ذلك؛ لأني خلال سنتين كنت لا أرضعه إلا على الوضوء. حتى في نصف الليل إذا أفاق وأخذ بالبكاء قمت -أولا- بالوضوء ثم أرجع لكي أرضعه)[١٤١].

فهذه التوصيات التي ذكرناها إذا طُبِّقَت فسوف يكون لها تأثير إيجابي على الولد، بالإضافة إلى ذلك، فإن هناك جملة من الآداب حثت الشريعة على مراعاتها منذ ولادة الطفل ومنها تسمية الطفل؛ فإنه حق من حقوق الطفل على الوالد، فقد روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « حق الولد على والده أن يحسن اسمه ... » [١٤٢]

وروى عن أنّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : « سمّوا أولادكم ، فإن لم تدروا أذكر هم أم أنثى فسموهم بالأسماء الّتي تكون للذكر والأنثى ، فإنّ أسقاطكم إذا لقوكم يوم القيامة ولم تسمّوهم ، يقول السقط لأبيه : ألا سمّيتني وقد سمّى رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسلّم محسناً قبل أن يولد » [١٤٣].

نعم أن المحسن من أسماء اللّه الحسنى ومعناه كثير الإحسان وفاعل الخير، والمخلص، والمحسن هو ابن علي وفاطمة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وهو أول وأصغر شهيد من آل طه، حيث يروى انه بعد وفاة رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هجم القوم على دار الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ ، طالبين من الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يُبايع أبا بكر، وحينها خرجت الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ للقوم تطلب منهم أن يتركوا الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأصرّوا على خروجه للبيعة، وعندها رفس رجل من القوم الباب، وكانت الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ خلف الباب وهي حامل بالمحسن، وعلى أثر ذلك أسقطته ميّتاً، وكانت وفاته في أوائل ربيع الأوّل ١١هـ بالمدينة المنوّرة، ودُفن فيها.

ويروى من مصادر أهل السنة[١٤٤]: إنّ عمر ضرب بطن السيدة فاطمة يوم البيعة حتّى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: «أحرقوا دارها بمَن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين»

وبعض الروايات تنسب القتل إلى اتباع عمر المأتمرين بأمره الذين كانوا معه في تلك الحادثة

ساعد اللّه قلب السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، وكأن لسان حالها يقول:

(نصاري)

يبو ابراهيم من عگبك مظلمه الدار تدري ابيوم بويه هجمت الأشرار
البيت ابحطب رادت تحرجه ابنار والدخان من گبّر غدت رنّه
گمت للباب لاكن ما عليّه احجاب اوحس بيه الرجس من لذت خلف الباب
عصرني واسگطه المحسن او صدري انعاب اكسرواضلعي اوجنيني ايست منه(١٤٥)

(أبوذية)

ادموعك يا المحب ادموم سلها على الماتت ونين الليل سلها
إذا تنسه المصاب الباب سلها على المحسن او عن ضلع الزچيه

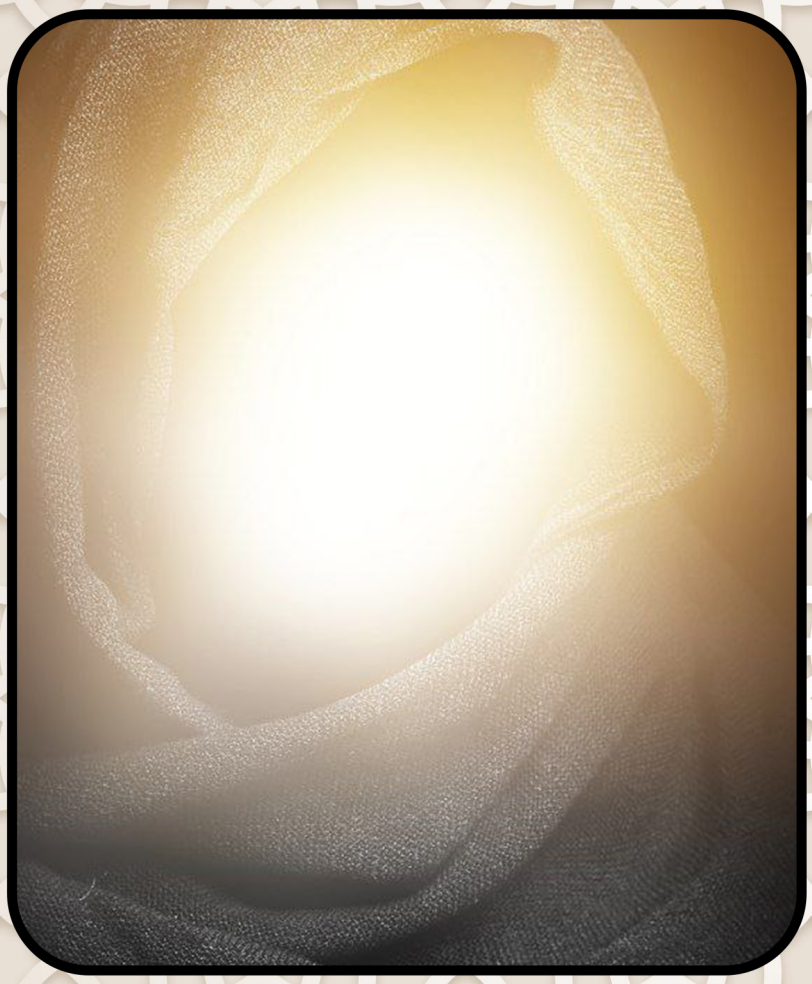

٥ ربيع الأول

وفاة السيدة سكينة بنت الإمام الحسين (عليها السلام)

عظم الله أجركم وأحسن الثواب

الشرفاوي

المناسبة

وفاة السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليهما السلام

للشاعر هاشم الكعبي

وثواكلٌ في النوح تسعد مثلها ... أرأيت ذا ثكل يكون سعيداً
ناحت فلم ترمثلهن نوائحا ... اذ ليس مثل فقيدهن فقيدا
لا العيس تحكيها اذا حنت ولا ... الورقاء تحسن عندها الترديداً
ان تنع اعطت كل قلب حسرة ... او تدع صدعت الجبال الميدا
عبراتها تحي الثرى لو لم تكن ... زفراتها تدع الرياض همودا
وغذت اسيرة خدرها ابنة فاطم ... لم تلق غير اسيرها مصفودا
تدعو بلهفة ثاكل لعب الاسى ... بفؤاده حتى انطوى مفؤدا
تخفي الشجا جلداً فان غلب الاسى ... ضعفت فأبدت شجوها المكمودا
نادت فقطعت القلوب بشجوها ... لكنما انتظم البنيان فريدا
انسان عيني يا حسين اخي ... يا املي وعقد جماني المنضودا [١٤٦]

شعر شعبي:

أجرك معظّم يا غريب الغاضرية ... سكنة لفاها الموت وحضرتها المنية
گاست مصايب ما مثلها گاست الناس ... عاينت ذبحك وذبح البطل عباس
وتشهيرها بالمصار منّها الراس ... من مجلس لمجلس سبوها الهاشمية
شافت شمر جاثي وبارك فوگ صدرك ... گابض لشيبك يحز بالسيف نحرك
وعاينت الخيل كيف رضت خرز ظهرك ... واعظاء جسمك وزعتها لاعوجية

وعاينت جسمك يالولي مرمي على الگاع ... محزوز نحرك والصدر مرضوض لضلاع
وفرّت مع النسوان ومنها الگلب مرتاع ... من حرگو الخيمات عسكر ال اميّة
ويلي شحجي شعدد من مصايب عاينتها ... واعظم مصيبة جرت وانت لشفتها
يوم لذي سوطه ابن الخنا ألّم متنها ... وتبكي على صدرك ودمعتها جريّة
ما ننسى محنتها ومصيبتها بعاشور ... يوم لفرّت ومنها الدمع منثورا
طاحت على جسمك تحب نحرك المنحور ... وتصيح بويه گوم شوف اشحّل عليه
وظلت عگب هذا على مصابك حزينة ... تبجي وتنصبلك عزا بأرض المدينة
وتصيح مفجوعة ابويه حسين وينه ... صارت دياره عگب نوره خلِّية

المحاضرة الرابعة

رضا الناس غاية لا تُدرك

روي عن الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

« رِضا الناس غايةٌ لا تُدرك، فتحرّ الخير بجهدِك، ولا تبال بسخطِ من يرضيه الباطل » [١٤٧]

مباحث الرواية العَلويّة

المبحث الأول: هل تدرك الغاية برضا الناس أم برضا الله؟

كما هو معلوم أن اللّه تعالى لم يخلق الإنسان عبثاً بلا هدف ولا غاية، قال تعالى في سورة المؤمنون: ١١٥ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ والعبث يطلق على الشيء الذي لا غاية حقيقية له وهو يأتي في قبال الحكمة.

إن الهدف من الحياة هو نيل رضا اللّه تعالى الذي يترتب عليه الخلود في جنات عدن، قال تعالى في سورة البينة: ٨ ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾.

سؤال: كيف أرضي اللّه تعالى؟

الجواب: بالإقرار للعبودية للّه تعالى، قال تعالى في سورة الذاريات: ٥٦ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعبُدُونِ﴾، والعبادة تعني الطاعة المطلقة للّه تعالى، تعني التقوى[١٤٨] التي بها ننال رضا اللّه تعالى، فعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « وأوصاكم بالتقوى، وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه ».[١٤٩]

وعنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «هيهات! لا يخدع اللّه عن جنّته، ولا تنال مرضاته

إلّا بطاعته».[١٥٠]...

وبما أن اللّه تعالى أمرنا بطاعة الرسول وآل الرسول عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لذا لن ننال رضا اللّه إلا بنيل رضا محمد وآل محمد عنّا. قال الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (رضى اللّه رضانا أهل البيت).[١٥١]

نستنتج من ذلك أن نيل رضا اللّه غاية تُدرك-أي يمكن الوصول إليها-باتباع نهج أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالأخص العمل بالواجبات وترك المحرمات.

ولكن السؤال المطروح هو: هل رضا الناس، غاية تدرك أم لا تدرك؟، أي هل رضا الناس غاية يمكن الوصول إليها أم لا؟

الجواب يرد عليه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحديث محل البحث قائلًا: « رضا الناس غاية لا تدرك »، والسبب يذكره الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ».[١٥٢]

إن الناس قسمهم اللّه تعالى إلى قسمين رئيسيين: ﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١٥٣]، فاللّه تعالى لم يقل: (منهم المؤمنون ومنهم الفاسقون)، بل اللّه حدد النسب بقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، أي أن أكثرية الناس من الفاسقين، وصفات الأكثرية أنهم كارهون للحق، قال تعالى في سورة الزخرف: ٧٨﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

إذن القسم الأول وهم المؤمنون المتبعون للحق المتمثل باللّه عز وجل ورسوله وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهم القلّة الذين لا يرضون إلا على المؤمن المتبع لذلك الحق، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لكل شيءٍ شيءٌ يستريح إليه، وإنَّ المؤمن يستريح إلى أخيه المؤمن كما يستريح الطير إلى شكله»[١٥٤]، فكما قيل (الطيور على أشكالها تقع).

وأما القسم الثاني وهم الفاسقون الكارهون للحق المتمثل باتباع الهوى والشهوات وشياطين الأنس والجن، فهم الأكثرية الذين لا يرضون إلا ما ترضاه أهواؤهم وشهواتهم ومصالحهم، ومن شابههم في الفسق، رُوِيَ عَنْ الإمام عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب عليه السَّلام أنهُ قَالَ: النفوس أَشكال، فما تشَاكل منهَا اتفق، وَالناس إلى أشكالهم أميل.(١٥٥)

إذن نفهم من المبحث الأول أن غايتنا في نيل الرضا ننالهُ برضا اللّه وأوليائه المخلصين لا برضا الناس.

المبحث الثاني: ماذا نفهم من عبارة « رضا الناس غاية لا تدرك»؟

قد يفهم بعضهم أن قول الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « رضا الناس غاية لا تدرك» بمعنى أن نستخف بالناس ولا نهتم بهم ولا نداريهم؛ لأننا بكل الحالات لن ننال رضاهم!!

وهذا المعنى غير صحيح لأنه يتعارض مع تعاليم الشريعة التي تحثنا على مداراة الناس، فقد روي عن رسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش.(١٥٦)

ولا يعني قول الإمام «رضا الناس غاية لا تدرك» أن لا نسعى لنيل رضا بعضهم كالوالدين؛ لأنه يتعارض مع بر الوالدين، فقد روي عن رسول اللّه صلى اللّه عليه واله وسلم قال: «رضى اللّه مع رضى الوالدين».(١٥٧)

ولا يعني أن لا تسعى الزوجة لنيل رضا زوجها؛ لأنه يتعارض مع حسن التبعل، فقد روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال:« لا شفيع للمرأة أنجح عند ربها من رضا زوجها».(١٥٨)

سؤال: إذن ماذا تعني هذه العبارة؟

الجواب: الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قوله «رضا الناس غاية لا تدرك»

كأنما يوجه لنا رسالة تحتوي المضامين الآتية:

١.إذا كنت على حق وبصدد أن تنال رضا اللّه تعالى، ولكن بعض الناس عارضوك في طاعتك للّه، ولن يرضوا عنك إلا إذا عصيت اللّه تعالى، فهنا لا تبالي ولا تهتم بمن لا يرضى عنك حتى لو كان والدك أو زوجك، فقد روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». وروي عن الرضا عن آبائه، عن علي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال: «لا دين لمن دان بطاعة مخلوق في معصية الخالق».(١٥٩)

٢. إذا كنت على الحق ولم يرضَ عنك الناس وانتقدوك وعابوك فلا تحزن؛ لأنه يكفيك فخرا رضا اللّه عز وجل وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عنك... لا تحزن حتى لو ترتب على عدم رضا الناس أن تكون وحيدا فريدا، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ:« أيها الناس لا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ».(١٦٠)

ولذا فالمرأة التي تريد أن تلتزم بأحكام العفة والحجاب الشرعي الكامل بأن ترتدي الثياب الفضفاضة السميكة وترفض نفخ الشفاه وتركيب الرموش الاصطناعية، وصبغ الأظافر ووضع المكياج فحتمًا لن تنال رضا كل الناس... فينبغي أن لا تحزن ولا تستغرب من عدم رضا الفاسقين عنها وانتقادها والاستخفاف بها ووصفها بالتخلّف والرجعية لكونها لا تواكب الموضة، وبعضهم الآخر يصفها بالقبح والحمق؛ لأنها لا تظهر مفاتنها للرجال الأجانب... إ لخ

وأما المتقون فهم الراضون عن كل من يُرضي اللّه، ومنه رضاهم عن المرأة المحتشمة ويعبّرون عن رضاهم بالاحترام والتكريم والمدح...فالمؤمنة التي لديها كرامة هي التي تقر بالعبودية للّه تعالى فقط لذا تسعى طوال حياتها لنيل رضاه، وترفض عبودية الناس، ولذا لا تهتم بنيل رضاهم المتوقف على معصية اللّه، وهذا هو المنهج الذي سلكه أئمتنا المعصومون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

٣. إن كلام الناس الحسن والقبيح لن يغير من جوهرنا. فلو كان جوهرنا قبيحًا فلن يتغير إلى حَسَن بمدح الناس لنا، وإذا كان جوهرنا حسنًا فلن يتغير إلى قبيح بذَّم الناس لنا، وهذا المعنى روي عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما قال لهشام بن الحكم: « يا هشام لو كان في يدك جوزة وقال الناس: لؤلؤة ما كان ينفعك وأنت تعلم أنها جوزة، ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس: أنها جوزة ما ضرك وأنت تعلم أنها لؤلؤة ».[١٦١]

٤.إن الناس ليسوا الميزان الذي يحدد قيمتك؛ لأن أكثرهم فاسقون، بل الذي يحدد قيمتك هو تقواك الذي به تنال رضا اللّه تعالى، قال تعالى في سورة الحجرات، الآية١٣: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

ولذا نستغرب من بعضهم الذي يقيّم نفسه على أساس كلام الناس، سواءً في الواقع الميداني أو في العالم الافتراضي كمواقع التواصل الاجتماعي، فالمرأة المتبرجة التي تسمع أو تقرأ تعليقات المدح من قبل الرجال الفسقة تراها تفرح، ويأخذها الغرور، وتشعر بأن قيمتها أثمن مما تتوقع، ولذا تندفع أكثر لنيل رضاهم بإظهار مفاتنها ومحاسنها بنسبة أكبر. بينما بعض النساء الملتزمات بالحجاب الشرعي الكامل عندما لا تسمع أو تقرأ مدحًا من الناس، بل تسمع ذمًا من بعضهم تحزن وتشعر بالنقص؛ لأن الناس غير راضية عنها؛ لذا فضعيفة الإيمان تحاول إرضاء الناس بأن تفعل ما يحبونه ولو كان فعلها يسخط اللّه تعالى.

أختي ابنتي الكريمة لا تسمحي لأحد أن يقيّمك إلا اللّه والمعصومون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فأنت لست لعبة بيد أناس فسقة، فاللّه تعالى أمرنا أن نتعامل معهم بحذر شديد لأن الفاسق لا يتورع من الكذب و البهتان و يرتكب المعاصي و الذنوب و يجري خلف أهوائه فلا يمكن الاعتماد على رأيه إلا بعد التحقيق و التبَيُّن، قال اللّه عزَّ و جَلَّ في سورة الحجرات، الآية٦: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ .

٥.قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «رضا الناس غاية لا تدرك» غير مختص بعوام الناس بل يشمل حتى من اصطفاهم اللّه من البشر وأرسلهم إلى الناس، ومنهم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فرغم أنه خير خلق اللّه بعد رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأنه أكثرهم رحمة وأحسنهم خُلقا إلا أن بعض الناس لم ترضَ عنه وكانت تتكلم عنه بسوء، كالمنافقين والقاسطين والمارقين والناكثين. وهكذا الحال مع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فقد روي أنّ النبيّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «يا ربّ احبس عنّي ألسنة بني آدم، فإنّهم يذمّوني، وقد آذوني-وقد أشار تبارك تعالى في سورة الأحزاب، الآية ٦٩: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾.... قيل: فأوحى اللّه جلّ جلاله إليه: يا موسى هذا شيء ما فعلته مع نفسي، أفتريد أن أعمله معك؟! فقال: قد رضيت أن يكون لي أسوة بك»[١٦٢]

وصدق الشاعر حينما قال:

وَما أَحَدٌ مِن أَلسُنِ الناسِ سالِما ... وَلَو أَنَّهُ ذاكَ النَبِيُّ المُطَهَّرُ
وَإِن كانَ سِكّيتًا يَقولونَ أَبكَما ... وَإِن كانَ مِنطيقًا يَقولونَ مِهذَرُ
وَإِن كانَ صَوّامًا وَباللَيلِ قائِمًا ... يَقولونَ زَرّافٌ يُرائي وَيَمكُرُ
فَلا تَحتَفِل بِالناسِ في الذَمِّ وَالثَنا ... وَلا تَخشَ غَيرَ اللَهِ فَاللَهُ أَكبَرُ [١٦٣]

النتيجة أننا مهما عملنا لن نصل لغايتنا في نيل رضا جميع الناس، بينما نيل رضا اللّه غاية ممكن إدراكها.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على نيل رضا المخلوق بسخط الخالق

رُبّ تساؤل يرد: ما الذي أخسره إن كنتُ أسعى إلى إرضاء المخلوقين بسخط الخالق؟

ونجيب عن ذلك بالنقاط الآتية:

١. الاستغلال: إن كنتَ ممَّن يسعون إلى إرضاء أمثال هؤلاء فستكون ضحيَّة للاستغلال؛ حيث سيميلون إلى استخدامك كوسيلة للوصول إلى طموحاتهم وأهدافهم. روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ طَلَبَ رِضَا مَخْلُوقٍ بِسَخَطِ الْخَالِقِ سَلَّطَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمَخْلُوقَ».[١٦٤]

فالزوجة التي هي بصدد نيل رضا زوجها في الحرام كطاعته في التبرج والتزين خارج المنزل، وفي قطع صلة الرحم وغيرها من المعاصي، فسوف يستغلها كأن يسلب حقوقها الزوجية أو المالية، ومن ثمَّ ستكون هي السبب في دفعه لظلمها.

وهكذا الحال مع الوالدين الذين هما بصدد إرضاء أولادهم بسخط الخالق، كالأم التي تمدح وتحث ابنتها على التبرج، فسوف تستغلها ابنتها في ارتكاب معاصٍ أخرى، ويترتب على الأم أنها ستكون شريكة مع ابنتها في الإثم، فقد روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من أحب قوما حشر معهم، ومن أحب عمل القوم أشرك في عملهم».[١٦٥] لذا ينبغي الحذر من الناس وعدم ارضائهم بسخط الخالق حتى لو كانوا أزواجًا وأولادًا، قال تعالى في سورة التغابن، الآية١٤: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾.

٢.يسخط عليه الناس ويذمونه: إن من يسعى لنيل رضا الناس بسخط الخالق سوف يعاقبه اللّه بأن يسخط عليه، ويجعل هؤلاء الناس يسخطون عليه أيضاً، فقد روي عن الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «.. مَنْ أَطَاعَ الْخَالِقَ لَمْ يُبَالِ بِسَخَطِ الْمَخْلُوقِينَ وَ مَنْ أَسْخَطَ الْخَالِقَ فَلْيُوقِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِ سَخَطُ الْمَخْلُوقِينَ».[١٦٦]

وروي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من التمس رضا اللّه بسخط الناس؛ رضيَ اللّه عنه، وأرضى عنه الناسَ، ومن التمس رضا الناس بسخط اللّه، سخط اللّه عليه، وأسخط عليه الناسَ».[١٦٧]

ومن مصاديق سخط الناس له أنهم يذمونه ولو كانوا ظاهرا يمدحونه، فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من طلب مرضاة الناس بما يسخط اللّه كان حامده من الناس ذامًّا»[١٦٨]، أي الإمام يكشف لنا حقيقة أمثال هؤلاء الذين يمدحون معصيتك بأنهم منافقون لأنهم يمدحونك ظاهراً ويذمونك باطناً، فالمرأة المتبرجة المتجاهرة بالفسق التي سمعت مدح امرأة لها فلا تفرح؛ لأن غيرتها سوف تدفعها لحسدك وإخراج عيوبك وذمّك لكي تطفي نار الحقد... والواقع الذي نعيشه يثبت ذلك.

٣. يَكِلُهُ اللّه إلى الناس فلا ينال منهم سوى الذلة والمهانة: روي عن أبي عبد اللّه الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن أبيه، عن جدّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «كَتَبَ رجل إلى الحسين بن عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا سيّدي أخبرني بخير الدنيا والآخرة، فكَتب إليه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بسم اللّه الرحمن الرحيم أمّا بعد فإنّه مَن طلب رضا اللّه بسخط الناس كفاه اللّه أمور الناس، ومن طلب رضا الناس بسخط اللّه وكله اللّه إلى الناس والسلام».[١٦٩]

وروي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: من التمسَ رضا اللّه بسَخط النَّاس كفاهُ اللّهُ مؤنةَ النَّاس، ومن الَتمسَ رضا النَّاسِ بسخطِ اللّهِ وَكلَهُ اللّهُ إلى النَّاسِ.[١٧٠]

ففي هذا الحديث يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَن الْتَمَس رضا اللّه بسَخط النَّاس»، أي: أيُّما أحَد سعى في الفوز برضا اللّه عزَّ وجلَّ وطلَب مَرْضاة اللّه عزَّ وجلَّ ولَو كلَّفه ذلِك كُرْهَ النَّاس له وعدَمَ رضاهم عنه وسخَطهم عليه، «كفاه اللّه مُؤنةَ النَّاس»، أي: حَفظه اللّه من سخَط النَّاس عليه وأرضَى عنه النَّاسَ، وكفَاه همَّ ذلك، «ومَن الْتمَس رضا النَّاس بسخَط اللّه»، أي: وأيُّما أحد سعَى في الفوز برضا النَّاس، ونَيْل مَرْضاتهم بمعصية اللّه وعَدَم المبالاة بما أمَر وما نهى، وعدَمَ الاحترازِ من سخَط اللّه، «وكلَه اللّه إلى النَّاس»، أي: ترَك أمْرَه إلَى النَّاس، فيسلب منه التوفيق، ويقع في حرج وشدة وضيق فيلجأ إلى الناس فيتسلطون عليه، ويذلونه ويهينونه ولن يَرضَوا عنه.[١٧١]

٤. استهلاك الطاقة والوقت: عندما تسعى إلى إرضاء الآخرين؛ ستقع في دوامة لوم الذّات والإحساس الدائم بالذنب، وستشعر أنَّك غير كاف في كل مرَّة لا تحصل فيها على توقعاتك من الطَّرف الآخر، إلى أن يصل بك الأمر إلى استهلاك ذاتك، وطاقتك، وجهدك وتقضي عمرك في سبيل كسب رضا الآخر بهدف الحصول على قيمة الاحترام الذاتي المفقود لديك. في حين أن قيمتك لا يقررها الناس الذين مسخت عندهم القيم والمبادئ فصاروا يقدّرون الفاسق والمغني والمتعريّة والفاجرة والراقصة دون المؤمنة المتّقية.. بل قيمتك يقيّمها خالقك بكسب رضاه بتقواك وطاعتك.

٥. لن يشعر بالسعادة والطمأنينة: إن هدفنا الأساس في الحياة هو نيل رضا اللّه الذي به نشعر بالطمأنينة والسكينة، قال تعالى في سورة الرعد: ٢٨﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. والنتيجة فالذي يُرضي المخلوق بسخط الخالق سيصاب بالاضطراب والحزن، فلا يمكن أن يشعر بالأمان والسَّلام بعيدًا عن قيمه الأصلية ورسالته الحقيقيَّة.(١٧٢)

ونحن كمستشارين تردنا بعض الحالات التي يفكر فيها بعضهم بالانتحار للتخلص من كثرة انتقاد الناس لهم ومن أجل أن يجعل الشخص - الذي انتقده وذمّه-يتألم بعد موته، ولكن وجب أن يعلم المُنتقَد بأنه مخطئ فهذه من وساوس الشيطان؛ لأن بموته لن يرتاح بل سيدخل نار جهنم؛ لأنه قتل نفسه وهي أمانة من اللّه لزم الحفاظ عليها، قال تعالى في سورة البقرة: ١٩٥﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

وأيضا لا يعتقد أنه -بعد مماته-سيجعل من انتقده يتألم؛ لأنه ما دام شريراً سوف يغتابك حتى بعد موتك ويقول شامتًا: (اللّه العالم أي فعل شنيع فعل بحياته بحيث اضطر لقتل نفسه! لقد أثبت بأن إيمانه ضعيف، وضعيف الشخصية لذا قلّد المنتحرين لأن كلهم فاشلون.. إلخ)، وبعد موتك بأيام سينسون ذكرك.

المبحث الرابع: وقفات مع انتقاد الناس لعيوب الآخرين

غالبًا ما يتصف الأفراد بالعيوب، فإذا اطّلع بعضهم على عيوب الآخرين يقومون بانتقادها مما يدفع الشخص المنتقَد إلى الشعور بالحزن. باعتبار أن أغلب الناس تفرح لما تنال رضا الآخرين عنها...

ونريد في هذا المبحث أن نقف على بعض حالات الانتقاد للعيب، وكيفية التعامل معها، فليس كل انتقاد وجب علينا تهميشه وأن لا نستاء منه، كما يقال (بأن ندخله من أذن ونخرجه من الأذن الأخرى)؛ لأن هناك حالات توجب على العاقل أن يستاء ويحزن من عيوبه ومعاصيه ويسعى جاهدا لتجنبها، بينما هناك حالات أخرى ينبغي أن لا نَسْتَاء منها ولا نهتم بها، وهي كالآتي:

الحالة الأولى: إنتقاد الناس لعيب ليس فيه.

وهذا النوع من الانتقاد مرفوض عقلًا وشرعًا، فإن اتّهام المؤمن، والتجنّي عليه بما لم يفعله أو ليس فيه أصلًا، يسمى بهتانًا، وهو أشدّ إثمًا وأعظم جرمًا من الغيبة، قال تعالى في سورة النساء:١١٢﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

ولا ننكر أن اتهام المؤمن والتجنّي عليه أمر محزن، ولكن لو فكّرنا بتعقل وسألنا أنفسنا: هل سيعوض اللّه المبهوت خيرا على هذا الأذى؟

الجواب: نعم فان اللّه تعالى سيعوضه بأن يأخذ من حسنات الباهت وتمنح لرصيد المبهوت، أو تؤخذ من سيئات المبهوت ويتحملها الباهت عقوبة لما قام به، روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال، فليتحللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم، إنما يؤخذ من حسناته، فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات

صاحبه فزيدت على سيئاته». [١٧٣]

وأيضاً أن الباهت سيعاقب عقوبات أخروية أخرى منها ما روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من بهت مؤمناً أو مؤمنة، أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه اللّه تعالى يوم القيامة على تلّ من نار حتّى يخرج ممّا قاله فيه» [١٧٤]

بالإضافة إلى العقوبات الدنيوية، منها أن اللّه سيفضح الباهت بعيوبه مهما كان حريصا على إخفائها، فقد روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كان بالمدينة أقوام لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس، فأسكت اللّه عن عيوبهم الناس، فماتوا ولا عيوب لهم عند الناس، وكان بالمدينة أقوام لا عيوب لهم فتكلموا في عيوب الناس، فأظهر اللّه لهم عيوبا لم يزالوا يعرفون بها إلى أن ماتوا». [١٧٥]

ولقد ذكرنا أن كلام الناس السيئ حينما ينسبوه إلينا لن يغيّر من قيمتنا عند اللّه تعالى. لذا لزم أن نكون أكثر ثقة بأنفسنا وبربّنا ولا نَسْتَاء ونحزن كثيرا، ولا نفكر بالانتقام بل نكتفي بقول: « حسبنا اللّه ونعم الوكيل».

الحالة الثانية: إنتقاد الناس لعيب فيه.

ولها حالات ونذكر منها الآتي:

أولًا: أن يكون العيب حراما متجاهراً به، حيث يسمى المتجاهر بالمعصية بالفاسق، قال تعالى في سورة المائدة:٤٧ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، وهو الّذي يرتكب المعاصي جهاراً دون أن يحاول التستُّر فيها، وأثمه عظيم لأنه كمن يحارب اللّه علانية بلا خجل ولا حياء. ومصاديق المتجاهر بالفسق عديدة منها تبرج المرأة وسفورها خارج المنزل، أو شرب الكحول وتناول المحرّم علانية أمام الناس، أو سماع الأغاني جهرة وغيرها من المعاصي.

فالمتجاهر بالفسق حينما يسمع انتقاد الناس له وجب عليه

أن يستاء منه وأن يعلم أن انتقاد الناس إليه هو عبارة عن رسالة موجهة إليه لتنبهه وتحثه على ترك الحرام والرجوع إلى طاعة اللّه بالاستغفار والتوبة. علماً أن انتقاد الناس له مقبول؛ لأنه من ناحية شرعية جاز اغتياب الفاسق المتجاهر بفسقه، فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ولا غيبة ».[١٧٦]

بل الشريعة أوجبت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحرمت المداهنة[١٧٧]؛ (لأنها تؤدّي إلى الاجتزاء في إجراء أحكام اللّه تعالى وعدم نيل المراد وهو رضا اللّه تعالى، قال تعالى في سورة القلم:٥﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾، فبعضهم ممّن ضعف إيمانه يترك تطبيق حكم اللّه تعالى خوفاً من ملامة الناس له، فيقدِّم مرادَ الخلق على مراد الخالق مداهنةً، فيكون ممن أرضى الناس بسخط اللّه تعالى، وأرضى المخلوق بسخط الخالق!!

وهذا بالطبع لا يتطابق مع موقف المؤمن الصادق بحال من الأحوال، فالمؤمن من حزب اللّه من يقدّم رضا الخالق على رضا المخلوق عند التعارض بينهما). [١٧٨]

ويترتب على المداهنة عقوبات لأنها من الكبائر، فقد روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أوحى اللّه إلى شعيب النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ إني لمعذب من قومك مائة الف: أربعين ألفا من شرارهم وستين ألفا من خيارهم فقال يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار!؟ فأوحى اللّه عز وجل إليه انهم داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي». [١٧٩]

ثانيًا: أن يكون العيب مستوراً، فإن كان العيب في سلوكه الديني والخلقي مستوراً غير متجاهر به فإذا نَقَده من باب النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأسلوب الرفق واللين، فهذا النوع من النقد مقبول حثتنا عليه الشريعة، ويفترض أن يتقبله المنصوح ويحزن لمعصيته لا لنصيحته، روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: « اتّبع من يُبكيك وهو لك ناصح، ولا تتّبع من يُضحِكك

وهو لك غاشّ ».[١٨٠]

وأما إذا انتقده في غيابه بأن ذكر الحَرَام الذي ارتكبه ولم يكن متجاهراً به فقد اغتابه، وهذا أيضا تنبيه لك للاستغفار وترك الحرام ولكن اعلم أن الذين اغتابوك آثمون وسوف تنقل إليك من حسناتهم أو على الأقل يحملون من سيئاتك، فعلام الحزن؟!!

احْزَنْ للذنب الذي ارتكبته ولا تحزن لكلامهم، قال تعالى في سورة المائدة: ٤٤﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يسوءنك ما يقول الناس فيك، فإنه إن كان كما يقولون كان ذنبا عُجلت عقوبتُه، وإن كان على خلاف ما قالوا كانت حسنةً لم تعملها».[١٨١]

ثالثًا: أن يكون العيب أعمّ من الحرام، هذا القسم من اختصاص الفضوليين الذين يدفعهم الفضول للتدخل في شؤون الناس وانتقادهم... ونصيحتنا هي أنك إذا أردت راحة الدنيا قبل الآخرة فانظر إلى رضا اللّه تعالى ولا تأخذ بالاً لكلام الناس، فالناس أمزجة مختلفة كلٌّ يريد ما يناسبه؛ لأن رضا الناس غاية لا تدرك.

روي أنّ لقمان الحكيم قال لولده في وصيّته: «لا تعلّق قلبك برضا الناس ومدحهم وذمّهم، فإنّ ذلك لا يحصل ولو بالغ الإنسان في تحصيله بغاية قدرته، فقال ولده ما معناه: أحبّ أن أرى لذلك مثالاً أو فعالاً أو مقالاً، فقال له: أخرج أنا وأنت، فخرجا ومعهما بهيم فركبه لقمان وترك ولده يمشي وراءه فاجتازوا على قوم فقالوا: هذا شيخ قاسي القلب، قليل الرحمة، يركب هو الدابّة وهو أقوى من هذا الصبيّ، ويترك هذا الصبيّ يمشي وراءه، وإنّ هذا بئس التدبير، فقال لولده: سمعت قولهم وإنكارهم لركوبي ومشيك؟ فقال: نعم، فقال: اركب أنت يا ولدي حتّى أمشي أنا، فركب ولده ومشى لقمان فاجتازوا على جماعة أخرى فقالوا: هذا بئس الوالد، وهذا بئس الولد. أما أبوه فإنّه ما أدّب هذا الصبيّ حتّى يركب الدابّة ويترك والده يمشي وراءه، والوالد أحقّ بالاحترام

والركوب، وأمّا الولد فلأنّه عقّ والده بهذه الحال فكلاهما أساءا في الفعال، فقال لقمان لولده: سمعت؟ فقال: نعم، فقال: نركب معاً الدابّة فركبا معاً فاجتازوا على جماعة فقالوا: ما في قلب هذين الراكبين رحمة، ولا عندهم من اللّه خبر، يركبان معاً الدابّة يقطعان ظهرها، ويحملانها مالا تطيق، لو كان قد ركب واحد ومشى واحد كان أصلح وأجود، فقال: سمعت؟ فقال: نعم، فقال: هات حتّى نترك الدابّة تمشي خالية من ركوبنا، فساقا الدابّة بين أيديهما وهما يمشيان فاجتازوا على جماعة فقالوا: هذا عجيب من هذين الشخصين يتركان دابّة فارغة تمشي بغير راكب ويمشيان، وذمّوهما على ذلك كما ذمّوهما على كلّ ما كان فقال لولده: ترى في تحصيل رضاهم حيلة لمحتال، فلا تلتفت إليهم واشتغل برضا اللّه جلّ جلاله، ففيه شغل شاغل، وسعادة وإقبال في الدنيا ويوم الحساب والسؤال».[١٨٢]

(وعلى الغالب يؤدي الفضول إلى الخوض في الباطل، وربما أدى إلى الكذب بالزيادة والنقصان)[١٨٣] وهذا أحد الأسباب التي دفعت الناس إلى قطع صلة الرحم وعدم التواصل مع الإخوان والجيران...

وترد المستشارون العديد من الشكاوى التي يعاني منها بعضهم بسبب انتقاد الناس المستمر، كانتقادهم للدرجة الامتحانية الضعيفة، ووصف من ترغب في الزواج المبكر بأنها «غير خجولة؛ لأنها متسرعة في الزواج»، فإذا كانت بصدد إرضائهم وتأخّر زواجها قالوا «أن السبب منها؛ لأنها رفضت الزواج مبكرًا؟!»، ولما تزوجت وتحمّلت ظلم زوجها قالوا: «ليس لديها كرامة»، ولما تطلّقت قالوا: «إنها جزوعة؛ لأنها لم تصبر على أذى زوجها»، وإذا تأخر إنجابها للأطفال قالوا: «إنها عاقر»، ولما انجبت قالوا: «لماذا لا تنجبين الثاني؟»... إلخ

إن هذا النوع من الانتقاد أغلبه مذموم شرعًا، فلقد نهت الشريعة عن الفضول؛ لأن يترتب على المنتقد آثار سلبية، فلقد روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أكثر الناس ذنوبًا أكثرهم كلاما

فيما لا يعنيه».[١٨٤]

وروي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إياك وفضول الكلام، فإنه يظهر من عيوبك ما بطن، ويحرك عليك من أعدائك ما سكن».[١٨٥]

ونرد باختصار على بعض تلك الحالات التي يعاني منها الناس:

❁ إذا انتقدوا شكلك فلا داعي للحزن، فكوني واثقة بنفسك وبربك؛ لأن اللّه يقيمك لا على أساس جمالك الظاهري، أو وزنك بل على أساس تقواك وورعك...

❁ أنت أيها العامل لا تهتم إذا انتقد أحد عملك بأنه وضيع، فالعمل ما دام حلالاً فأنت مأجور، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قبّل يد عاملٍ وكانت خشنة وعليها آثار التعب، وقال «هذه يد يحبها اللّه ورسوله»... فلماذا الحزن؟

❁ هناك من يعيّر الآخرين بسبب الحالة الاجتماعية كالعانس أو المطلقة أو الأرملة، فهذه المسميات لا أهمية لها عند اللّه، ولا يوجد تفاضل فيما بينها، بل الميزان هو التقوى، وهي ليست من العيوب، فرسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد طلق عدد من زوجاته، فهل يصح أن نقول أنه ارتكب عيبًا؟ وهو الذي ما بعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق؟

وأيضًا زوجات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أغلبهن مطلقات وأرامل، وبعضهن تزوجن قبل الزواج بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مرة أو مرتين، وأيضا بعض الصحابيات كأسماء بنت عميس تزوجت من جعفر الطيار فترملّت، وبعدها تزوجت من أبي بكر وبعد وفاته تزوجت بأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، والناس تحترمها وتحترم بقية النساء الصالحات لتقواهن، ولم يعيّرهن أحد لكونهن تزوجن بحياتهن أكثر من زوج، في حين أننا نرى في مجتمعاتنا الإسلامية العديد من المسلمين الذين ما زالوا يعيشون زمن الجاهلية الأولى وينسبون العيب والعار لمن يحيى سنة رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالزواج...

في حين أن هؤلاء المنتقدين العاصين هم من تلبّسوا بالعيب والعار؛ لأنهم وقعوا في الغيبة والنميمة والاستخفاف بالآخرين، فالأولى أن يخجلوا من أنفسهم لا من الآخرين.

المبحث الخامس: كيف أتخلّص من داء إرضاء الآخرين؟

سنذكر لكم بعض النقاط التي تعين الفرد على التخلّص من داء إرضاء الآخرين على حساب رضا اللّه، ونذكر منها ما يلي:

١. إجعل غايتك الوحيدة هي نيل رضا اللّه، ولا تبالِ بسخط الناس مقابل رضا اللّه، فالإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بنفسه صرّح بذلك قائلاً: «رضا الناس غاية لا تدرك، فتحّر الخير بجهدك، ولا تبال بسخط من يرضيه الباطل».(١٨٦)

فما قيمة نيل رضا الناس بسخط الخالق، قال تعالى في سورة آل عمران:١٦٢ ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، وقال تعالى في سورة البقرة:١٥٠ ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾.

ولكي نعرف أن أعمالنا مرضية عند اللّه ورسوله وآله أم لا! وجب على عوام الناس الرجوع إلى مراجع الدين العدول وعرض ما أشكل عليهم؛ لأن وظيفتهم إرشادنا لتكون أعمالنا مطابقة لأحكام اللّه التي استنبطوها من كتاب اللّه والسنّة. وهذا الرجوع أو ما يسمى بالتقليد ليس قضية مزاجية، بل هو بأمرٍ من مولانا الإمام صاحب الزمان عج، حيث ورد التوقيع بخطه قائلاً: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة اللّه عليهم».(١٨٧)

٢. مارس سياسة الإعراض والتغافل عن المنتقدين، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قابل السفيه بالإعراض عنه وترك الجواب يكن الناس أنصارك؛ لأن من جاوب السفيه وكافأه قد وضع الحطب على النار».(١٨٨)

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من لم يتغافل ولا يغض عن كثير من الأمور تنغصت عيشته». (١٨٩)

ولا ينبغي فهم ما نحاول بيانه من التغافل وترك الكلام على أنَّهُ هو الأفضل والأكمل في كلّ الأوقات والأحيان، كلا، الصحيح هو أنَّ تفضيل السكوت والصمت فيما لو كان الكلامُ مصحوباً بالآفات والأباطيل كالذي يدفعه للغضب فيسب ويشتم، أمّا لو سلم الكلام من تلك الأباطيل والرذائل فهو أفضل وأكمل، وفي بعض الموارد يكون الكلام والبيان واجباً كالصدع بكلمة الحقّ.

روي عن إمامنا زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في مقام الجواب عن سؤال عن الكلام والصمت، أيّهما أفضل؟، قال: «لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا آفَاتٌ فَإِذَا سَلِمَا مِنَ الْآفَاتِ فَالْكَلَامُ أَفْضَلُ مِنَ السُّكُوتِ، قِيلَ وَكَيْفَ ذَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ مَا بَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْصِيَاءَ بِالسُّكُوتِ إِنَّمَا بَعَثَهُمْ بِالْكَلَامِ وَلَا اسْتَحَقَّتِ الْجَنَّةُ بِالسُّكُوتِ وَلَا اسْتَوْجَبَتْ وَلَايَةُ اللَّهِ بِالسُّكُوتِ وَلَا وُقِيَتِ النَّارُ بِالسُّكُوتِ وَلَا تُجُنِّبَ سَخَطُ اللَّهِ بِالسُّكُوتِ إِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ بِالْكَلَامِ، مَا كُنْتُ لِأَعْدِلَ الْقَمَرَ بِالشَّمْسِ، إِنَّكَ لَتَصِفُ فَضْلَ السُّكُوتِ بِالْكَلَامِ وَلَسْتَ تَصِفُ فَضْلَ الْكَلَامِ بِالسُّكُوتِ». (١٩٠)

٣.لا تضخّم من حجم الكلام الموجه إليك، يقول علماء النفس: إن أكثر شخصية تعاني من انتقادات الناس هي الشخصية الحسّاسة التي من صفاتها أنها: (شديدة التركيز في التفاصيل، حتّى ما تَفُه منها، فنجدها تميل إلى إصدار الأحكام الخاطئة على الآخرين، ممتلئةً بمشاعر سوء ظنٍّ قاتلة، وتفسيرات سلبية مُهيمنة على عقله، كأن تشعر بأنَّها في مؤامرة، وأنَّ الآخرين يقصدون الإساءة إليها بنظراتهم أو بكلماتهم، فقد يكون الحديث بعيد كليًا عنها، إلّا أنّها تفسّرها على أنَّها تخصها وأنَّها المقصودة بها.

وأيضًا من صفاتها أنها دائمة البحث عن إرضاء الآخرين؛ ولذا فهي تهتم بآراء الآخرين عنه، فتستشيرهم في كلّ أمورها، وتأخذ بنصائحهم وإن كانت لا تتناسب معها، وتعتب عليهم في حال تقصيرهم، وتتّهمهم بالتخلي عنها وبالنفاق الاجتماعي). (١٩١)

ولذا وجب على أصحاب هذه الشخصية أن يعالجوا أنفسهم من الحساسية المفرطة بعدة طرائق منها: أن يُحسنوا الظن بالآخرين، روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اطلب لأخيك عذرا فإن لم تجد له عذرا فالتمس له عذرا».[١٩٢]

٤.كن قوياً، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى اللّه من المؤمن الضعيف...

كنْ قوياً ولا تشمّت بك الأعداء بإظهار حزنك، فإن بعض من يتعمد انتقادك يغار منك أو يحسدك، لذا فحين يرى نجاحك لا يتحمل ذلك، فيحاول إسقاطك بكل طريقة، فإذا انتقدك ونجح في إدخال الحزن في قلبك فتكون بذلك قد شفيت غليله، لذا كنْ مؤمناً قوياً، ولا تبالِ بما يقول واستمر في نجاحك، فحينها ستكون قد صفعته صفعات لا ينساها. ولا تنسى: أن كلام الناس مثل الصخور إما أن تحملها على ظهرك فينكسر، أو تبني بها برجاً تحت أقدامك فتعلو وتنتصر.

(إن كثيرًا من الأشخاص المصابون بداء إرضاء الآخرين يعانون من الاستجابة السريعة لطلبات الآخرين؛ بحيث يتسرَّعون بقول «نعم» دون أن يفكروا بالآثار المترتبة عليها. مثال ذلك امرأة تطلب منها صديقتها الخروج لمكان ما، فتوافق دون أن تفكر (هل أن هذا المكان فيه إشكال أم لا)، ودون أن تأخذ المتزوجة إذن زوجها أو والديها.

على المؤمنة أن تكون قوية وتدرب نفسها على قول كلمة «لا»، وإذا كانت غير قادرة على قول «لا» فتستطيع اعتماد سياسة التأجيل كأن تقول: «سأفكر، وأخبرك بالرد»؛ وذلك لاكتساب الوقت للتفكير وإعطاء القرار، ويمكن تغليف القرار بطريقة إيجابية وذكيَّة، كأن تقول: «لزم أن أرجع لدفتر الملاحظات لأتأكد من عدم ارتباطي بموعد آخر»، أو «أنت تعلمين كم أحبك، ولكن لديَّ كثيرٌ من الواجبات غدًا ولا أستطيع تأجيل أيٍّ منها، لذلك أنا غير قادرة على تلبية طلبكِ». ومن ثم درّبي نفسك أن تكوني أقوى في الرد

برفض كل حرام وأنت فخورة بنفسك).[١٩٣]

٥. تأسَ بالأنبياء والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فهم رغم قدسيتهم ومنزلتهم العظيمة لم يسْلَموا من كلام الناس، فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ - لما شكى علقمة إليه من ألسنة الناس-، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: « يا علقمة، إن رضا الناس لا يملك، وألسنتهم لا تضبط، فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء اللّه ورسله وحججه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟ ألم ينسبوا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أنه همَّ بالزنا؟ ألم ينسبوا أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أنه ابتلى بذنوبه؟ ألم ينسبوا داود عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أنه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهواها؟ وأنه قدم زوجها أمام التابوت حتى قتل ثم تزوج بها؟ ألم ينسبوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أنه عنين وآذوه حتى برأه اللّه ممَّا قالوا، وكان عند اللّه وجيها؟ ألم ينسبوا جميع أنبياء اللّه إلى أنهم سحرة طلبة الدنيا؟! ألم ينسبوا مريم بنت عمران عليها السلام إلى أنها حملت بعيسى من رجل نجار اسمه يوسف؟

ألم ينسبوا نبينا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم إلى أنه شاعر مجنون؟ ألم ينسبوه إلى أنه هوى امرأة زيد بن حارثة فلم يزل بها حتى استخلصها لنفسه؟ ... إلى ان قال ع: ..يا علقمة، ألم يقولوا للّه عزوجل: إنه ثالث ثلاثة؟ ألم يشبهوه بخلقه؟ ألم يقولوا: إنه الدهر؟ ألم يقولوا: إنه الفلك؟ ألم يقولوا: إنه جسم؟ ألم يقولوا: إنه صورة؟ تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا.... يا علقمة، إن الألسنة التي تتناول ذات اللّه تعالى ذكره بما لا يليق بذاته كيف تحبس عن تناولكم بما تكرهونه! فاستعينوا باللّه واصبروا.. »[١٩٤]

بل أن ألسن الفاسقين والنواصب نالت حتى النساء الصالحات ومنهن بنات الوحي والرسالة كالسيدة سكينة بنت الإمام الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، التي لفقوا عليها تهمة تعدد الأزواج، في حين أنها لم تتزوّج غير ابن عمّها عبد اللّه بن الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ، و(لم تنته تهم الأعداء أعداء آل محمّد عليهم السلام لسكينة بنت الحسين عليها السلام بتعدّد أزواجها حسبما قالوه، بل تجاوزتها إلى أكبر من ذلك وأعظم، حيث جعلوا سكينة تجالس الشعراء، وتعقد

مجالس الطرب والشعر في بيتها ، ويتغزّل بها ابن أبي ربيعة ، إلى غير ذلك من الافتراءات الباطلة)[١٩٥]

ولكن مهما تكلم الظالمون فأن كلامهم لن يخدش من منزلتها العالية عند اللّه وعند أهل البيت عَلَيۡهِمُٱلسَّلَامُ، حتى أن الأعداء اعترفوا بذلك، فقد روي أن يزيد بن معاوية لما أدخل عليه نساء أهل البيت عَلَيۡهِمُٱلسَّلَامُ قال للرباب (أم سكينة) : أنت التي كان يقول فيك الحسين وفي ابنتك سكينة : (لعمرك إنّني لأحبّ داراً***تكون بها سكينة والرباب وأحبّهما وأبذل جلّ مالي***وليس لعاتب عندي عتاب) ؟ ، فقالت : نعم .[١٩٥]

والظاهر من الشعر أن الإمام الحسين عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ كان يحبها حباً شديداً .

ولكن من بعد وفاة أبيها الإمام الحسين عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ وأهل بيته وأصحابه عاشت كل أحداث فاجعة كربلاء الدامية فكان لها بلاءً حسناً في إيصال مظلومية آل بيت النبوة وصوت الإمام الحسين عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ إلى العالم أجمع وبخاصة أثناء السبي من الكوفة إلى الشام...وكأن الشاعر يصور حالها قائلاً:

سكنه تنادي يا يبه لا وين بتروح — خذني معك يا بوي واللّه القلب مجروح
مقدر أتحمل شوفتك والجسم مطروح — والخيل يا بويه على صدرك تعدي
من بعدكم يا بوي واللّه اكيد بنظام — تتحطم أفراحي وتتحطم الأحلام
يا بوي من بعدك كفو في هذي الايتام — تكفى يبويه ردنا لبلاد جدي
كالها يسكنه بالصبر انا بوصيك — هذا مقدر والمقدر لازم يجيك
لازم العداء يا غاليه ليزيد توديك — صبرك يا بنتي لعمتك باللّه ردي
ثم التفت يمت عقيلة ال عدنان — قاله اللّه اللّه باليتاما واللي مرضان
وصى ا لعقيله وصايته من قلب حزنان — يا غاليه من روعهم باللّه هدي
ثم اتجه يم العداء والراس مرفوع — واللّه مصيبة سيدي من الماء ممنوع

وبذبح الاكبر والرضيع السبط مفجوع ودي انـــا افـــداك يـــا مـــولاي ودي

وبعـــد واقعـــة الطـــف انتقلت ســـكينة إلى رعايـــة الإمام الســـجاد عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حيث عاشـــت حياة حافلـــة بالعلم والأدب والنشـــاط الاجتماعي، وكان خصومهـــا يقـــرّون لها بنســـبها ومناقبها.

توفيت الســـيدة ســـكينة بنت الحســـين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بعد مضي ٥٦ ســـنة علـــى فاجعة كربـــلاء، وكانت وفاتها فـــي المدينة المنورة ســـنة ١١٧هـ.

ويـــروى أنـــه (في يـــوم وفاتهـــا اشـــترى محمد بـــن عبـــد اللّه النفس الزكيّـــة عطراً وعـــوداً بأربع مائـــة دينار وأحرقهـــا حول نعشـــها وقد رام خالد بـــن عبـــد الملك حاكـــم المدينـــة إهانة الجنـــازة بســـبب حرارة الجـــو بتأخير تشـــييعها وقـــال: اصبروا حتى آتـــي للصلاة علـــى الجنازة لكنـــه لم يـــأت، لـــذا بقيـــت الجنـــازة بلا دفـــن إلـــى الليل ثـــم صلى عليهـــا أخوهـــا الإمام زيـــن العابديـــن عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وعلـــى قـــول يحيى بن الحســـن، وعلى قـــول آخـــر محمد بـــن عبد اللّه بـــن الحســـين ودفنت باحترام، فســـلام عليهـــا ســـيدة جليلة عالمة يـــوم ولدت ويـــوم رحلت ويوم تبعث حيـــا)[١٩٦].

٨ ربيع الأول

شهادة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

عظم الله لكم الأجر والثواب

المناسبة

شهادة الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

القصيدة للسيد صالح القزويني

أيا صفوةَ الهادي ويا محيي الهدى ... ومُحكِمَ دين المصطفى وهو دارسُ
ولما مضى الهادي أَريتَ معاجزا ... بها أُرغمت من شانئيك المعاطس
بنفسيَ ما نالت به سُرَّ مَن رأ ... فخارا له تعنوا النجومُ الكوانس
بنفسيَ من أبكى النبيَّ مصابُه ... وأظلم فيه دينُه وهو شامس
بنفسيَ محبوسا على حبس حقّه ... مضى وعليه المكرماتُ حبائس
بنفسيَ مَن في كل يوم تسومُه ... هوانا بنو العباسِ وهي عوابس
بنفسيَ مسموما تشفَّتَ به العدى ... قضى وبها لم تُشفَ منه النسائس
بنفسيَ مكروبا قضى بعد سمّه ... بكاه الموالي والعدوُّ المشاكس
فلا كان يومُ العسكريِّ فإنه ... لَيومٌ على الدينِ الحنيفيّ ناحس
حكى جدَّه عمرا وسُمًّا وغربةً ... ومارس من أعدائه ما يمارَس[١٩٧]

(نصاري)

اعلى ابو محمد يويلي اتراكم الهم ... عگب ما كبده أبوه انمرد بالسم
عليه المعتمد كل يوم يشتد ... يويلي او ظل يجور اعلى ابو امحمد
سگاه السم لمن كبده تمرَّد ... اولا راقب الباري اولا تندَّم
يهل بيت المجد والجود والباس ... شلها اعليكم إمن اديون هالناس
ولوكم آل اميه او بني العباس ... او حته البلمهد شرهم عليه عم[١٩٨]

المحاضرة الخامسة

تساؤلات عن الحقوق الزوجية- الجزء الثاني

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[١٩٩]

مباحث الآية الكريمة

المبحث الأول: نظرة عامة على الآية

وضع المنهج الإسلامي حقوقًا وواجبات على جميع أفراد الأسرة، وأمر بمراعاتها من أجل إشاعة الاستقرار والطمأنينة في أجواء الأسرة، والتقيّد بها يسهم في تعميق الأواصر وتمتين العلاقات، وينفي كل أنواع المشاحنات والخلافات المحتملة، والتي تؤثر سلبًا على جوّ الاستقرار الذي يحيط بالأسرة، ومن ثمَّ تؤثر على استقرار المجتمع المتكون من مجموعة من الأسر.[٢٠٠]

ومن تلك الحقوق والواجبات هو ما يختص بالحياة الزوجية، قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[٢٠١]

فكما أن للزوج حقوقًا على زوجته من التمكين في الفراش، وعدم الخروج إلا بإذنه فبالمقابل للزوجة على زوجها حقوق من النفقة، ووصالها، ومعاشرتها بالمعروف.

ولقد ذكرنا في الجزء الثاني لهذا الكتاب في موضوع(تساؤلات عن الحقوق الزوجية)[٢٠٢] بيان معنى المماثلة في هذه الآية الكريمة، وبأنه لا يلزم أن يكون الجنسان متساويين تماما في الواجبات والحقوق، فالعدل تارة يستلزم منه التساوي وأخرى الاختلاف مراعاة للاختلافات الكبيرة بين الجنسين على صعيد القوى الجسمية

والروحية.

ويشهد لهذا التفسير نفس ذيل الآية حيث قالت: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ... وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في كتابة الأمثل[٢٠٣]: ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وهذا إشارة إلى ما يرد في هذا المجال من إشكالات وتساؤلات وأن الحكمة الإلهية والتدبير الرباني يستوجبان أن يكون لكل شخص في المجتمع وظائف وحقوق معينة من قبل قانون الخلقة ويتناسب مع قدراته وقابلياته الجسمية والروحية، وبذلك فإن الحكمة الإلهية تستوجب أن تكون للمرأة في مقابل الوظائف والمسؤوليات الملقاة على عاتقها حقوقا مسلمة كيما يكون هناك تعادل بين الوظيفة والحق.

وموضوع محاضرتنا هو استكمال لموضوع (تساؤلات عن الحقوق الزوجية) الذي تم طرحه في الجزء الثاني من كتاب (زاد المبلغات)[٢٠٤] فلقد اجبنا عن التساؤلات الآتية:

١. لماذا وجب على الزوجة استئذان زوجها عند الخروج؟ في حين إنه لا يستأذنها؟

٢. لماذا وجب عليها أن تمكّن نفسها لزوجها في الفراش متى ما شاء، في حين إنه لا يلبي رغبتها متى شاءت؟

٣. لماذا سلطة الطلاق بيد الزوج دون الزوجة؟ ولماذا جاز له أن يجعلها معلّقة؟

ونريد في هذه المحاضرة أن نجيب على أسئلة أخرى وهي:

٤. لماذا أوجبت الشريعة على الزوجة مراعاة حقوق الزوج بأن لا تخرج إلا بإذنه، رغم أن الزوجة تعمل وتنفق كالزوج؟

٥. لماذا وجب على الزوجة التزيّن والتعطّر بينما الزوج لا يهتم

بنفسه ونظافته؟

٦. لماذا وجب على الزوجة خدمة زوجها، ولا يجب على الزوج خدمتها ؟

٧. لماذا وجب على الزوجة طاعة زوجها فيما يريد، بينما الزوج لا يطيعها ؟

٨. لماذا تذكر الروايات تذكر العقاب المترتب على أذية الزوجة لزوجها، بينما الزوج لا يترتب عليه عقاب عند أذيته لزوجته؟

٩.لماذا أجاز الإسلام للزوج أن يُعدّد في زوجاته دون الزوجة؟

المبحث الثاني: عمل الزوجة و أثره على الحقوق الزوجية

بعضهم يسأل: لماذا أوجبت الشريعة على الزوجة مراعاة حقوق الزوج كأن لا تخرج إلا بأذنه، رغم أن الزوجة تؤدي نفس مهامه المفروضة، فمثلما يعمل وينفق فهي أيضاً تعمل وتنفق؟

ونرد على هذا التساؤل بالنقاط الآتية:

أولًا: شرعاً لا يسقط حق الزوج على زوجته باستئذانه للخروج من المنزل إن كانت تعمل وتساعده في النفقة، إلا أن لكل قاعدة استثناء، أي يجوز للزوجة العاملة الخروج بدون إذنه في حالات ذكرها الفقهاء ومنهم سماحة السيد السيستاني (دام ظله)، نذكر منها ما يلي:

١. أن تشترط عليه أن يأذن لها في الخروج في مقابل دفع المال، فإن لم يأذن امتنعت من مساعدته.[٢٠٥]

٢.إذا اشترطت الزوجة على زوجها الاستمرار في وظيفتها خارج الدار في ضمن عقد النكاح أو جرى العقد مبنياً على ذلك فلها

إلزامه بالوفاء بالشرط.[٢٠٦]

٣. إذا فات عقد الزواج ولم تشترط ذلك فيمكنها أن تستخدم عقداً آخر كعقد البيع، كأن تبيعه ساعة وتشترط في عقد البيع أن يسمح لها بالعمل[٢٠٧]، أو بالخروج بدون أذنه.

٤.إذا كانت موظفة قبل الزواج وعقدت عقد التوظيف فلا يجوز للزوج منعها من الاستمرار في العمل، كما أنه لو أجاز لها في التوظيف لو لم تكن موظفة من قبل، فلا يجوز له الرجوع في إذنه، وأما الخروج لغير ذلك فلا بد فيه من الاستئذان، نعم لا يجب ذلك في موارد الضرورة كالعلاج، أو الإتيان بواجب كالحج، أو فيما إذا توقف صلة الرحم عليه.[٢٠٨]

٥. إذا امتنع الزوج من الإنفاق عليها فاضطرّت إلى الخروج لتحصيل معاشها، فإنّه لا يجب عليها إطاعته في هذه الحالة.[٢٠٩]

ثانيًا: أن الهدف من إلزام الزوجة مراعاة حقوق الزوج لا من أجل احتقارها وإهانتها بل من أجل مصلحة وحكمة، وقد ذكرنا بعضاً منها في الجزء الثاني من كتاب زاد المبلّغات فراجعوه.

ونذكر منها أن تنوع الحقوق الزوجية هو من أجل تحقيق الموازنة والتكامل في الحياة الزوجية، فالزوج والزوجة لو خرجا كليهما للعمل من أجل النفقة، فمن سيرعاهما إذا رجعا من العمل مُرهقين؟ ومن سيقوم بتربية الأولاد تربية إسلامية سليمة؟، ومن سيقوم بترتيب أمور المنزل؟وغيرها من الأمور. ولذا نرى في الآونة الأخيرة أن الموازين قد اختلت واستبدلت المبادئ والقيم الإسلامية الحقّة بأخرى منحرفة باطلة.

والسبب الآخر لتنوع الحقوق الزوجية وعدم تماثلها هو لمراعاة الاختلافات التكوينية والنفسية ما بين الجنسين، ومنها أنه تعالى جعل القوة البدنية عند الرجل أكبر من المرأة، وأن قوته العقلية لا تتغلب عليها القوة العاطفية بسهولة كالمرأة، ولذا

العدل يستلزم جعل العمل في معترك الحياة والنفقة على من يمتلك هذه الخصائص، بينما المرأة خُلقت بقوة بدنية أضعف من الرجل وعاطفة أشد لذا من الظلم أن نفرض عليها العمل في ميادين الفتنة التي تشبه ساحات الوغى وبنفس الوقت نفرض عليها أن تُحسن التبعل وتربّي أولادها تربية إسلامية، وأن تُغدق على أفراد أسرتها بالحب والحنان، وان تخدم زوجها وأسرتها وتؤدي كل الحقوق الأخرى.

فنحن نعلم أنه ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٢١٠]، ووسع المرأة لا يتحمل القيام بكل هذه المهام وحدها، ولذا فاللّه قسّم المهام ما بين الزوجين لإدارة الحياة الزوجية على أحسن وجه، روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ :« ولا تملك المرأة من الأمر ما جاوز نفسها، فإن ذلك أنعم لحالها وأرخى لبالها وأدوم لجمالها، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة »[٢١١]

ثالثًا: إن الشريعة الإسلامية لم تفرض على الزوجة أن تعمل وتنفق حتى تعترض السائلة على شرع اللّه، بل أوجبت على الزوج بأن ينفق النفقة الواجبة الكاملة على الزوجة من مسكن ومأكل ومشرب وملبس وعلاج وغيرها من التفاصيل المذكورة في الرسائل العملية للفقهاء.

وإذا امتنع الزوج الموسر عن بذل نفقة زوجته المستحقّة لها فهو آثم ومحاسب ويكون ملعوناً أي مطروداً من رحمة اللّه تعالى، روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « ملعون ملعون من ألقى كَلّه على الناس-ولو كانت زوجته-، ملعون ملعون من ضيع من يعول »[٢١٢]

فاللّه تعالى أوجب على الزوج بعد تأمين نفقة حياته الشخصية نفقة زوجته، فهي أولى حتى من نفقة والديه وأولاده، ويتبين ذلك من المسائل الآتية[٢١٣]:

١- إنما يجب الإنفاق على الوالدين وعلى الأولاد، إذا كانوا محتاجين لا مال لهم، ولا قدرة على الكسب المناسب، ومع قدرتهم المالية أو العملية لا تجب عليه نفقتهم[٢١٤]. أما بالنسبة للزوجة فالنفقة حق لها على الزوج ولو كانت غنية ثرية[٢١٥].

٢- لو كان للرجل مبلغ من المال يكفي للإنفاق إما على زوجته أو على أحد من والديه وأولاده، كانت الأولوية للإنفاق على الزوجة قبل الوالدين والأولاد. [٢١٦]

٣- إذا لم ينفق على والديه أو أولاده المحتاجين، لعدم إمكانه أو لامتناعه، فإنه لا يبقى حق نفقتهم دينًا في ذمته، أما نفقة الزوجة فتبقى في ذمته إذا لم يدفعها، ولا تسقط بمضي الزمن، بل تكون دينًا عليه، ولو مات تخرج من أصل تركته كسائر ديونه. [٢١٧]

ولذا فإن الزوجة التي لم يفرض عليها الإسلام أن تعمل وتنفق بل بإرادتها اختارت ذلك، لا يحق لها الاعتراض لكون نفقتها مكفولة من قبل الزوج، وأما إذا قصّر الزوج في تطبيق أحكام اللّه فالخلل من الزوج لا من قوانين الإسلام. بل شرعاً الزوج إذا طلب من الزوجة أن تعمل لتشاركه في النفقة فلا يجب عليها طاعته، ولا يجوز له إجبارها بل هي مخيّرة ... وعلى الزوجة أن تعلم أن (الخروج من المنزل قطعاً يؤثر على التربية المنزلية وأداء الحقوق الزوجية وحقوق الأبناء؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يجمع بين أمرين، فتربية الأبناء تحتاج إلى طاقة كبيرة، والمرأة إذا خرجت من المنزل للعمل استنزفت هذه الطاقة وسترجع مرهقة وفيها الميل للراحة والاسترخاء وليس الميل للتربية والواجبات المنزلية قال تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾[٢١٨].

ولذا وجب على الزوجة أن تراعي تقديم الأولويات من أداء حقوق الزوج والأولاد، وإذا كانت مضطرة للعمل فلتتحاور مع زوجها لإعادة توزيع المهام ما بين الزوجين؛ من أجل تحقيق الموازنة ما بين

العمل وأداء الواجبات الزوجية والأبوية، بأن يلتزم الرجل بواجباته كأب وزوج، وأن تلتزم هي بواجباتها كأم وزوجة، والاتفاق بأن عملها خارج المنزل سيترتب عليه التقليل من مهامها في المنزل التي ينبغي على الزوج تحمّل بعض منها... وإذا طلب الزوج من زوجته أن تتحمل المسؤولية الأكبر كأن تتحمل مسؤولية العمل خارج المنزل ومسؤولية العمل داخل المنزل من تربية الأولاد ومراعاة الزوج والطبخ والتنظيف والترتيب فلترفض ولا تحمّل نفسها ما يفوق طاقتها؛ لأن هذه الضغوطات قد تدفعها للتقصير في أداء واجباتها الأهم سواءً مع الأولاد أو مع الزوج كرفض تمكين نفسها لزوجها لكونها مرهقة ومن ثمَّ ستكون عاصية، وأيضاً لأن الزوجة إذا وافقت على تحمل مسؤولية العمل خارج وداخل المنزل فأغلب الأزواج لن يقدّروا ذلك وسيعدونه عملًا واجبًا عليها.. فإذا صدر منها تقصير في التمكين في الفراش أو التربية أو ترتيب المنزل سيعتبرها ظالمة، وأنه المظلوم.. ولتحذر الزوجة من تعويد زوجها على ذلك، بل الأفضل أن يتم الاتفاق على ذلك قبل الزواج وأن تجعله شرطاً أثناء عقد الزواج كي تحمي نفسها من الوقوع في الحرام.

وأيضاً على الزوجة العاملة أن تراعي الضوابط الشرعية عند خروجها للعمل، منها: أن يكون عملها حلالاً ، وأن يأذن لها الزوج، وأن لا يتنافى العمل مع تكاليفها الدينية، ومنها الستر والحجاب، وعدم الاختلاط المحرم، وعدم الحضور في المكان الذي لا تأمن على نفسها فيه من الوقوع في المعصية وغيرها من الضوابط.

المبحث الثالث: الردّ على مسألة التزّين للزوج

بعضهن تسأل: لماذا الشريعة أمرت الزوجة أن تتزيّن وتتعطر لزوجها، بينما الزوج لا يهتم بنفسه ونظافته أمام زوجته؟

ونجيب عن ذلك بالنقاط الآتية:

١. إن الحكم الشرعي لتزّين الزوجة لزوجها هو الاستحباب، فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « جاءت امرأة إلى رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسلم فقالت: « يا رسول اللّه، ما حقّ الزوج على المرأة؟ قال:... وعليها أن تطّيّب بأطيب طيبها، وتلبس أحسن ثيابها، وتزيّن بأحسن زينتها، وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية... » [٢١٩] ومعلوم أن الاستجابة للحكم الشرعي يترتب عليه نيل رضا اللّه.

نعم أن عدم التزيّن للزوج لا يترتب عليه أثم؛ لأنه مستحب إلا في حالة عدم إزالة المنفّرات المضادّة للتمتّع والالتذاذ منها، بل وترك التنظيف والتزيين مع اقتضاء الزوج لها. بمعنى أن ذلك سيوقعها في الحرام، بل وسيدخلها ذلك في النشوز[٢٢٠]. ومن ثمَّ فإن تزيّنها للزوج في هذه الحالة هو من أجل تجنب العقاب.

٢. إن المرأة بطبيعتها ترغب وتميل إلى التبرج والتزّين، قال تعالى: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾[٢٢١]، ولذا فان تزيّنها لزوجها يشبع عندها هذا الميل؛ لأن شرعا لا يجوز للمرأة أن تتبرج وتتزين أمام الرجال الأجانب، روي عن الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «.. وأيّما امرأة تطيّبت لغير زوجها، لم تقبل منها صلاة حتى تغتسل من طيبها، كغسلها من جنابتها» [٢٢٢].

٣. إن الشريعة لم تأمر الزوجة فقط بأن تتزين وتتجمل لزوجها، بل حثت الزوج أن يتهيأ لزوجته أيضاً، فعن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « ليتهيأ أحدكم لزوجته كما يحب أن تتهيأ له) قال جعفر الصادق: (يعني التنظف)» [٢٢٣]

وعن الحسن بن جهم قال: « رأيت أبا الحسن اختضب، فقلت: جعلت فداك، اختضبت؟ فقال: نعم، إن التهيئة مما يزيد في عفة النساء، ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهن التهيئة. ثم قال: أيسرّك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة؟ قلت: لا. قال: فهو ذاك» [٢٢٤]

فإذا قصّر الزوج في ذلك فالخلل ليس في الإسلام وإنما بالمسلم.

المبحث الرابع: الردّ على مسألة خدمة الزوج

بعضهم يسأل: لماذا وجب على الزوجة أن تخدم زوجها، بينما الزوج لا يجب عليه خدمتها؟

ونرد عليه بالنقاط الآتية:

١.قولكم: إن الشريعة لا توجب على الزوج أن يخدم زوجته غير صحيح؛ لأن الشريعة فرضت على الزوج أن يتكفل نفقتها من مسكن ومأكل ومشرب وعلاج وغيرها، وأن يصلها ويعاشرها بالمعروف، فهل توجد خدمة أفضل منها؟ فإذا كان الزوج مقصراً في أداء حقوق زوجته فالخلل منه وليس من الإسلام.

٢.من قال إن خدمة الزوجة لزوجها واجب، بل هو مستحب، ولقد اتفق كل الفقهاء على ذلك، فقد ذكر سماحة السيد السيستاني دام ظله في منهاج الصالحين في مسألة (٣٤٠)ما نصه: لا يستحقّ الزوج على الزوجة خدمة البيت وحوائجه التي لا تتعلّق بالاستمتاع من الكنس أو الخياطة أو الطبخ أو تنظيف الملابس أو غير ذلك حتّى سقي الماء وتمهيد الفراش، وإن كان يستحبّ لها أن تقوم بذلك.[٢٢٥]

٣.إنّ الأجر المعنويّ للمرأة التي تعمل في منزلها لهو أجر عظيم، ويفوق الكثير من الواجبات المفروضة، وفي ذلك دلالة على أهمّيته وتشجيع الإسلام عليه، حيث جاء في رواية أنّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دخل على ابنته فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ذات يوم ووجدها تطحن شعيرًا، فجعل يحدّثها وبدأ يقصّ عليها أجر المرأة العاملة في منزلها، فقال: « يا فاطمة! ما من امرأة طحنت بيديها إلّا كتب الله لها بكلّ حبّة حسنة، ومحا عنها بكلّ حبّة سيّئة. يا

فاطمة! ما من امرأة عرقت عند خبزها، إلّا جعل اللّه بينها وبين جهنّم سبعة خنادق من الرحمة. يا فاطمة! ما من امرأة غسلت قدرها، إلّا غسلها اللّه من الذنوب والخطايا... يا فاطمة! ما من امرأة نسجت ثوبا إلّا كتب اللّه لها بكلّ خيط واحد مئة حسنة، ومحا عنها مئة سيّئة. يا فاطمة! أفضل أعمال النساء المغازل. يا فاطمة! ما من امرأة برمت مغزلها إلّا كان له دويّ تحت العرش، فتستغفر لها الملائكة في السماء. يا فاطمة! ما من امرأة غزلت لتشتري لأولادها أو عيالها، إلّا كتب اللّه لها ثواب مَنْ أطعمَ ألف جائع، وأكسى ألف عريان. يا فاطمة! ما من امرأة دهّنت رؤوس أولادها، وسرّحت شعورهم، وغسلت ثيابهم وقتلت قمّلهم إلّا كتب اللّه لها بكلّ شعرة حسنة، ومحا عنها بكلّ شعرة حسنة، وزيّنها في أعين الناس أجمعين »[٢٢٦]

٤. إن الشريعة الإسلامية مثلما حثت الزوجة على خدمة زوجها ورتبت عليه ثواباً عظيماً، كذلك الشريعة حثت الزوج على خدمة زوجته، ورتّبت على ذلك الثواب العظيم، منها ما روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: دخل علينا رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وفاطمة جالسة عند القدر وأنا أنقي العدس، قال: « يا أبا الحسن قلت: لبيك يا رسول اللّه، قال: اسمع مني – وما أقول إلا من أمر ربي– ما من رجل يعين امرأته في بيتها إلا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة، صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه اللّه تعالى من الثواب مثل ما أعطاه الصابرين داود النبي ويعقوب وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. يا علي، من كان في خدمة العيال في البيت ولم يأنف كتب اللّه تعالى اسمه في ديوان الشهداء، وكتب اللّه له بكل يوم وليلة ثواب ألف شهيد، وكتب له بكل قدم ثواب حجة وعمرة، وأعطاه اللّه تعالى بكل عرق في جسده مدينة في الجنة... »[٢٢٧]

فإذا لم يراع بعض الأزواج هذا الحكم فالخلل ليس في الإسلام وإنما بالمسلمين.

المبحث الخامس: الردّ على مسألة طاعة الزوج

بعضهم يسأل: لماذا وجب عليّ طاعة الزوج فيما يريد، بينما هو لا يطيعني؟

ونرد على ذلك بالنقاط الآتية:

١. إن طاعة الزوجة لزوجها هي من موجبات دخول الجنّة، فقد روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إذا صلّت المرأة خَمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، فلتدخل من أيّ أبواب الجنة شاءت»[٢٢٨].

٢.من قال أن الشريعة أوجبت على الزوجة أن تطيع زوجها في كل أمر؟

لنأتِ إلى رأي الشريعة الإسلامية في ذلك، فلقد ذكر الفقهاء ومنهم سماحة السيد السيستاني بأنه لا يجب على الزوجة إطاعة الزوج إلّا فيما يخصّ الاستمتاع الجنسي بالنحو المتعارف والخروج من البيت، وأما بقية الأمور فإذا كان يأمرها بالحرام فشرعاً لا يجوز طاعته؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[٢٢٩]، وإذا كان يأمر بالمباحات والمستحبات فهي مخيّرة في القبول أو الرفض ولا يجوز له إجبارها، نعم إذا أطاعته في المستحبات كتقديم الخدمة ترتّب على فعلها أجر عظيم، وأما إذا أمرها بأداء الواجبات والنهي عن المحرمات فهنا وجب عليها طاعته من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهاتان الفريضتان غير مختصتين بالزوج، بل حتى الزوجة إذا رأت زوجها يرتكب محرماً فوجب عليها نصحه، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٢٣٠]

٣. إن الشريعة لم تأمر الزوج بأن يخالف كل ما تقوله له زوجته، فإذا كان ما تذكره لا يخالف أحكام اللّه، ولا يترتب عليه مفسدة

فالشريعة حثت على موافقة رأي الزوجة لما له من دور في تحصيل محبتها لك وزيادة المودة والرحمة فيما بينكما، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته وهي الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها، وحسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها » [٢٣١].

المبحث السادس: الردّ على مسألة عقاب الزوجة المؤذية

بعضهم يسأل: لماذا تذكر الروايات تذكر العقاب المترتب على أذية الزوجة لزوجها، بينما الزوج لا يترتب عليه عقاب عند أذيته للزوجة ؟

الجواب: من قال إن الرجل الذي يؤذي زوجته لا عقاب عليه؟

عندما نراجع النصوص الشرعية نجدها ساوت بين الجنسين في الثواب والعقاب، فقد رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل اللّه صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه وإن صامت الدهر.. وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذيا ظالما»[٢٣٢].

فاللّه تعالى لا يجيز للزوج أن يظلم زوجته، فقد روي عن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « إني لأتعجب ممن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها » [٢٣٣].

ولو كنا في دولة الإمام المهدي عج لما تجرأ زوج على ظلم زوجته ولا العكس؛ لأنه حتماً سيحاسب ويعاقب، وعلى الزوجة المظلومة من زوجها أن تصبر؛ لأن اللّه سيعوضها خيراً في الآخرة، فلو كان ظلمه مادياً، كأن أكل حقها من المهر أو النفقة وغيره فسوف يقتص منه يوم القيامة، فقد روي عن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يؤخذ بدانق فضة سبعمائة صلاة مقبولة فيعطاها الخصم » [٢٣٤].

وأمـــا إذا كان ظلمه معنويـــاً كأن أذى زوجته أذية لفظية أو جســـدية، فســـوف يقتص منه بما روي عـــن رســـول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « أي رجل لطـــم امرأتـــه لطمة أمـــر اللّه عزوجـــل مالك خـــازن النيـــران فيلطمه علـــى حروجهه ســـبعين لطمة فـــي نارجهنـــم » (٢٣٥)

المبحث السابع: الرد على مسألة تعدد الزوجات

بعضهـــم يســـأل: لماذا أجاز الإســـلام تعـــدّد الزوجات للـــزوج الواحد، ولم يجـــز للمرأة تعـــدّد الأزواج؟

والجـــواب على ذلـــك: إنّ الإســـلام اهتـــم بأمريـــن نتج منهمـــا جواز تعـــدّد الزوجـــات، وعـــدم جـــواز تعـــدّد الأزواج، وإليك هذيـــن الأمرين:

الأمـــر الأول: إنّ الإســـلام اهتمّ بموضوع تمييز النســـل وتشـــخيص الأب والأم، ولا يقـــرّ اختلاط المياه إطلاقـــاً . ويتفرّع على هـــذا الاهتمام لابديّة أن يحقّـــق ضمانًا لتحقيقـــه، وكان يكفـــي كضمان لتمييز النســـل أن يمنـــع عـــن تعـــدّد الأزواج للمـــرأة الواحدة، فلا يســـمح لها بالـــزواج مع رجليـــن أو أكثـــر فـــي عـــرض واحـــد، دون الحاجة إلـــى المنع مـــن تعدد الزوجـــات للرجل الواحـــد؛ وذلك لأنّ الـــزوج إذا كان واحدًا وتعـــدّدت زوجاته فســـوف يتميز النســـل ويتعيـــن الأبـــوان، أمّا إذا تعـــدّد الـــزوج واتحدت الزوجـــة فإنّ الأب ســـوف يضـــلّ مجهولًا

الأمـــر الثاني: إنّ الإســـلام اهتمّ بتكويـــن الحياة الزوجية فـــي المجتمع، ولا يرضـــى بمجتمع ليس فيـــه حياة زوجيـــة، ويتفرّع على هـــذا الاهتمام لابديّـــة أن يقـــدّم ضمانًـــا لتحقيقهـــا، وكان يكفـــي كضمـــان لإيجاد الحيـــاة الزوجية هـــو الدعوة إلى الـــزواج، والـــزواج المبكّر وجعلـــه ثوابًا، وهـــذه الحياة الزوجيـــة تحصل إذا تعـــدّدت الزوجـــات واتّحد الـــزوج؛ لأنّ القائـــم على هـــذه الزوجـــات والمدير لشـــؤونها هو شـــخص واحد. على العكس ممـــا إذا تعـــدّد الأزواج علـــى زوجة وعائلـــة واحدة، فـــإنّ القائم عليهـــا والمديـــر لشـــؤونها يكون متعـــدّدًا ، فتفســـد الحيـــاة الزوجية والعائليـــة بذلك.

والأمر اللافت للنظر في هذا المجال هو أنّ اللّه تبارك وتعالى تفضّل على النساء تكوينًا، فجعلها أقدر على الرجال على الصبر عن العمل الجنسي، فصبر المرأة على زوج واحد أكثر من صبر الرجل على زوجة واحدة.[٢٣٦]

نفهم مما طرحناه من تساؤلات عن الحقوق الزوجية أن اللّه تعالى لما شرّع الأحكام والحقوق ما بين الزوجين لم يظلم فيها المرأة ولا الرجل مثقال ذرة، فأحكام اللّه تعالى قائمة على العدل وفيها الرحمة، وتطبيقها فيه المصلحة للزوجين، قال تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾ [٢٣٧]

فالمرأة الصالحة المؤمنة هي التي تمنح حقوق زوجها وتسعى لنيل رضا زوجها فيما لو كان رضاه موافقا لرضا اللّه تعالى، روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: لا شفيع للمرأة أنجح عند ربها من رضا زوجها، ولما ماتت فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ قام عليها أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقال: « اللهم إني راض عن ابنة نبيك، اللهم إنها قد أوحشت فآنسها » [٢٣٨].

ففاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ هي الزوجة المثال التي وجب علينا الاقتداء بها، كما اقتدين بها الزوجات الصالحات للأئمة المعصومين وبالأخص الزوجات اللاتي ولدن المعصومين ومنهن السيدة نرجس زوجة صاحب الذكرى الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأم الإمام المهدي عج، فلقد كانت نعم الزوجة المطيعة لأوامر ربها، وأحسنت تبعلها وهي مسرورة فرحة؛ لأن السيدة حكيمة علمتها فرائض وسنن الإسلام وأخبرتها أن رسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: « جِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ لِزَوْجِهَا » [٢٣٩]

وفعلًا كانت السيدة نرجس نعم المجاهدة، فلقد عاشت مع زوجها المظلوم المضطهد من قبل أعدائه، ونالت نصيبها من جور وظلم السلطة العباسية المستبدة.

ففي ذلك الوقت استفحل العداء بعد أن عزم بنو العباس على محو الإمامة بقتل أي مولود يولد للإمام العسكري، فكثّفت السلطة من المراقبة الصارمة والتضييق على بيت الإمام ورصد كل حركة، ودسّت الجواسيس وبعث المعتمد العباسي من يكشف عن دار الإمام، وكانت نرجس حاملاً بالإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخفى اللّه حملها ولم يظهر عليها أي مظهر من مظاهر الحمل ورغم ذلك فقد اعتُقلت ووضعت تحت المراقبة الشديدة فواجهت ممارسات العباسيين بشجاعة وصلابة ويقين، وهكذا بقيت صابرة حتى ولدت الإمام سرًا .

ولما تولى المعتمد كرسي الملك جعل القضاء على الإمام هدفا من أهدافه فحبس الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ مرة عند علي ابن واتامش وكان شديدا على آل أبي طالب ولكن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ وعظه وحذره غضب الجبار فما مضى على وجود الإمام عنده إلا أيام حتى وضع خده لأبي محمد وكان لا يرفع بصره إليه إجلالا وإعظاما له. وخرج الإمام من عنده وهو أحسن الناس بصيرة وأحسنهم قولا فيه ثم سلموا الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى شخص آخر شديد العداوة لآل محمد وكان يضيق على الإمام ويؤذيه فقالت له امرأته: ويلك اتق اللّه فإنك لا تدري من في منزلك وإني أخاف عليك منه وذكرت له صلاحه وعبادته فاشتد عداوة وقال: واللّه لأرمينه بين السباع ثم استأذن في ذلك المعتمد فأذن له فرمى الإمام بين السباع والأسود ولم يشكوا في أكلها إياه فنظروا إلى الموضع ليعرفوا الحال فوجدوا الإمام قائما يصلي والسباع حوله تلوذ به ولم يزل ثلاثة أيام بين الأسود وهو يصلي فأخرج بعد ذلك ولكن إلى سجن آخر فما زال ينقل من سجن إلى آخر حتى دس إليه المعتمد سما قاتلا وضعه له في الطعام فوقع الإمام مريضا وطال مرضه عشرة أيام وجسمه يزداد ضعفا والآلام تشتد عليه يُغشى عليه ساعة بعد ساعة.

وفي ليلة وفاته لم يكن عنده إلا صقيل الجارية وعقيد الخادم

وولـــده الحجة (عج) وهو ابن خمســـة ســـنين وفـــي تلـــك الليلة كتب بيـــده الشـــريفة كتبـــا كثيـــرة إلـــى المدينة هـــذا وقد اعتـــراه ضعف شـــديد في بدنـــه حتى أضحـــى عاجـــزا عن تهيئـــة مقدمـــات الصلاة بنفســـه، قال عقيـــد: فدعا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمـــاء قد أغلـــى بالمصطكي فجئنا بـــه إليـــه فقـــال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ابـــدأ بالصـــلاة جيؤني بمـــاء لأتوضـــأ فجئنا به وبســـط فـــي حجـــره المنديـــل فأقبـــل القدح يضـــرب ثنايـــاه ويده ترتعد فشـــرب منـــه جرعـــة وأخذت صقيـــل القـــدح من يده ثـــم أخذ ولـــده الحجة (عـــج) وضمه إلـــى صدره الشـــريف وجعل يقبلـــه ويودعه ويبكـــي ويوصيه بوصاياه وســـلمه ودائـــع الإمامة ثم ســـكن أنينه وعرق جبينـــه وغمـــض عينيـــه وأســـبل يديه ومـــدّ رجليـــه ومضى إلـــى ربه شـــهيدا مســـموما مظلوما، أي وا إمامـــاه، وا ســـيداه، وا مظلوماه.

(نصاري)

تـــراده بالمـــرض حاله او تلاشـــه ظـــل الحســـن واگع على افراشـــه
واللّه مـــا بگت عنـــده حشاشـــه ضعفـــت ونتـــه والگلـــب نصين
بعـــد مـــا ودع ابنـــه ابگلب مجروح تشاهد ويلي گلبي او فاضت الروح
ثار اصيـــاح اهل بيتـــه او عِلَه النوح اثاري مـــات اويلـــي او فـــرّگ البين

قـــال الـــراوي: فلمـــا ذاع خبر وفاته ضجّت ســـر مـــن رأى ضجـــة واحدة ثم أخذوا فـــي تجهيـــزه وعُطلت الأســـواق وركـــب بنو هاشـــم والقواد والكتـــاب والقضـــاة وســـائر النـــاس إلـــى جنازته وكانت ســـر مـــن رأى يومئذ شـــبيهة بالقيامـــة [٢٤٠].

(نصاري)

اجت النـــاس تتراكض ابدهشـــه لگوا دار العلـــوم اشـــلون وحشـــه
بچـــوا عالبـــاب لمن طلع نعشـــه تلگوه ابلطـــم يدمـــي الخديـــن

أقـــول: وإن قتل الإمام الحســـن العســـكري عَلَيْهِ السَّلَامُ مســـموما ولكنه جهز علـــى أحســـن ما يـــرام وشُـــيِّع علـــى أطـــراف الأنامل مـــن قبل كافـــة الناس في ســـرّ مـــن رأى.

(نصاري)

ســـارت بالنعـــش تبچـــي حواليه لمـــا دفنـــوه ردوا للعـــزه اعليـــه

بس احسين ما واحد وصل ليه ثلـــث تيـــام عـــاري ابغيـــر تكفين

(أبوذية)

مصيبتكم يشبل الحسن ياليت او علـــى جـــدّك اخيـــول الگوم ياليت

وردتك حاضـــــــر ابكربلـــه ياليت او تنظر عمّتـــك بين آل امـــــيه[٢٤١]

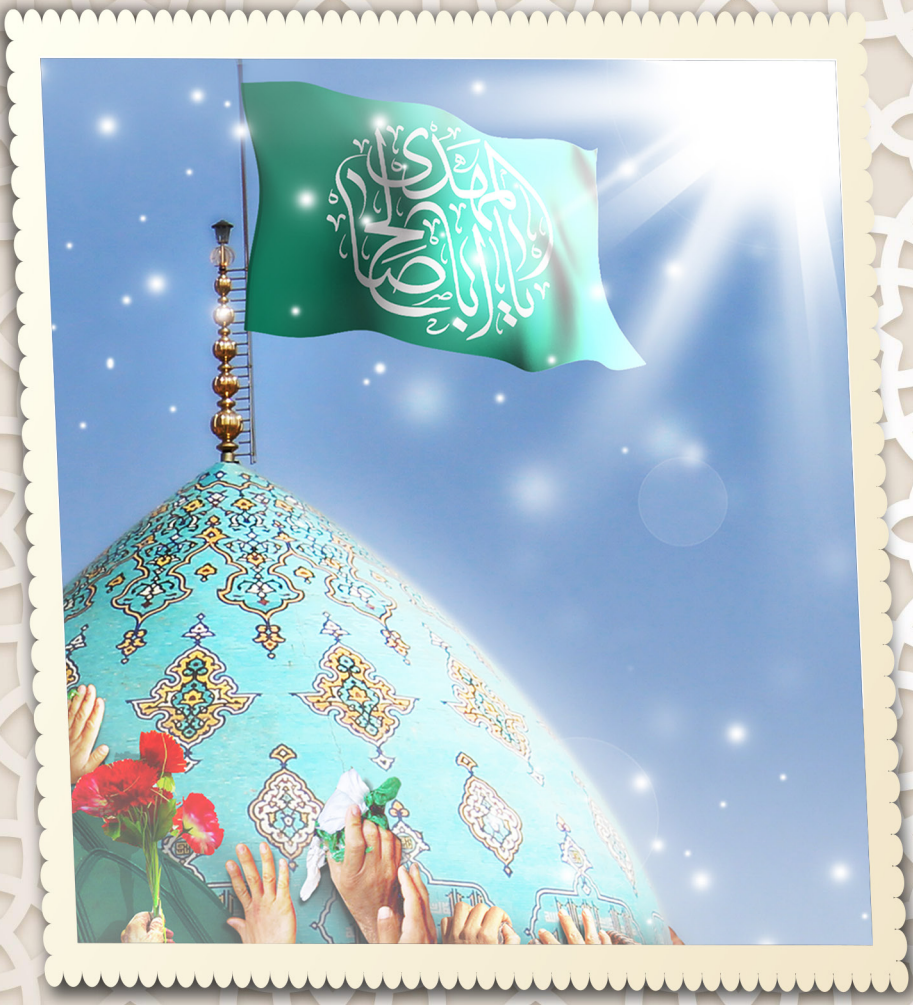

٩ ربيع الأول

تتويج الإمام المهدي (عليه السلام) لمنصب الإمامة والولاية

المناسبة

فرحة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ

لنْ يُفرحَ الزهراءَ إلا المنـــــتظرْ ... يبـــدو ، ويُفنـــي كلَّ علـــجٍ قـــد كفرْ
وعـــدٌ أكيـــدٌ حيـــن يظهـــر ثائراً ... مـــن ظالـــمٍ أو جاحـــدٍ أو قـــد فَجَرْ
من كاسرٍ ضلعَ الحســـين بكربلا ... أو قبلـــه ضلـــعَ البتولـــة قد كَسَـــرْ
اليـــوم تنصيـــب الولـــيِّ فهللوا ... واليوم ولّـــى من لفاطمَ قد عـــــصرْ

قصيده شعبية عن فرحة الزهراء

أريد اكتـــب قصيده بفرحـــة الزهره ... ومن تاســـع ربيع اســـتلهم الفكره
فـُـــرحت من تســـلم حيدر الرايات ... بســـاعات الغديـــر وآيـــة القـــدره
فـُـرحت من صعد حيدر لسطح البيت ... وأخذ كل صنم بيده المرتضه يكسره
فـُـرحت من تهاوى الصنم فوگ الگاع ... وبـــات ابليس حاير منكســـر ظهره
الصنم خرَّب عقول الناس بالأوهام ... ومثل فرعـــون بين للخلگ ســـحره
فرحـــت بالـــگبر من كبـــَّر الكرار ... وگص روس الدجل والبيه مأتمـــــره
فرحتمن طلـــع وي عصبته المختار ... وكل راس الغـــدر بالصـــارم يبتـــره
فـــَرحتها بتســـلم حجة المعبود ... ميراث العداله وحكمة العـــــتره
من شـــگ الظلام وطر عمود النور ... وشـــافت ضحكة الأفلاك ســـامره
لأن باچر يجـــي أرض المدينة بجيش ... يكشف گبر أمـــَّه الزاچيه الحره
لأن بـــاچر يعلگ عـــل العمـــد وبنار ... يـــوج راس الذليل الأســـس الغدره
ويسيـــِّر للعراق العلم والرايـــات ... ويزف للمصطفه ولحيدر البشرى
لأن بـــاچر يصيـــح الثـــار واللّه الثار ... من دافـــع البـــاب وگاطع الســـدره
ولأن الزهره ســـر المالـــك المعبود ... بظهور الدين حاكم تفـــرح الزهره

المحاضرة السادسة

فرحة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ وتتويج المهدي عج

روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

« رَحِمَ اللّهُ شيعتَنا خُلقوا مِنْ فاضلِ طينتنا وعُجنوا بماءِ ولايتِنا يَحزنونَ لحزنِنا ويفرحونَ لفرَحِنا » [٢٤٢]

مباحث الرواية الشريفة

المبحث الأول: ما معنى الحديث؟

ورد مضمون هذا الحديث في مصادر متعددة[٢٤٣]، منها الرواية محل البحث التي يذكرها صاحب كتاب بحار الأنوار، ومعنى الحديث أن شيعة أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ خلقهم اللّه تعالى مما فضل وتبقى من الطينة التي خلق اللّه تعالى منها أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ لذا فهم مرتبطون بأصلهم، ومن علامات هذا الارتباط أن الشيعة يفرحون لفرح أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ويحزنون لحزنهم.

وحينما يرد هذا الحديث فإن المعنى الذي يسبق إلى الأذهان أن الشيعة يقيمون محافل الفرح والسرور، وينشدون القصائد في مدائح أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وذكر مناقبهم ويتبادلون التهاني في المناسبات المفرحة كيوم المولد النبوي والغدير وليلة النصف من شعبان، وأنهم يقيمون مأتم الحزن والبكاء ويلطمون الصدور في المناسبات الحزينة كيوم عاشوراء والفاطمية وغيرها.

وهذا معنى صحيح إلا أنه يبقى مظهراً شكلياً إذا خلا من المضمون الحقيقي بالالتفات إلى ما يفرح أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ويحزنهم فإنهم يفرحون بطاعة اللّه تعالى وإقامة دينه العظيم والتزام الناس بتعاليمه وأحكامه وصلاح أمور الأمة، قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [٢٤٤] وفي دعاء الإمام

الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم عرفة (اللَّهُمَّ أَسْعِدْنِي بِتَقْوَاكَ وَلَا تُشْقِنِي بِمَعْصِيَتِكَ) .

ويحزن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إذا عصي الله تعالى وابتعد الناس عن الدين ولم يعملوا بأحكام الله تعالى في حياتهم، كما في دعاء الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم الخميس (وَلَا تَفْجَعْنِي فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ مِنَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ بِارْتِكَابِ الْمَحَارِمِ وَاكْتِسَابِ الْمَآثِمِ) فهو يعدّ الوقوع في الذنب والمعصية فجيعةً[٢٤٥]

ولذا فالشيعي الحقيقي هو الذي يُفرح محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بطاعتهم طاعة مطلقة، وبنفس الوقت يَفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، ومن تلك المناسبات التي يفرح فيها الشيعة هو الفرح في اليوم التاسع من شهر ربيع الأول المسمى ب(فرحة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ).

المبحث الثاني: لماذا سمي يوم ٩ ربيع الأول بفرحة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ ؟

إن المعروف عند كثير من الشيعة أن يوم التاسع من ربيع الأول هو يوم فرح وسرور، وذلك لورود روايات عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في فضل هذا اليوم، وثّقها بعض وضعّفها آخرون[٢٤٦].

واختلفوا فيه من ناحية علّة المناسبة، وقبل أن نذكر الآراء نريد أن نبيّن أمراً مهماً وهو أن هناك آراءً ذكرت أن سبب فرحة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ من أجل حوادث حصلت في حياتها، وأخرى لحوادث حصلت بعد مماتها، وقد يستغرب بعضهم عن سبب فرحتها بالحوادث التي تعقب مماتها،، وهذا الاستغراب يرفع لخصوصية رسل الله وحججه في اطلاعهم على علم الغيب.

نعم، (إنّ علم الغيب محصور بالله تعالى استقلالاً، فلا يمكن لأحد أن يعرفه مستقلاً عن الله تعالى، وهذا هو تفسير بعض الآيات التي تحصر علم الغيب بالله عزّ وجلّ، كقوله تعالى ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾[٢٤٧]

إلاّ أنّ هذا لا يمنع أن يتفضّل اللّه تعالى على بعض عباده بإطلاعه على بعض من علم الغيب، فيكون هذا عالماً بالغيب بالتَبَع لا بالاستقلال، وهذا المعنى ذكره تعالى بآيات منه قوله تعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [٢٤٨]

وممّا لا شكّ فيه أنّ النبيّ محمّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو على رأس من اجتبى واصطفى اللّه تعالى من رسله، ومن ثمّ فهو عزّ وجلّ يُطلعه، ويُظهر عليه غيبه، وبدوره -الرسول- علّم الغيب أهل بيته عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد ورد عن الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « ما من أرض مخصّبة ولا مجدبة، ولا فئة تضل مائة وتهدي مئة إلاّ أنا أعلمها، وقد علّمتها أهل بيتي »[٢٤٩]. [٢٥٠]، ومن أهل بيته هي حبيبته وقرة عينه الصديقة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ .

إذا فهمتم ذلك؛ لنرجع إلى الآراء التي فسّرت فرحة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، ونذكر منها الآراء الآتية:

الرأي الأول: أن هذا اليوم يمثل أول يوم من إمامة الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ باعتبار وفاة أبيه العسكري في الثامن من ربيع الأول، فتسلّم في هذا اليوم مهام الإمامة والولاية، وهو صاحب الدولة الكريمة، وعلى يديه يسود العدل وينتصف المظلوم من الظالم [٢٥١] فيكون يوم فرح المؤمنين وفي مقدمتهم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وتتقدم أهل البيت سيدة النساء عَلَيْهَا السَّلَامُ، لما لَحِق بها من مظلومية وأحزان ككسر الضلع وإسقاط الجنين واغتصاب حقها من فدك ، أو على زوجها عَلَيْهِ السَّلَامُ وكذلك أبنائها عَلَيْهِمُ السَّلَامُ باعتبار أن الإمام الحجة (عج) هو المنتقم من جميع الظلمة، ولذا فهو يوم عيد عند الشيعة الإثني عشرية.

وهذا الرأي قال به واحتمله بعض العلماء، ومنهم السيد بن طاووس: أن يكون سبب الفرحة والتعبّد هو بمناسبة تولي الحجة صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف لمنصب الإمامة والولاية، وأن اليوم التاسع من ربيع الأول هو أول يوم لتولي هذا المنصب، ومن هنا تفرح الشيعة به؛ لما

أختص به الإمام الحجة (عج) من مقام وأنه صاحب الدولة الكريمة، وقال في مكان آخر أن التقيد فيه قد يكون لسر مكنون لا نعلمه)[٢٥٢] ويرد عليه بعضهم بأن الإمام التالي يكون إماماً في اللحظة التي يستشهد فيها الإمام الذي قبله «لأن الأرض لا تخلو للّه من حجة» [٢٥٣]، « لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها » [٢٥٤]، فهذا معناه أن إمامة الإمام المهدي عجل اللّه تعالى فرجه الشريف الظاهرية ابتدأت في الثامن من ربيع الأول، وليس في التاسع منه الذي يصادف اليوم الثاني لإمامته عجل الله تعالى فرجه الشريف.

الرأي الثاني: يحتمل الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء أن يكون سبب فرحة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ هو أن اليوم التاسع والعاشر من ربيع الأول هو يوم اقتران أبيها رسول اللّه بوالدتها خديجة الكبرى ولا شك أن الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ كانت تظهر الفرح والسرور بذلك اليوم من كل سنة، ويكون قد بقيت عادة إظهار هذا الفرح متوارثاً عند مواليها من الشيعة في ذلك اليوم كل سنة.[٢٥٥]

الرأي الثالث: أن هذا اليوم هو اليوم الذي بدأت فيه بوادر نجاح حركة المختار بالظهور، والمختار هو الذي انتقم من مجرمي فاجعة كربلاء، ومنهم عمر بن سعد، وعبيد اللّه بن زياد وحرملة، وغيرهم عليهم لعائن اللّه.

فالروايات تذكر بأن قتْلهم أدخل السرور على قلب الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، والهاشميات، وسائر بني هاشم، روي عن أبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين صلوات اللّه عليه ».[٢٥٦]

وروي أن الإمام علياً بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لما أتى برأس عبيد اللّه بن زياد، ورأس عمر بن سعد خرّ ساجداً وقال: «الحمد للّه الذي أدرك لي ثأري من أعدائي، وجزى المختار خيراً » [٢٥٧]

الرأي الرابع: يعتقد بعضهم بأن هذا اليوم هو اليوم الذي قُتل

فيه مَن اعتدى على السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وتسبّب في إسقاط جنينها وشهادتها، والمقصود منه عمر بن الخطاب الذي كان مقتلهُ على يد أبي لؤلؤة، الذي بقر بطنه بسيفه.

ولقد أيّد هذا الرأي بعض العلماء ومنهم سماحة السيد محمد صادق الحسيني الروحاني قدس اللّه سره حيث قال: بحسب ما وصلنا هناك روايةٌ واحدة مرتبطة بعيد الصدّيقة الطاهرة عَلَيْهَا السَّلَامُ، نقلها المحدّث النوري قدس سره في المستدرك، وهي رواية أحمد بن إسحاق القمّي، والرواية وإن كانت ضعيفة السند، إلاّ أنّ ذلك لا يضرّ بها؛ باعتبار أنّ مضامينها من المستحبّات التي تجري فيها قاعدة التسامح في أدلّة السنن، وكذا لا يضرّ بها وجودُ بعض الفقرات التي لا يمكن العملُ بها، كالفقرة الدالّة على رفع القلم في ذلك اليوم، إذ أنّ المختار لدينا هو إمكان التبعيض في الحجّيّة.[٢٥٨]

في حين يرى الآخرون بأنه غير صحيح، وذلك لإجماع أهل التواريخ والسير، من الشيعة والسنّة على أنه قُتل في ذي الحجة لا في شهر ربيع الأول، كما صرّح بذلك السيد ابن طاووس (ره) وغيره.[٢٥٩]

وبغض النظر عن مدى صحة هذا الرأي، فإن من المؤسف أن نجد بعض مؤيدي هذا الرأي لما يحتفلون بهذا اليوم، تصدر منهم سلوكيات غير مقبولة، كسب المقتول وشتمه وإهانته، في حين أن سب الشخصيات والرموز حتى لو كانت مخالفة لنا أمرٌ لا يقبله أتباعه، وهذا الأمر سيدفعهم إلى التجاوز على رموزنا، قال تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٢٦٠]

فنحن المسلمون لم نرضَ ولم نقبل من الكفرة لما قام بعضهم بالإساءة وتوجيه الإهانات إلى نبينا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ باسم حرية التعبير عن الرأي؛ لأننا نعتقد أن إهانتهم لنبينا هو إهانة للإسلام والمسلمين..

ولذا نستغرب من تصرفات بعض الموالين لما يخصص هذا اليوم للسب والشتم وإهانة رموز بعض المخالفين، بحجة أنه يوم فرحة الزهراء، فهل تفرح السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ بسلوك يؤدي إلى تمزيق أمة أبيها؟، وإلى صراعات مذهبية؟

حاشا أن تقبل الصديقة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ بذلك، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « ما أيسر ما رضي الناس به منكم، كفوا ألسنتكم عنهم » [٢٦١]

وقد يبرر بعضهم سلوكه محتجاً بإحدى الروايات، ولكن بغض النظر عند مدى صحة سندها فهي تتعارض مع روايات عديدة.[٢٦٢]

وعلى فرض أن الرواية صحيحة، ويُستدل بها على الجواز بالعنوان الأولي -بإظهار الفرح بمقتل بعض رموز المخالفين المقترن بسلوكيات مذمومة- ولكن من ناحية شرعية أن الأحكام تتغير بالعنوان الثانوي؛ لملاحظة الظروف المحيطة بها، فالصوم حكمه الأولي واجب، ولكن لو كان المكلّف مريضاً وترتّب على صومه أن تعرض حياته للخطر فشرعاً يحرم الصوم عليه بالعنوان الثانوي، ومعلوم أن سب رموز المخالفين بالعلن سيؤدي إلى إثارة الفتن والأحقاد، وسيكون موجباً لوهن المذهب، فيحرم بالعنوان الثانوي، وقد أمرنا الأئمة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بأن لا نفعل ما يسيء إليهم، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « معاشر الشيعة كونوا لنا زينا ولا تكونوا علينا شينا قولوا للناس حسنا، واحفظوا ألسنتكم، وكفوها عن الفضول وقبيح القول» [٢٦٣]

الرأي الخامس: بأنه الغدير الثاني ــ وهذا العنوان ذكره الإمام الهادي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نقلاً عن حذيفة بن اليمان، الذي سأل أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قائلاً: « يا أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إني أحب أن تُسمعني أسماء هذا اليوم التاسع من شهر ربيع الأول، فقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: يا حذيفة هذا يوم الاستراحة، و يوم تنفيس الهم والكرب، والغدير الثاني، ويوم الثارات، وعيد اللّه الأكبر »[٢٦٤]

لهذا فإن رواية يوم الغدير الثاني تعني التبرّي من أعداء أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بما أن الغدير الأول كان التولي لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وقد ذكر الشيخ المفيد في كتاب المقنعة: (وولاية أولياء اللّه تعالى مفترضة وبها قوام الإيمان وعداوة أعدائه واجبة على كل حال) [٢٦٥] فمع أخذ مفهومي التولّي والتبرّي اللذين أشار إليهما الشيخ المفيد -رحمه اللّه- نفهم أن التعبير عن هذا اليوم بالغدير الثاني معناه أنه يوم التبرّي، بعد أن كان الغدير الأول يوم التولّي؛ ليحصل التكامل بين جناحي العقيدة الإسلامية[٢٦٦]

الرأي السادس: أنها الفرحة التي عاشتها الصديقة الطاهرة عَلَيْهَا السَّلَامُ في حياتها قبل وفاة أبيها رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، حيث ينقل المؤرّخون أنّها دخلت عليه وهو في حال الاحتضار واحتضنته، فَهَمَسَ في أُذنها همسة أبكتها، ثمّ هَمَسَ همسة أخرى أضحكتها، فقيل لها ما أسرع الضّحك إلى البكاء؟! فقالت: « ما كنتُ لأفشي سرّ رسول اللّه في حياته ». ولمّا سئلت عن ذلك بعد وفاته قالت: « إنّه همس في أُذني أوّلاً أنّه سيلاقي وجه ربّه، وأنّه نعيت إليه نفسه فبكيت، ثمّ همس في أُذني ثانية أنّي أوّل النّاس لحوقاً به من أهل بيته فضحكت » [٢٦٧]

فهذه فرحة للسيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ سجلها التاريخ في آخر سنة من حياتها الشريفة لكن يرد عليه بما يلي:

١. المشهور أن وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الثامن والعشرين من صفر فتكون هذه الحادثة قبلها لا بعدها في التاسع من ربيع الأول!

٢. أقول: إذا كانت السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ قد فرحت لأنها أوّل النّاس لحاقاً بأبيها رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من أهل بيته لشدة علاقتها ومحبتها لرسولها وأبيها، فهل من المناسب أن تفرح الشيعة لخبر تعجيل وفاتها؟!

الرأي السابع: يعتقد بعضهم بأن في هذا اليوم رفع المؤاخذة على المعاصي، أي يجوز فيه ارتكاب المعاصي -والعياذ بالله- استناداً إلى رواية ضعيفة السند التي تتضمن عبارات لا يمكن العمل بها، ومنها هذه العبارة (..وأمرتُ الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن الخلق كلّهم ثلاثة أيّام من ذلك اليوم لا يكتبون شيئاً من خطاياهم)[٢٦٨] ونستغرب كيف جعلوا اليوم الذي يعصى الله فيه هو يوم فرحة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ التي لعصمتها يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها ؟

أن هذا الرأي وما يترتب عليه من ارتكاب للمعاصي يرفضه كل العلماء؛ لأنه يخالف الأصول الاعتقادية للمسلمين عامة، وللشيعة خاصة، الثابتة قرآناً و سنّة، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[٢٦٩]

ومن هنا فقد أفتى علماؤنا الكرام بحرمة بعض الأعمال المنافية للشرع التي يمارسها العوام في مثل هذا اليوم.

بعد بيان الآراء المقبولة والمرفوضة لتفسير فرحة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، سنقف على الرأي الشائع الذي رجّحه بعض العلماء وهو أن يوم فرحة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ هو يوم تتويج الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ. ولذا سنجعله مسك ختام المحاضرة.

المبحث الثالث: أسئلة عن تتويج الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ

قبل أن نطرح الأسئلة المختصة بتتويج الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ لنقف على معنى التتويج.

في اللغة العربية عندما يقال: « فلان تَوَّجُوهُ فِي مَحْفِلٍ مَهِيبٍ» أي أَلْبَسُوهُ التَّاجَ، وَجَعَلُوهُ سَيِّداً.

ونحن عندما نقول: أن في مثل هذا اليوم قد تمّ(تَتْويجُ الإمام المهدي عج)، فلا نقصد المعنى الظاهري من إجراء المراسم الخاصة ووضع التاج على

الرأس بعد التنصيب، بل المقصود من تتويج الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ تسلّم الإمام لمهام الإمامة من يوم شهادة والده.

حيث أن من عقائد الإمامية أنه بعد استشهاد أحد الأئمة، يتولى الإمامة الإمام الذي نصّ على إمامته ولذلك تولّى الحجة عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد استشهاد والده العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ أمور الإمامة ، وكان ذلك في الثامن من ربيع الأوّل ٢٦٠هـ. ولكن الشيعة لا تفرح في اليوم الذي استشهد فيه الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ ولذا كانت الفرحة في اليوم التاسع من ربيع الأول ، حيث تقام الاحتفالات لهذا التتويج؛ وذلك لأنّه أوّل يوم من إمامة وخلافة منجي البشرية، وآخر الحجج للّه على أرضه، وتأمل أن يعجّل اللّه تعالى فرج إمام زمانها الإمام المهدي المنتظر عَلَيْهِ السَّلَامُ في أقرب وقت ممكن، ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، كما بشّر بذلك جدُّه محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في أحاديث متواترة، نقلتها كتب المسلمين سنّة وشيعة.[٢٧٠]

بعد هذه المقدمة لنبدأ بطرح الأسئلة المختصة بتتويج الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ

سنطرح سؤالين يرد ذكرهما في هذه المناسبة وهما كالآتي:

سؤال(١): كيف يتولى الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ مهام الإمامة وهو ابن خمس سنين؟

الجواب: يعدَّ الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ أصغر الأئمّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ سنّاً عند تولّيه الإمامة، وليس هذا بدعاً من الأمور في تاريخ الأنبياء والرسل وأئمّة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ... وقد أجاب علماؤنا الأبرار عن ذلك ومنهم الشيخ المفيد -رحمه اللّه- أنّه قال: (أنّ كمال العقل لا يستنكر لحجج اللّه تعالى مع صغر السنّ، قال اللّه سبحانه: ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[٢٧١] ، فخبّر عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، بالكلام

في المهد، وقال في قصّة يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[٢٧٢] وقد أجمع جمهور الشيعة، مع سائر من خالفهم على أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دعا عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو صغير السنّ، ولم يدع الصبيان غيره، وباهَل بالحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وهما طفلان، ولم يُرَ مُباهِلٌ قبله ولا بعده باهَل بالأطفال، وإذا كان الأمر على ما ذكرناه من تخصيص الله تعالى حججه على ما شرحناه، بطل ما تعلّق به هؤلاء القوم[٢٧٣]. [٢٧٤]

ومن ثمَّ فلا يؤثّر صغر السنّ في قابلية الإفاضة الربّانية على الشخص، ولذا نرى الذين ترجموا للإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ من علماء المذاهب الإسلامية قد عدّوا تسلّمه للإمامة وهو في هذا السنّ (خمس سنين) أمراً عادياً في سيرة الأئمّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قال ابن حجر الهيثمّي الشافعي في ذيل ترجمته للإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ: « ولم يخلّف -الإمام العسكري- غير ولده أبي القاسم محمّد الحجّة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة »[٢٧٥]

السؤال(٢): كيف يكون مولانا المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، حجة الله على الخلق وهو غائب ؟

ونجيب عليه بالنقاط الآتية:

١. **إن الحجّية علاقة من طرفين بين المكلف وبين من ثبتت له الحجية** وهو الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا شكّ ولا ريب أنّ الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ حجّة الله تعالى على الخلق، بمعنى أنّ الله تعالى يحتجّ به على عباده يوم القيامة، وعليه فالحجّية مهمّة من مهام الإمام ووظائفه، فغيابه عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أنظار الخلق -بمعنى أنّ الخلق لا يراه بينما هو يراهم- لا يضرّ على هذا المعنى من الحجّية[٢٧٦]، وحتى يتبين المطلب لنقف على كلا طرفي الحجّية:

۞ الطرف الأول وهو من ثبتت له الحجيّة (وهو الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ)،

لكونه موجود أولاً، ولكونه مطلع على أعمالنا ثانياً، فأما من ناحية وجوده فتوجد عشرات الأدلة الشرعية التي تثبت وجوده[٢٧٧]، غاية ما في الأمر أن الإمام غائب عنّا لحكمة، ولو صح سقوط الحجّية عنه لغيابه لصح سقوط الحجية عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن المسلمين الذين سكنوا بعيداً عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فهو عنهم بمنزلة الغائب.

وأما من ناحية اطلاعه على أعمالنا فهو ناظر إليها بتفاصيلها، ليس فقط عندما نكون بمحضره الشريف بل حتى في حال غيابه؛ لأن اللّه قد أطلعه على كل أعمالنا، فقد روي عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ شُعَيْبٍ، قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، قَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ»[٢٧٨] وإلا لو كانوا يجهلون أعمالنا فكيف سيشهدون علينا يوم القيامة؟ حيث قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ فإنّ أداء الشهادة فرع تحمّل العلم، ومن ثمّ فهو حجة علينا.

الطرف الثاني وهو المكلّف، فحجّية الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ تتمثل بالالتزام بأقوال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ وأوامره ونواهيه والعمل عليها سواءً أكان الإمام حاضراً أو غائباً، فغيابه عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يضرّ، إذ يكفي في صحّة إطلاق الحجّية بهذا المعنى هو التزام المؤمن بأنّه إذا صدر أمر أو نهي من الإمام سوف يطبّقه، ويسير على نهجه، سواء صدر ذلك فعلاً، أو لم يصدر، كما في زمن الغيبة.[٢٧٩]

٢. **لا تلازم بين معنى الحجية وبين الظهور والغيبة**، فإن المسلم يعتقد أن الملائكة ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ لذا فهم حجّة عليه يوم القيامة، رغم أنها غائبة عنه، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[٢٨٠]

ونعلم أن القرآن الكريم حجّة علينا وسيشهد على أعمالنا يوم القيامة، رغم أنه لا يرافقنا في كل مكان، روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ

أنّه قال: «أنّه سبحانه يخاطب القرآن الكريم، ويقول: يا حجتي في الأرض كيف رأيت عبادي؟ فيقول: منهم من صانني وحافظ عليَّ ولم يضيع شيئاً، ومنهم من ضيّعني، واستخف بحقّي وكذب، وأنا حجتك على جميع خلقك، فيقول اللّه تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي، وارتفاع مكاني لأثيبنَّ عليك اليوم أحسن الثواب، ولأعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب»[٢٨١]

ولكون القرآن شاهد علينا فهذا يعني أنه حجّة علينا، وأن معنى كونه حجّة هو وجوب طاعته، والالتزام بما فيه، وإلا من لم يلتزم به سيكون حجة عليه لا له يوم القيامة، وسينال منه اللعن في الدنيا، كما روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «كم من قارئ القرآن، والقرآن يلعنه».[٢٨٢] وهذا الأمر ينطبق على الإمام، فهو حجة علينا مطّلع على كل أعمالنا، وإن غياب المهدي عج لا يعني عدم وجوده لأننا لا نراه، فنحن نعتقد بوجود اللّه والملائكة رغم أننا لا نراهم، ومن ثمَّ يستلزم من حجيته إطاعته عَلَيْهِ السَّلَامُ بالالتزام بأوامره ونواهيه والعمل بها، سواءً أكان حاضراً أم غائباً، وبالنتيجة عند ثبوت هذا المعنى يصح أن يحتج اللّه بهم علينا يوم القيامة.

٣. إن غيبة الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يستلزم منها سقوط الحُجّية عنه، وإلا سيترتب على هذا القول سقوط الحُجّية عن الأنبياء الذين غابوا عن الناس، ونذكر منهم ما يلي[٢٨٣]:

- نبي اللّه إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد حدثتنا الروايات عن طريق أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أنّه غاب عن أهل قريته عشرون سنة في كهف الجبل.[٢٨٤]

- نبي اللّه صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد روي عن أبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنّ صالحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ غاب عن قومه زماناً، وكان يوم غاب كهلاً، حسن الجسم، وافر اللحية، ربعة من الرجال، فلما رجع إلى قومه لم يعرفوه»[٢٨٥]

✿ الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ غائب أيضاً حتّى ساعتنا هذه، ولم يعرفه أحد إلاّ موسى الكليم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا* قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[٢٨٦]، بناءً على أنّ العبد الصالح هو الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ.

✿ نبي اللّه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد غاب في بيت فرعون منذ ولادته إلى ثلاثين سنة حينما خرج إلى المدينة، ورأى رجلين يقتتلان ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ ...﴾[٢٨٧]. وغاب قرابة عشرين سنة في أهل مدين عندما هرب من فرعون.

✿ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد غيّبه اللّه بشخصه إلى أن يأذن اللّه في خروجه.

✿ نبي اللّه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قد غاب عن الناس في بيت العزيز وفي السجن عشرات السنين دون أن يتعرّف عليه أحد قط.

٤. إن عدم القول بحجية الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ يستلزم منه خلو الأرض من حجة بعد شهادة الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢٨٨]، حيث اتفقت كلمة علماء التفسير أن (جاعل) اسم الفاعل يقع موقع الفعل المضارع الدال على الاستمرار.

وعدم خلو الأرض من حجة أمرٌ أكده أئمتنا المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في رواياتهم منها ما روي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ سَعْدٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنِ الْخَلَفِ مِنْ بَعْدِهِ، فَقَالَ لِي مُبْتَدِئاً: يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ إِنَّ اللّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُخَلِّ الْأَرْضَ مُنْذُ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا يُخَلِّيهَا إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ مِنْ حُجَّةٍ للّه عَلَى خَلْقِهِ، بِهِ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَبِهِ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِهِ يُخْرِجُ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللّه، فَمَنِ الْإِمَامُ وَالْخَلِيفَةُ بَعْدَكَ؟ فَنَهَضَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْرِعاً فَدَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ خَرَجَ وَعَلَى عَاتِقِهِ غُلَامٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، مِنْ أَبْنَاءِ الثَّلَاثِ سِنِينَ، فَقَالَ: يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ، لَوْ لَا كَرَامَتُكَ عَلَى اللّه (عَزَّ وَجَلَّ) وَعَلَى حُجَجِهِ مَا عَرَضْتُ عَلَيْكَ ابْنِي

هَذَا، إِنَّهُ سَمِيُّ رَسُولِ اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَنِيُّهُ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ، مَثَلُهُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَثَلُ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَثَلُهُ مَثَلُ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَاللّه لَيَغِيبَنَّ غَيْبَةً لَا يَنْجُو فِيهَا مِنَ الْهَلَكَةِ إِلَّا مَنْ ثَبَّتَهُ اللّه (عَزَّ وَجَلَّ) عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ، وَوَفَّقَهُ فِيهَا لِلدُّعَاءِ بِتَعْجِيلِ فَرَجِهِ، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا مَوْلَايَ فَهَلْ مِنْ عَلَامَةٍ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا قَلْبِي؟ فَنَطَقَ الْغُلَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ فَصِيحٍ، فَقَالَ: أَنَا بَقِيَّةُ اللّه فِي أَرْضِهِ، وَالْمُنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ، فَلَا تَطْلُبْ أَثَراً بَعْدَ عَيْنٍ. (٢٨٩)

اللّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ وَالذَّابِّينَ عَنْهُ وَالْمُسَارِعِينَ إِلَيْهِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَالْمُمْتَثِلِينَ لِأَوَامِرِهِ وَالْمُحَامِينَ عَنْهُ وَالسَّابِقِينَ إِلَى إِرَادَتِهِ وَالْمُسْتَشْهَدِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ

آمين رب العالمين وصلى اللّه على محمد وعلى آله اجمعين الطيبين الطاهرين

يا سيدي يا صاحب الزمان هذا لسان حال شيعتك وانصارك(٢٩٠):

شَوقاً إليكَ وفي يَمينِكَ بَيرَقُ ... ومَنازِلُ الدُّنيا بوَجهَ تُشرِقُ

يا أيها (المَهْدِيُّ) يا بنَ محمدٍ ... يا مَنْ بنَهجِكَ سُؤْلُنا يتحقَّقُ

يا أُمَّةَ الاسلامِ أَحيُوا فَرْحَةً ... بإمامةُ المهديِّ يوماً يُعشَقُ

تتويجِ ميزانِ العدالةِ قائداً ... من آلِ أحمدَ بالسماحةِ ينطِقُ

في يومِ فرحتِهِ نُجَدِّدُ عَهدَنا ... معَهُ إماماً بالمكارمِ يَعبَقُ

فهو المؤمَّلُ مُنْذُ هَلَّ هِلالُهُ ... عِطْراً يفُوحُ كما يفوحُ الزنبَقُ

يا أيها المَهدِيُّ عِمْ بسلامةٍ ... فلَأَنْتَ يا مَولايَ نِعْمَ الرَونَقُ

بكَ نستغيثُ فقد سَئِمْنا فُرقَةً ... نرجُو الوفاقَ ومَنْ سِواكَ يُوَفِّقُ

فقوافلُ الشرفاءِ تطلُبُ مُنقذاً ... يَهدي الى العَلياءِ وهو مُصَدَّقُ

لا ينثني أبداً ويَقْدُمُ زحْفَهُمْ ... سِبْطَاً و كلُّ جِهادِهِ يَتَفَوَّقُ

فازَ الذينَ تحَقُّوا بلِوائِهِ ... مُتآزِرينَ رِضىً ولم يَتَفرَّقُوا

أَقبِلْ إمامَ العصرِ أَصْلِحْ حالَنا ... واْغمُرْ تَصحُّرَنا بِغَيْثٍ يُورِقُ

فنُفُوسُنا عَطشى سِقايةِ صالِحٍ ... مِنْ مَنهلٍ عَذْبٍ بِما يتَدَفَّقُ

مِنْ نَبْعِ أحمدَ إذْ يَفِيضُ مَعِينُهُ ... بِهُدَى الإمامةِ سائغا نَتَذَوَّقُ

فلَطالما خُضنا المصاعِبَ جمَّةً ... فمضارِبٌ تُفنى وأُخرى تُحرَقُ

والطارئونَ طغَوا بكلِّ وقاحةٍ ... وشُعُوبُنا بِ"السامريَّةِ" تُسحَقُ

طالَ الدَّمارُ قلوبَنا وعقُولَنا ... والفازِعُونَ مُغرِّبٌ ومُشَرِّقُ

تاللّه ما فرَجٌ يَفُكُّ قُيُودنا ... إلّا إمامٌ بالعدالَةِ يَفْرُقُ

هوَ خِيرَةُ الهادي ونورُ هدايةٍ ... وبَقيَّةُ اللّه الإمامُ المُشفِقُ

فازَ المطيعُ لهُ بكُلِّ تواضُعٍ ... خابَ المُعانِدُ أمرَهُ المُتشَدِّقُ

١٠ ربيع الأول

زواج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من السيدة خديجة بنت خويلد (عليها السلام)

المناسبة

زواج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ

أضحى الفخار لنا وعز الشأن ... ولقد فخرنا يا بني عدنان
أخديجة نلت العلا بين الورى ... وفخرت فيه جملة الثقلان
أعني محمدا الذي لا مثله ... ولدت نساء الأرض في الأزمان
صلوا عليه وسلموا وترحموا ... فهو المفضل من بني عدنان
فتطاولي فيه خديجة واعلمي ... أن قد خصصت بصفوة الرحمن[٢٩١]

قالت صفية بنت عبد المطلب (رضي اللّه عنه) بمناسبة زواجهما:

جاء السرور مع الفرح ... ومضى النحوس مع الترح
أنوارنا قد أقبلت ... والحال فيها قد نجح
بمحمد المذكور في ... كل المفاوز والبطح
لو أن يوازن أحمد ... بالخلق كلهم رجح
ولقد بدا من فضله ... لقريش أمر قد وضح
ثم السعود لأحمد ... والسعد عنه ما برح
بخديجة بنت الكمال ... وبحر نايلها طفح
يا حسنها في حليها ... والحلم منها ما برح
هذا الأمين محمد ... ما في مدائحه كلح[٢٩٢]
صلوا عليه تسعدوا ... واللّه عنكم قد صفح[٢٩٣]

المحاضرة السابعة

مفاتيح السعادة الزوجية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢٩٤)

مباحث الآية الكريمة

المبحث الأول: كيف نحَصْل على السعادة؟

لا يوجدُ إنسانٌ في هذا الكون لا يريدُ أن يكون سعيدًا، الجميع يبحث عن السعادة، ولكن أغلبهم لم يجدوا السعادة؛ لاعتقادهم أن الأصل في السعادة الإنسانية هو اللذة. وعليه فالسعادة عبارة عن تحقيق اللذائذ المادية، المتمثل بالحصول على المال، أو الجاه والشهرة، أو الجمال، أو الزوج والأولاد، أو القوة والعافية.

ولكن هذا الاعتقاد غير صحيح، والواقع قد أثبته، فلطالما رأينا أغنياء غير سعداء، ومشهورون وأشخاص لديهم جاه وجمال ويتمتعون بصحة جيدة إلا أن اغلبهم لا يشعر بالسعادة وبعضهم لديهم اضطرابات نفسية التي انتهت بهم إلى الانتحار.

نعم الإنسان الذي يحصل على شيء جديد يحبه قد يشعر بسعادة مؤقتة، ولكن سرعان ما يفقد هذا الشعور، ولذا يحاول أن يجرّب لذائذ أخرى ويعتقد أنه بمجرد الحصول عليها سيستقر لديه الشعور بالسعادة، ولكن سرعان ما يشعر بخيبة أمل وهكذا.

الناس تسعى لتحقيق السعادة بحواسها، ولكن مهما نظرت، وسمعت، وتذوقت، وشممت، ولمست أجمل ما تحب، فسعادتها

الحقيقية مرهونة بسعادة القلب، فإذا عرض على الإنسان الحزن والغم والكآبة فلن يشعر بأية سعادة، بينما لو استقر القلب واطمأن، وشعر بالسكينة، فسيشعر بالسعادة.

السؤال المطروح: كيف نحقق السكينة النفسية والاطمئنان ا لقلبي ؟

لا نريد أن نطيل عليكم بذكر الآراء البشرية ولكن سأطرح عليكم كلامًا معصومًا لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [٢٩٥]، وهو كلام اللّه تعالى(حيث طرح علينا نوعين من السلوك، الذي يتناغم مع المعرفة، ويتفاعل مع الذكر، فيولّد السكينة، ومن ثمّ السعادة، وهما كالآتي:

الأول: السلوك الفردي في علاقة الإنسان بربّه، ألا وهو الصلاة بين يدي اللّه عزّ وجل. قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾[٢٩٦]

الثاني: السلوك الاجتماعي الذي يتجلّى في الزواج، فالزواج في منطق القرآن الكريم يُنتج السكينة النفسيّة، والاطمئنان القلبي، فاللّه تعالى يقول: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ [٢٩٧] [٢٩٨]. فإن من أهداف الزواج هو الحصول على السكنى، والاستقرار النفسي، فالمرأة الصالحة التي تتزوج من رجل صالح تغمرهما الفرحة والسعادة؛ لأن السكنى قد تحققت، بينما غير المتزوجة لا تشعر بهذه السعادة؛ لفقدان السكينة النفسية، روي عن رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « مِسْكِينٌ مِسْكِينٌ ، رَجُلٌ لَيْسَتْ لَهُ امْرَأَةٌ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّه، وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا مِنَ الْمَالِ؟ قَالَ : «وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا مِنَ الْمَالِ»، وَقَالَ : « مِسْكِينَةٌ مِسْكِينَةٌ مِسْكِينَةٌ، امْرَأَةٌ لَيْسَ لَهَا زَوْجٌ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّه وَإِنْ كَانَتْ غَنِيَّةً مِنَ الْمَالِ؟ قَالَ : « وَإِنْ كَانَتْ غَنِيَّةً مِنَ الْمَالِ ». [٢٩٩]

قد يعترض بعضكم قائلًا: لكننا عندما نأتي للواقع نجد أن بعض المتزوجين غير سعداء، نعم في بداية الزواج تغمرهم السعادة،

ولكن بالتدريج يقل مستوى السعادة إلى أن تتحول الحياة إلى تعاسة وشقاء، إذًا أين السكينة التي يفترض أن ننالها من الزواج والتي ذكرها اللّه تعالى بقوله: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ (٣٠٠)

الجواب: لأننا لم نحقق شروط السكينة الزوجية، وهما المودة والرحمة التي أعقب اللّه تعالى ذكرها بعد ذكر السكينة قائلاً: ﴿ ... لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣٠١)

بعبارة أخرى أن السكينة النفسية، والاطمئنان القلبي الذي عبّرنا عنه بالسعادة، قائمة على أمرين مهمين وهما المودّة والرحمة، فكما أن الإنسان حياته مرهونة بتوفير الماء والطعام، فالسكينة والاطمئنان القلبي مرهون بالرحمة التي هي بمنزلة الماء، وبالمودّة التي هي بمنزلة الطعام.

المبحث الثاني: الجَعْلُ التكويني والتشريعي

قد يقول أحدكم: ولكن اللّه يصرّح بأنه جعل بين المتزوجين مودةً ورحمةً، لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾، ومن ثمَّ يفترض أن يشعر المتزوجان باستمرار السكينة والسعادة الزوجية، وهذا الأمر غير متحقق في بعض الأحيان!!

إن سبب طرح هذا التساؤل؛ لأن بعضهم لم يحدد نوع الجَعْل المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾، فالجعل على نوعين جَعْلٌ تكويني وجَعْلٌ تشريعي، فأيهما هو المقصود في هذه الآية الكريمة؟

لكي نجيب على هذا السؤال لا بد من تعريف لكلا الجَعْلين، حتى يتبين لكم المطلب.

الجَعْل التكويني: هو ما لا تتدخل فيه إرادة الإنسان أبدًا، بل يكون حتمي التحقق والوقوع، وإليكم النماذج الآتية:

١. قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ (٣٠٢)

٢. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ﴾(٣٠٣)

٣. قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ (٣٠٤)

فكل الأشياء المذكورة في الآيات جعل اللّه تعالى فيها خصائص ومزايا حتمية، خارجة عن إرادة الإنسان، فالإنسان عندما كان طفلاً صغيراً، ثم كبر فصار قوياً فهذا التغيير لم يتحقق لكون الإنسان أعطى أوامر للخلايا، والأعضاء بأن تكبر وتزداد قوة.... ولما كَبُر وأخذ يشعر بالضعف فهو لم يعط أوامر لجسده بذلك، أي أن التغيير-بجعل الجسد قوياً أو ضعيفاً- لم يحصل بإرادة الإنسان واختياره، بل بإرادة اللّه واختياره، وهذا يسمى بالجعل التكويني، وهكذا الحال عندما جعل اللّه الشمس ضياءً والقمر نوراً، ومدّ الأرض وجعل فيها الرواسي والأنهار، فهذه عندما خُلِقت لم تتدخل فيها إرادة الإنسان، واختياره، بل حصلت تكوينًا.

وأما الجعل التشريعي: فهو ما تتدخل إرادة الإنسان، واختياره في تحققه على أرض الواقع، وإليكم النماذج الآتية:

١. قال تعالى: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾(٣٠٥)، حيث أمر اللّه تشريعاً المسلمين عندما يؤدوا مناسك الحج أن يُقدّموا الأضاحي، ومنها الْبُدْنَ وهي الناقة و البقرة، بمعنى أن اللّه لم يجعل الْبُدْنَ تكويناً مذبوحة، أو منحورة بدون تدخل إرادة الإنسان، بل أمر الإنسان أن يقوم بإرادته واختياره بتنفيذ ما أراد أن يجعله اللّه لنا.

٢. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾(٣٠٦) أي أن الباري -عزوجل- شرّع على المسلمين أن يعودوا إلى البيت الحرام في صلاتهم بوصفه قبلة، وفي حجهم شرّع عليهم أن يجعلوا هذا المكان

آمنًا، ولو كان الجعل تكوينياً لما استبيح في وقائع معينة.

٣. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾[٣٠٧]، فالجعل في هذه الآية هو الجعل التشريعي الاختياري، لا التكويني القهري؛ لأن اللّه شرّع على اليهود أن يتفرغوا للعبادة ويتركوا الصيد في يوم السبت باختيارهم لا أن يجبرهم اللّه على الترك؛ لأن الجبر والقهر يتعارض مع التكليف الذي يستلزم الحرية والاختيار، ولو كان كذلك لما تمكّن اليهود من الاصطياد، ومعصية اللّه في يوم السبت.

نعود للآية الكريمة: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾، ونسأل:

هل أن جَعْل المودة والرحمة في قوله تعالى: ﴿ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾، تكويني أم تشريعي؟

يقول الشيخ أكرم بركات: (إن كان الجعل جعلًا تكوينياً قهرياً من اللّه بحيث لا يمكن أن يتخلّف عن إرادته تعالى، فهذا الأمر يتنافى مع الواقع؛ لأنّ معناه أنّ كل زوجين بينهما مودة فعلاً بالقهر والتكوين والجبر، مع أن حال العديد من الأزواج ليس كذلك، إذ في بعض الحالات الزوجية لا نلحظ ذلك الحب فضلاً عن المودة، سواء أكان الحب مفقوداً في بداية الزواج كمن تجبرها الظروف للتزوج من رجل لا تحبه، أو صار مفقوداً بعد الزواج بمدّة.

وإن كان الجعل تشريعيًا، كجعل الصلاة والجهاد، بحيث يكون اختياريًا للإنسان يمكن له فعله، ويمكن عصيانه، فكيف يتلاءم هذا المعنى مع كون الحب غير اختياري؟

والجواب أنه يمكن أن يكون الجعل في الآية جعلًا اختيارياً، بأن يكون المراد بأن اللّه تعالى يريد من الزوجين تشريعاً أن يحققا المودّة بينهما، وهذا لا يتنافى مع كون الحبّ غير اختياري؛ لأن الحب كما ذكرنا سابقاً هو ميل القلب إلى أمر يرى الإنسان فيه نوعًا من الكمال، وعليه فيمكن في كلٍ من الزوجين حينما يظهر

منه ما يراه الآخر كمالًا، أن ينجذب إليه فيحبّه، ومن ثَمَّ يمكن أن يودّه.

وبعبارة أخرى يمكن للإنسان أن يحقق ما يصنع الحب والمودة ليجذب الآخر إليه)[٣٠٨]

بعبارة أخرى أنّ اللّه تعالى أراد من الزوجين أن يحقّقا المودّة والرحمة ليحصلا على السكينة والطمأنينة، كما أن الهاتف النقّال لا بد من شحنه لنحصل على المهام المطلوبة منه، من التواصل مع الآخرين واستخدام تطبيقاته، ولكن عندما نستمر في استخدام الهاتف بدون شحن، فسينخفض معدل الشحن بالتدريج إلى أن يصل لمرحلة لا يتمكن الشخص من فتح بعض التطبيقات إلى أن ينطفأ الجهاز، وهكذا الحال مع الحياة الزوجية التي تكون بدايتها -في الأعم الأغلب- مشحونة بالمودة والرحمة بمعدل خمسة من خمسة -على فرض أن الشحن الكامل عبارة عن خمسة مستويات- لذا يشعرون بالسعادة والسكينة النفسية، ولكن بعد مرور الزمن إذا لم يتم شحنها مرة أخرى بالمودة والرحمة، فسيقل معدل الشحن لأربعة من خمسة ومن ثَمَّ سيؤثر سلباً على نتائج السكينة، كأن يسود الصمت في الحياة الزوجية، وبعد مُدّة سيقل الشحن أكثر ليصل إلى ثلاثة من أربعة نقاط، فيظهر على صورة ملل، وبُعد ما بين الزوجين، ومن ثم إلى هجر وتعدي، إلى أن ينتهي الشحن لانعدام المودة والرحمة فينتهي الزواج بالطلاق العاطفي أو الواقعي.

رُبّ تساؤل يرد: كيف يشحن الزوجان أنفسهما بالمودة والرحمة ؟

الجواب: أن اللّه أبى أن يُجري الأمور إلا بأسبابها، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا *فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[٣٠٩]، فكما أن شرب الماء جعله اللّه سببًا لرفع العطش، وتناول الطعام جعله اللّه سببًا لرفع الجوع، كذلك جعل اللّه أسبابًا عديدة للحصول على المودة والرحمة، وسنطرحهما في المبحثين الآتيين:

المبحث الثالث: المودة في الحياة الزوجية

المودّة هي الحبّ، لكن ليس أي حبّ، بل الحبّ الذي يتجلّى من خلال السلوك، وبتعبير العلّامة الطباطبائي: «الحبّ الظاهر أثره في مقام العمل» [٣١٠]

فالزوج عندما يتحمل نفقة زوجته، وعندما يصلها ولا يهجرها في الفراش، وعندما يعاشرها بالمعروف، ويتعامل معها بالحسنى، فهذه علامة على مودته، والزوجة التي تعرض نفسها على زوجها في الفراش، وتخدم زوجها وتحترمه فهذه علامة على مودتها لزوجها، وإلا فإن من تدّعي المحبة ولكن سلوكها لا يدل على ذلك فهي إما محبة كاذبة، أو ناقصة، والنتيجة أن المحبة التي لا يوجد سلوك يدّل عليها لن تحقق المودة.

رُبّ تساؤل آخر يرد: كيف يمكن للزوجين من زرع المودة فيما بينهما ؟

والجواب: أننا قلنا أن المودّة هي الحبّ الذي يتجلّى من خلال السلوك، ومعلوم أن الحُبّ ليس اختياريّاً يفعله الإنسان حينما يشاء، بل هو قهريّ يأتي لقلب الإنسان دون اختيار، وسببه هو كمال يراه المحبّ فينجذب به إلى المحبوب.

وسرُّ ذلك الانجذاب هو ما فطر اللّه عليه الإنسان من حبّ الكمال والانجذاب إليه، فالإنسان مفطور على حبّ الجمال، فينجذب إلى الجميل، لأنّ الجمال كمال، ومفطور على حبّ العلم، لأنّه كمال، فينجذب إلى العالم، ومفطور على حبّ الصدق، لأنّه كمال، فينجذب إلى الصادق، ومفطور على حبّ الشجاعة، لأنّها كمال، فينجذب إلى الشجاع، وهكذا.

لذا نلاحظ أنّ الشاعر المسيحي بولس سلامة حينما أراد أن يعبّر عن حبّه لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإنّه تحدّث عن كمالات الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال:

أنا من يعشق البطولة والإلهام والعدل والخلق الرضيّا
فإن لم يكن علي نبيّا فلقد كان خلقه نبويّا[٣١١]

لذا إذا أردنا أن نزرع المحبة في قلوبنا تجاه شخص ما فعلينا أن نركز على الكمالات الموجودة فيه، ولذا من طرائق تربية الأولاد الإيمانية على حب اللّه تعالى هو الاطلاع على صفات اللّه تعالى وهي كلها صفات كمالية، والاطلاع على نِعَم اللّه تعالى التي لا تعد ولا تحصى، وأن يتدبر في خلق اللّه البديع ونظامه المتقن وكيف أنه أحسن خلقها، حتى يقرّ معترفا قائلًا ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ فهذه الكمالات لو عرفها الإنسان سينجذب قلبه إليها، وسيبدأ بمحبة اللّه تعالى، وهكذا الحال فيما لو أردنا أن نزرع في قلوب أولادنا محبة ﷺ وآله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فوجب أن نذكر معالي أخلاقهم وصفاتهم ومقاماتهم السامية، فهي كلها كمالات لأنهم معصومون، ومن ثمَّ هذه الكمالات ستنجذب إليها قلوب المطّلعين عليها وسيحبونهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وإذا تحققت المحبة الصادقة سينتج عنها الاتباع والوفاق لأن المحب لمن أحب مطيع.

وهذا الأمر ينطبق مع البشر، ومع الزوجين، فلو أرادا أن يزرعا المحبة فيما بينهما وجب على كل منهما أن يظهر كمالاته للآخر، فإظهار الكمال هو إظهار لما يُسبِّب الحبّ ويصنعه، وهذا يتحقق باستخدام مفاتيح لها الدور في نشر بذور المحبة والمودة، نذكر منها ما يلي:

١-مفتاح البشاشة: فعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «البشاشة فخّ المودّة »[٣١٢]

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: « البشاشة حبالة المودّة »[٣١٣]

فابتسامة الزوج لزوجته، وابتسامتها له، هما مفتاح المودّة، ومن ثمَّ السعادة.

٢-مفتاح حسن الخلق: روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: « حسن الخلق يورث المحبّة، ويؤكّد المودّة »[٣١٤]

عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: « حُسنُ الصُّحبَةِ يَزيدُ في مَحَبَّةِ القُلوب »[٣١٥]

٣-مفتاح الكرم والسخاء: روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : « السخاء يكسب المحبّة » [٣١٦]

٤-مفتاح الهديّة: روي عن الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « تهادوا تحابّوا »[٣١٧] فالهديّة نوع من التعبير عن الاهتمام بالآخر، والاهتمام هو من أهمّ ما تطلبه الزوجة من زوجها.

٥- مفتاح التعبير العاطفي: روي عن الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « قول الرجل للمرأة: إنّي أحبّك، لا يذهب من قلبها أبدًا »[٣١٨]. [٣١٩]

٦-مفتاح حُسنُ الظَّنِّ: روي عن الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: »مَن حَسُنَ ظَنُّهُ بالنّاسِ حازَ مِنهُمُ المَحَبَّةَ« [٣٢٠]

٧-مفتاح الصدق: روي عن الإمام عليّ :عَلَيْهِ السَّلَامُ « يَكتَسِبُ الصّادقُ بِصدقِهِ ثلاثاً: حُسنَ الثِّقةِ بِهِ، وَالمَحَبَّةَ لَهُ، وَالمَهابَةَ عَنهُ »[٣٢١]

٨-مفتاح تناسي المَساوئ: روي عن الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: « تَناسَ مَساوِئَ الإخوانِ تَستَدِم وُدَّهُم » [٣٢٢]

٩-مفتاح ليِنُ الكَلامِ: روي عن الإمام عليّ :عَلَيْهِ السَّلَامُ « مَن لانَت كَلِمَتُهُ وَجَبَت مَحَبَّتُهُ » [٣٢٣]

عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: « عَوِّد لِسانَكَ لينَ الكَلامِ، وبَذلَ السَّلامِ يَكثُر مُحِبّوكَ ، ويَقِلُّ مُبغِضوكَ » [٣٢٤]

١٠-مفتاح النَّصيحَة: روي عن الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: « النَّصيحَةُ تُثمِرُ الوُدَّ » [٣٢٥]

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ : « النُّصحُ يُثمِرُ المَحَبَّةَ »[٣٢٦]

المبحث الرابع: الرحمة في الحياة الزوجية

ذكرنا أن على الزوجين أن يظهر كل منهما كمالاته للآخر؛ لكي تنغرس بذور المحبة في قلبيهما، ولكن لكل منّا نقص -عدا المعصومين عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ - وهذا النقص عندما يُنظر إليه وبالأخص عندما يتم التركيز عليه فسوف ينفر الطرف الآخر منه ولا يودّه، ولذا الحل أن لا نقابل النقص بالرجوع خطوة إلى الوراء، بل أن نقابله بالرحمة كالتغافل، وبنفس الوقت نركّز على الكمالات لا على النقص.

أتذكر إحدى الحالات التي وردتني كمستشارة، أن إحدى المتزوجات قبل زواجها كانت تحب ابن عمها ولكنها تزوجت من رجل آخر بدون رغبتها، وأنجبت منه الأولاد وكان رجلًا صالحاً، ولكنها ما زالت تفكر بابن عمها لأنها تحبه، بينما لا تحب زوجها وأخذت تتنفر منه، وطلبت مني النصيحة، فأرشدتها لجملة أمور منها: صحيح أن الحبَّ ليس اختياريًّا، بل قهريّا يأتي لقلب الإنسان دون اختيار، ولكن هذا الحب لم يتحقق من العدم بل من أسباب، منها لأنها رأت في ابن عمها كمالًا ما، -والإنسان مفطور على حب الكمال- كأن رأت ذلك الكمال في شكله أو بأحد صفاته كاتصافه بالتفوق الدراسي، أو حب التعاون والكرم ، أو اعتقدت بأنه يحبها وغيرها من الأمور التي تعدها كمالية -من وجهة نظرها- ولذا أحبته.

فالحل يكون بالتوقف عن حب ابن عمها، وتبدأ بحب زوجها، فأما التوقف عن حب ابن عمها فيتم بقطع التواصل معه نهائيا وبالتركيز على نواقصه دون كمالاته، كأن تقول: (لو كان يحبني حباً حقيقياً لما تأخر عن الزواج مني قبل أن أتزوج)، أو (أعتقد أنه غير مناسب؛ لأنه فاشل في دراسته وعمله)، (لو كان متقياً لما تجرأ على إظهار حبه لي)...إلخ.

فهذا النقد المستمر سيقلل من محبته إلى أن يزول من قلبها، وبالعكس لو ركّزت على كمالات وإيجابيات زوجها دون نواقصه

وسلبياته، فسوف تشعر بأن قلبها بدأ يميل وينجذب إليه بالتدريج كأن تقول لنفسها: (أنه رجل حقيقي؛ لأنه طرق بابي وتزوجني بدون تأخير، وتحمل مسؤوليتي ومسؤولية أولادي، ولم يهجرني، وعاشرني بالمعروف، وهذه صفات صارت نادرة بهذا الزمن...إلخ)

حادثة طريفة: تخاصم زوجان لدى أحد المستشارين التربويين، ووصل أمرهما إلى طلب الطلاق، فطلب من كلٍّ منهما أن يرسم جدولين يذكر في أحدهما إيجابيات وكمالات الآخر، وفي الثاني سلبياته ونواقصه، وأعطاهما فرصة، جاءا إليه بعد ذلك، وقد حضّرا نفسيهما جيّدًا، فالجداول كانت حاضرة مطبوعة.

جلسا، وبدأ الزوج بتلاوة ما كتب من كمالات زوجته: الأول، الثاني، الثالث، الرابع، الخامس، السادس، السابع، الثامن، حينما كان يذكر كمالاتها كانت البشاشة تظهر من وجهها.

أمّا النواقص فذكر منها اثنين، وتوقّف لعدم إيجاد غيرهما.

بعده ذكرت الزوجة كمالات زوجها، وعدّدتها، فإذا بها كثيرة أيضًا، أمام قلة من السلبيات والنواقص، وكذلك ظهرت البشاشة على وجه الزوج عند سماعه للإيجابيّات التي ذكرتها.

إنّ تركيز كلٍّ منهما على إيجابيات الآخر كان له دور كبير في حلّ تلك المشكلة.

باختصار: أن (الكمال يقابل بالمودّة، أمّا النقص فأراد اللّه تعالى أن لا نقابله بالرجوع خطوة إلى الوراء، بل أن نقابله بالرحمة.

والرحمة هي من أفعال القلب أيضًا، فهي عبارة عن رقّة القلب، بسبب نقص يراه الراحم في المرحوم، فأنا حينما أرى طفلًا تنقصه القوّة، فإنّي أرحمه، وحينما أرى مريضًا تنقصه الصحّة، فإني أرحمه، وحينما أرى أعمى ينقصه البصر، فإنّي أرحمه.

وهكذا أراد اللّه تعالى لنا أن نتعامل مع نقص الزوج أو الزوجة برحمة([٣٢٧]

السؤال المطروح: كيف نفعّل الرحمة في الحياة الزوجية كي نحقق بها وبالمودة السعادة الزوجية؟

الجواب لما نستنطق القرآن الكريم نجده يقول: ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾[٣٢٨] يعقّب السيد الطباطبائي رده على هذه الآية الكريمة: بأن فيها إشارة إلى أن الرحمة التي يؤتاها الناس مخزونة في خزائن محيطة بالناس، لا يتوقف نيلهم منها إلا إلى فتحها من غير مؤنة زائدة. (٣٢٩)

ومن المعلوم أن الخزائن تحتاج لفتحها إلى مفاتيح، قال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ ﴾[٣٣٠]، فيا ترى ما هي مفاتيح خزائن الرحمة؟

الجواب: المفاتيح عديدة، أخترنا لكم أهم خمسة مفاتيح وهي كالآتي:

المفتاح الأول: مفتاح الطاعة

لقد جعل اللّه تعالى (الطاعة) أحد أسباب استنزال الرحمة، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٣٣١]، بمعنى أن الرحمة ننالها بطاعتنا للّه تعالى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وبالأخص ما يتعلق بالحقوق الزوجية، قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[٣٣٢] ، أي مثلما وجب على الزوجة أداء حقوق زوجها من (التمكين، وأن لا تخرج إلا بإذنه، وأن تحفظه في ماله، وعرضه)، وجب على الزوج أيضًا أداء حقوق زوجته من(النفقة عليها، ووصالها، وعدم إهانتها، وعدم الإضرار بها)

فمراعاة الحقوق الزوجية هي أساس الحياة الزوجية، التي بمراعاتها يتحقق العدل الإلهي وينتفي الظلم عن كلا الزوجين،

وهـــذا يعـــدَّ المصـــدر الأكبـــر للرحمة.

فـــإذا ملـــك كل زوج مفتـــاح الطاعـــة فهو كمن شـــحن الســـعادة الزوجيـــة نقطة مـــن مجمـــوع خمســـة نقاط.

المفتاح الثاني: مفتاح التقوى

التقوى هـــي الملكـــة المانعة من ارتـــكاب المعاصي، وقـــد جعل اللّه تعالى (التقوى) أحد أســـباب اســـتنزال الرحمـــة، قال تعالـــى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾[٣٣٣]

وعندما نســـتقرئ النصـــوص الروائيـــة لأهل البيـــت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نجدها تؤكـــد على حســـن اختيـــار الزوج المتقـــي، علمًـــا أن كلمـــة(زوج) بغير تاء التأنيـــث تطلق علـــى الذكـــر والأنثى.

وســـبب اختيـــار المتقـــي؛ لأن مـــن صفاتـــه أنـــه رحيم مـــع زوجته فـــلا يظلمهـــا، جاء فـــي الحديـــث «أن رجلًا جـــاء إلى الحســـن عَلَيْهِ السَّلَامُ يستشـــيره في تزويج ابنتـــه فقـــال عَلَيْهِ السَّلَامُ: زوّجها من رجل تقـــي، فإنه إن أحبهـــا أكرمهـــا وإن أبغضها لم يظلمهـــا »[٣٣٤]

فالـــزوج المتقـــي هو الـــذي لا يتعـــدى علـــى الحقـــوق الزوجية، ولا يـــؤذي زوجـــه، ولا يهينه، روي عـــن رســـول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « من كان لـــه زوجة تؤذيـــه لم يقبـــل اللّه صلاتهـــا ولا حســـنة مـــن عملها حتى تعينـــه وترضيه وإن صامـــت الدهر، وعلى الرجـــل مثل ذلك الـــوزر إن كان لهـــا مؤذياً ظالمـــاً »[٣٣٥]

وهـــو الـــذي لا يخـــون زوجـــه، ولا يظلمـــه، ولا يضـــره، حتـــى وإن قررا الانفصـــال، روي عن رســـول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قـــال: « ألا وإن اللّه عز وجـــل ورســـوله بريئان ممـــن أضر بامـــرأة حتـــى تختلع منـــه »[٣٣٦]

فإذا ملـــك كل زوج مفتـــاح التقـــوى بالإضافة إلى الطاعـــة فهو كمن شـــحن الســـعادة الزوجية بنقطتين من مجموع خمســـة نقاط.

المفتاح الثالث: مفتاح الإحسان

لقد جعل اللّه تعالى (الإحسان) أحد أسباب استنزال الرحمة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٣٣٧] ونقصد بالإحسان في الحياة الزوجية هو مراعاة آداب الحياة الزوجية، وهي أمور غير إلزامية ولكنها ضرورية لتحصيل السعادة الزوجية، حيث ينبغي على الزوجة مراعاة الآداب الزوجية مع زوجها، وهي باختصار كالآتي:

أولاً: خدمة زوجها.

ثانياً: إظهار المودة له في أقوالها، وأفعالها.

ثالثاً: معاونته في الدين، والعبادة.

رابعاً: التجمّل له.

وأما الآداب التي ينبغي على الزوج مراعاتها مع زوجته فهي باختصار كالتالي:

أولاً: الجلوس معها.

ثانياً: خدمة البيت معها.

ثالثاً: أن يوسع عليها في النفقة.

رابعاً: استمالة قلبها.

فإذا ملك كل زوج مفتاح الإحسان بالإضافة إلى مفتاحي الطاعة والتقوى فهو كمن شحن السعادة الزوجية بثلاث نقاط من مجموع خمسة فيرتفع معدل السعادة أكثر من السابق.

المفتاح الرابع: مفتاح العفو

لقد جعل اللّه تعالى (العفو) أحد أسباب استنزال الرحمة، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم ﴾[٣٣٨]، وروي عن أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: (العفو تاج المكارم)[٣٣٩]

ولهذا فقد روي أنّ امرأة جاءت إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فسألته عن حقّ الزوجة على الزوج، فقال: «... وإذا أذنبت غفر لها «[٣٤٠]

وقال الإمام الصادق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «كانت امرأة عند أبي عَلَيْهِ السَّلَامُ تؤذيه فيغفر لها» [٣٤١]

فإذا ملك كل زوج مفتاح العفو بالإضافة إلى مفاتيح الطاعة والتقوى والإحسان، فهو كمن شحن السعادة الزوجية بأربعة نقاط من مجموع خمسة، فينعم بسعادة أكبر.

المفتاح الخامس: مفتاح الصبر

لقد جعل اللّه تعالى (الصبر) أحد أسباب استنزال الرحمة، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾[٣٤٢]

(فإن الحياة الزوجية لا تنسجم مع الدلال أبدًا، إنها تتطلب إنسانًا صبورًا، لكي يمكنه خوض التجربة بنجاح، أمام أولئك الذين يفتقدون الصبر، فإنهم لابد وأن يخفقوا في ذلك لدى أول مشكلة تواجههم، ينبغي عليهم أن يدعو الدلال جانبًا، لكي يمكنهم مواجهة المتاعب.

إن الذين أخفقوا في حياتهم الزوجية، والذين غرقوا في خضم النزاعات والخلافات مع أزواجهم كان ينقصهم شيئًا واحدًا وهو الصبر والتحمل.

وفي أدبياتنا -كمسلمين- نجد اهتمامًا كبيراً بالصبر، فالقرآن الكريم يحث على الصبر في نواحي الحياة، ونبينا العظيم يأمرنا بالصبر، وكذلك نجد هذه المسألة تأخذ جانباً واسعاً في أحاديث الإمام علي وخطبه)[٣٤٣]

روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « مَنِ صَبَرَ عَلى سُوءِ خُلُقِ امرَأتِه واحتَسَبَهُ، أعطاهُ اللّه تعالى بكُلِّ مرة يَصبِرُ عليها مِنَ الثَّوابِ، ما أعطى أيُّوبَ (عليه السلام) عَلى بَلائِه، وكانَ عليها مِنَ الوِزْرِ في كُلِّ يَومٍ ولَيلةٍ؛ مِثلُ رَمْلِ عالِجٍ »[٣٤٤]

وروي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « مَن صَبَرَت عَلى سوءِ خُلُقِ زَوجِها، أعطاها مِثلَ ثَوابِ آسِيَةَ بِنتِ مُزاحِمٍ »[٣٤٥]

فإذا ملك كل زوج مفتاح الصبر بالإضافة إلى مفاتيح الطاعة، والتقوى، والإحسان، والعفو، فهو كمن شحن السعادة الزوجية بخمس نقاط من مجموع خمس. وبهذا يكون قد اكتمل الشحن وحصلنا على السكينة والطمأنينة أي على السعادة الزوجية.

بعبارة أخرى إذا أردنا أن نحصل على السكينة النفسية والاطمئنان القلبي، وعلى حياة زوجية سعيدة لزم علينا أن نملك كل مفاتيح المودة والرحمة التي ذكرناها سابقًا.

ولنا في أهل بيت النبوة أسوة حسنة، وعلى رأسهم نبي الرحمة مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٣٤٦]، حيث نجد أن لديه أكثر من زوجة، ولكن سعادته الزوجية لم تكتمل إلا عند السيدة خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ لأنهما ملكا كل مفاتيح المودة من تعبير عاطفي، وبشاشة، وحسن خلق، وكرم وتهادي.. إلخ.

وملكا مفاتيح خزائن رحمة اللّه لأنهما بلغا أعلى مراتب الطاعة، والتقوى، والإحسانِ، والعفو والصبر، ولقد صرّح بحبها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قائلا: « رُزقتُ حبَّها »[٣٤٧]

ولقد ذكرنا أن (الحبُّ هو انجذاب قلب الحبيب؛ بسبب كمالات في المحبوب، وهو انجذاب ينطلق من الفطرة التي أودعها اللّه في الإنسان تشدُّه نحو الكمال، لذا عبّر رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن حبّه للسيدة خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ بقوله « رُزقت حبَّها » فما هي تلك الكمالات التي جذبت رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى السيدة خديجة الكبرى ؟

من تلك الكمالات هو عظم إيمانها وتقواها، وبصيرتها في اكتشافها المبكر لكمالات رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، واهتمامها بما يهتمّ به رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، و تصديقها المبكر لرسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وبذل مالها في خدمة الرسالة، و حملها لمشكاة الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حتى أنه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « صدّقتني إذ كذّبني الناس، وواستني بمال إذ حرمني الناس، ورزقني اللّه منها الولد إذ لم يرزقني من غيرها » [٣٤٨]

وكان النبيّ الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يتحدث عن السيدة خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ بافتخار أمام المسلمين، فقد ورد أنّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال في المسجد: « يا معشر الناس، ألا أدلّكم على خير الناس جدًّا وجدّة؟، قالوا: بلى يا رسول اللّه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ «الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فإنّ جدّهما محمد، وجدتهما خديجةُ بنت خويلد » [٣٤٩]

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يهتم بمن كان له علاقة بالسيدة خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ فقد ورد أنَّ عجوزًا دخلت على رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : فألطفها، فلما خرجت سألته عائشة من هذه؟

فأجاب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « إنها كانت تأتينا زمن خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ، وإنّ حسن العهد من الإيمان » [٣٥٠]

ومن شدّة حبّ رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للسيدة خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ سمّى العام الذي توفيت فيه، وتوفي فيه أيضاً عمُّه أبو طالب بعام الحزن.[٣٥١]

أذن إذا أردنا أن تكون حياتنا الزوجية سعيدة فوجب الاقتداء بمحمد

وآله وان نُحسن اختيار الزوج الصالح كما اختارت السيدة خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ خير خلق الله واختار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خيرة النساء في زمانه وتزوجا في اليوم العاشر من شهر ربيع الأول.

حيث تذكر كتب السيرة والتاريخ أنّ السيدة خديجة كانت من خيرة نساء قريش شرفاً، وأكثرهن مالاً، وأحسنهن جمالاً، وكانت تدعى في الجاهلية بـ(الطاهرة)، ويقال لها (سيدة قريش)، وكل قومها كان حريصا على الاقتران بها لو يقدر عليه.

وقد خطبها عظماء قريش، وبذلوا لها الأموال. وممن خطبها عقبة بن أبي معيط، والصلت بن أبي يهاب، وأبو جهل، وأبو سفيان فرفضتهم جميعا، واختارت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، لما عرفته فيه من كرم الأخلاق، وشرف النفس، والسجايا الكريمة العالية. ونكاد نقطع - بسبب تضافر النصوص - بأنها هي التي قد أبدت أولا رغبتها في الاقتران به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.[٣٥٢]

وتشرح السيدة خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ سبب هذا الاختيار بالقول: (يا بن عم إني رغبت فيك لقرابتك منّي وشرفك من قومك وأمانتك عندهم وصدق حديثك وحسن خلقك)، فأرسلت إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأبدت رغبتها بالارتباط به.

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله قال: خطب أبو طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ لما تزوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خديجة بنت خويلد عَلَيْهَا السَّلَامُ بعد أن خطبها إلى أبيها، ومن الناس من يقول: من عمها؟ فأخذ بعضادتي الباب ومن شاهده من قريش حضور، فقال: " الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم و ذرية إسماعيل، وجعل لنا بيتا محجوجا، وحرما آمنا، يجبى إليه ثمرات كل شئ وجعلنا الحكام على الناس في بلدنا الذي نحن فيه، ثم إن ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب لا يوزن برجل من قريش إلا رجح، ولا يقاس بأحد منهم إلا عظم عنه، وإن كان في المال قل فإن المال رزق حائل، وظل زائل، وله خطر عظيم وشأن رفيع ولسان شافع جسيم)

فزوّجه ودخل بها من الغد.

وقال رجل من قريش يقال له عبد اللّه بن غنم:

هنيئـــا مريئا يا خديجـــة قد جرت ... لك الطير فيما كان منـــك بأسعد
تزوجتـــه خيـــر البريـــة كلهـــا ... ومن ذا الذي في الناس مثل محمد
وبشر به البر ان عيسى بن مريم ... وموسى بن عمران فيا قرب موعد
أقـــرت بـــه الكتـــاب قدمـــا بأنه ... رسول من البطحاء هاد ومهتد[٣٥٣]

وفـــي اليـــوم العاشـــر مـــن ربيـــع الأول تـــزوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بخديجـــة أم المؤمنين لخمس وعشـــرين ســـنة مولده، فـــأول ما حملت ولدت عبـــد اللّه بـــن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ [٣٥٤].

١٤ ربيع الأول

هلاك يزيد بن معاوية لع

المناسبة

هلاك يزيد بن معاوية لعنه الله

القصيدة للأديب حسين الأعظمي

يزيدُ طغى في الأرض حتى تزلزلت ... بطغيانِه وانهدّ من ظلمه الصبرُ
وعاثت فسادا في البلاد وأهلِها ... فمادت وعمّ الناسَ في حكمه الجور
أيرضى إمامُ الحقِّ والدينِ أن يَرى ... عدوَّ الهدى والدينِ في يدِه الأم
يريدون منه أن يبايعَ فاجرا ... وفي بيعةِ الفجّارِ لو علموا فُجْر
أبى بيعةَ الباغي وخفَّ لحربه ... بآلٍ لهمْ في النصرِ آمالُه الغرّ
أتى الكوفةَ الحمراءَ ليثا محرِّرا ... وفي الكوفةِ الحمراءِ يُنتظرُ النصر
هنالك أنصارٌ دعَوه فجاءهمْ ... بقلب شُجاعٍ لا يُداخلُه ذُعر
وقد منعوه الماءَ وهو أسيرُهم ... فطافت به الدنيا وضاق به الأسر
يرى النهرَ والأطفالُ يبكون حولَه ... عُطاشى وما غيرُ السرابِ لهم نهر
وجفت ثدايا المرضعاتِ من الظما ... وأصبحن في عُسرٍ يضيق به العُسر
أبٌ في يديه طفلُه يذبحونه ... فهل لهم فيه وفي طفلِه وِتر

المحاضرة الثامنة

التَّوعية من الشذوذ الجنسي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ (٣٥٥)

في الآونة الأخيرة انتشرت ظاهرة خطرة تهدد المنظومة الأخلاقية والقِيَمِيَّة، وتحاول هدمها بما ينافي الأعراف والقيم الدينية والمجتمعية والإنسانية، ومبادئ العقل والمنطق والفطرة السليمة، ألا وهي ظاهرة الترويج والدعاية للعلاقات الجنسية الشاذة الَّتي تسمى بالمثلية الجنسية، واستخدام مختلف المنصات للترويج لذلك وتسويقه، بما في ذلك صناعة الأفلام السينمائية والكارتونية الموجهة للشباب والأطفال الَّتي تدخل كلَّ منزل تدعو لهذه الفاحشة، وتبرِّر لها أنها من الحرية الفردية، وأنها ليست عيبًا يخجل منه أو حرامًا، وكذلك استغلال المباريات الرياضية للترويج لهذه الفاحشة، ورفع العلم الملون الذي يرمز لأصحاب هذه الفاحشة، والمستوحى من ألوان الطيف الشمسي المعروفة لكل الناس.

بل وصل الأمر إلى تبني ذلك من قِبَل رؤساء دول عظمى وكبرى، ومنهم من جعل في برنامجه الانتخابي الدعوة إلى الحرية الجنسية للمثليين، وأنها من حقوق الإنسان، حتى صار لهم جماعات ضغط قوية جدًّا في العديد من البلدان الغربية، ووصلوا إلى مناصب وأماكن حساسة جدًّا، وصارت لهم كلمة مسموعة في السياسات الدولية والاقتصادية. (٣٥٦)

مباحث الآية الكريمة

المبحث الأول: أهمية التربية الجنسية

ترد المبلّغات والمستشارات العديد من الأسئلة والحالات عن الشذوذ الجنسي ومنها ما يتعلق بالسحاق والذي أخذ بالانتشار في السنوات الأخيرة وبالأخص في مدارس البنات في بعض الأماكن السرّية كبيوت الخلاء.

ونستنتج من خلال التحاور مع الفتيات أن بعضهن يعتقدن أن ممارسة المساحقة أمر جائز؛ لأنهن يسمعن من وسائل الإعلام المنحرف وصديقات السوء أن الحرام محصور في الزنا لا غيره، ولذا ينخدعن ويشاهدن بعض مقاطع الفيديو المحرمة ويقمن بتطبيقها . . .

ولما نسأل الفتاة « ألم تعلّمك أمك بأن السحاق حرام؟، ألم تحذرك منه؟»

تقول ما مضمونه: " أمّي لا تتطرق أبدًا لهذه المواضيع؛ لأنها تعتقد أنها تتنافى مع الحياء، ولذا أضطر أن أعرفها من خلال المتصفح الإلكتروني أو من صديقاتي"

هذه هي مصيبة أغلب المربين، وعندما نطلب منهم أن يربوا أولادهم -ذكورًا وإناثًا- تربية جنسية، فبمجرد أن يسمعوا ذلك يصيبهم الفزع ويترددوا في إرشاد الأبناء وتوجيه سلوكهم المتعلق بالناحية الجنسية؛ لأنهم يتوقعون أن التربية الجنسية تعني أن نعلمهم ونشجعهم على ممارسة الفاحشة -والعياذ بالله-، ولكن التربية الجنسية في المنظور الإسلامي تختلف عن التربية الجنسية في المنظور غير الإسلامي، فمثلا في دول الغرب يجعلون في منهجهم الدراسي للأطفال منذ مرحلة الطفولة المبكرة دروساً عن التربية الجنسية الهدف منها تشجيعهم على ممارسة الفاحشة، بينما (نظرة الإسلام إلى الجنس قائمة على

إدراك فطـــرة اللّه فـــي الإنســـان، ورامـيـــة في نفـــس الوقت إلـــى تلبية أشـــواقه وميولـــه، بحيث لا يتجـــاوز حدود فطرته، ولا يســـلك ســـلوكاً منحرفـــاً يصطـــدم مـــع غريزتـــه)[٧٥٣]، بعـــد أن نجعلهـــم يميـــزون بين العلاقـــات الجنســـية المشـــروعة المتمثلة بالـــزواج وبيـــن المنحرفة غير المشـــروعة والتي تســـمى بالشـــذوذ الجنســـي، مع بيان أحكامها وآثارهـــا الوخيمة المترتبـــة عليها.

وتتضمـــن التربيـــة أيضاً تعليمهـــم الإجـــراءات الَّتـــي تحميهم من التعـــرّض لأي شـــكل من أشـــكال الإســـاءة الجنســـية، وتدريبهم على حســـن التصـــرّف مع المواقـــف الجنســـية المختلفة في ضـــوء القيم الدينيّـــة والأخلاقية.[٣٥٨]

إنَّ تـــرك التربيـــة الجنســـية - بحجة أنـــه يتعارض مـــع الحياء الذي حثتنـــا عليه الشـــريعة الإســـلامية- أمرٌ غيـــر صحيح؛ لأنه مـــن الحياء والخجـــل المذمـــوم، باعتبـــار الحيـــاء علـــى نوعيـــن، قال رســـول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « الحيـــاء حيـــاءان: حيـــاء عقـــل وحياء حمـــق، فحياء العقـــل العلم، وحيـــاء الحمق الجهـــل » [٣٥٩]

فلـــذا علـــى الأم أن تحمـــي ابنتها من المســـاحقة عـــن طريق بيان حكمهـــا ومخاطرهـــا، والأب يتكلـــم مع ولـــده الذكر عن حرمـــة اللواط ومخاطره، ويـــردّوا على الشـــبهات المختصـــة بها؛ كـــي يتمكن الأولاد من حماية أنفســـهم وضبط شـــهوتهم..

فالمربي إذا ســـكت عـــن تقديم المعلومة الآمنة لأولاده، فســـوف يضطـــر الولد لأخـــذ المعلومة مـــن غيره عـــن طريق وســـائل التواصل الفاســـدة أو أصدقـــاء الســـوء، أو البيئـــة المنحرفة، ومن ثمَّ ســـيدفعه فضوله للتجربة، وبالتكرار ســـيعتاد على الشـــذوذ الجنســـي، وبعضهم صـــار مدمناً حتى بعـــد الـــزواج؛ لذا مـــن واجبـــات المربي تجـــاه أولاده هـــي تربيتـــه أولاده تربية جنســـية، حيـــث يترتـــب عليها فوائـــد عديدة، نذكـــر منها مـــا يلي:

١- إن اطلاع الطفل والمراهق على السلوك الشاذ تقيه وتحميه من استغلال الآخرين له، ومن إقدامه على فعل المحرّم.

٢-أن توعية الأولاد وتدريبهم على حماية أنفسهم من الشذوذ الجنسي يجنبهم سخط الخالق ويجنبهم العواقب الدنيوية والأخروية المترتبة على من يمارس هذه الفاحشة، وينالون بذلك رضا الله وأئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لتجنبهم هذه الكبيرة.

٣-توعية الطفل والمراهق عن مخاطر وعواقب الشذوذ الجنسي تجعله صاحب مبدأ ويتعامل بحكمة وقوة وثقة، فلا ينجرف مع كل تيار منحرف مستحدث، بل يكون قوياً يتحدى أفكارهم وسلوكهم ويرفضه، بل قد يكون بصدد الوقوف ضد هذا الانحراف بتوعية غيره، وبالأخص في هذه المدّة.

٤-تجنب الشذوذ الجنسي يحمي الشخص من كثير من الأمراض الجسدية والنفسية.

ومن أجل حماية المربي والأولاد من الشذوذ الجنسي، فقد خصصنا أكثر من محاضرة بهذا الشأن، وسنقف في هذه المحاضرة على نوع واحد من أنواع الشذوذ الجنسي وهو (المساحقة)، وأما بقية الأنواع المنحرفة فسوف نتطرق إليها في الأجزاء الأخرى لكتاب (زاد المبلّغات) بإذنه تعالى.

المبحث الثاني: معنى المساحقة والدليل على حرمتها

السحاق أو المُساحقة: اتصال جنسي بين أنثيين، وهي من أنواع الممارسات الجنسية الشاذة، أما معناها اللُّغوي فهو دَلْكُ فَرْجُ امرأةٍ بفرج أخرى.

ويعدَّ السحاق من أعظم المعاصي والمحرمات[٣٦٠] وهو من أشد الكبائر، وهي من أنواع الانحراف والشذوذ الجنسي، فقد رُوِيَ

عَـــنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: « سِـــحَاقُ النِّسَـــاءِ بَيْنَهُـــنَّ زِنًى »[٣٦١]

بـــل عُبِّـــرَ عن الســـحاق في بعـــض الروايات بأنـــه الزنا الأكبـــر، وبأن الســـحاقيات ملعونات.

ولقـــد وردت نصـــوص شـــرعية تُثبت حرمـــة المســـاحقة، نذكر منها ما يلـــي[٣٦٢]:

الدليـل القرآنـي: ومنها الآية محـــل البحـــث، ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ.. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾[٣٦٣] حيـــث يقول الســـيد الطباطبائي ره في تفســـير قولـــه تعالـــى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾، بـــأن الفروج جمع فرج وهـــو - على ما قيـــل- ما يســـوء ذكره مـــن الرجال والنســـاء.

وحفـــظ الفـــروج كناية عـــن الاجتناب عـــن المواقعة ســـواءً كانت زنـــا أو لواطًا أو بإتيـــان البهائم وغيـــر ذلك.[٣٦٤]

وقولـــه تعالى في ســـورة المؤمنـــون: ﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾، فـــإنّ الآيـــة المباركـــة دلّت على أنّ العلاقة الجنســـية المشـــروعة تنحصـــر بأحـــد طريقيـــن: وهمـــا الـــزواج ومُلـــك اليمين، ومعلـــوم أن ملـــك اليمين مختص بالأرقـــاء والعبيد قبل مئات الســـنين، وغيـــر موجـــود فـــي زماننا هذا لعـــدم توفر شـــروطه.

إذن الـــزواج هـــو العلاقة الجنســـية المشـــروعة، وأمّا ما عـــدا ذلك - ومنـــه العلاقة الجنســـية الّتـــي تكون مـــع الجنس المماثـــل له- فهي عدوان، لقوله تعالـــى﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾.

قـــال المفســـرون: إنَّ قول اللّه تعالـــى: ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وراء ذَلِكَ ﴾ يشـــمل كل أنـــواع الممارســـات و الاســـتمتاعات الجنســـية الخارجـــة عن إطار العلاقـــات الزوجيـــة المشـــروعة الّتـــي أباحها اللّه عَـــزَّ و جَـــلَّ لعباده؛ لأنـــه يُعَـــدُّ عدوانًا و ظلمًـــا و تجـــاوزًا لحـــدود اللّه. وعليه فإنَّ الزنـــى[٣٦٥]، واللـــواط[٣٦٦]، والســـحاق، والاســـتمناء[٣٦٧] وغيرها من أنواع الممارســـات الجنســـية الممنوعة في الشـــريعة الإســـلامية تُعَدُّ كلها من الشـــذوذ

الجنسي(٤) وهو محرمة، وينبغي تحصين الفرج عنها، وفي ضوء هذا البيان فلا يصح الاعتراض بأنّ الآية واردة في شأن الرجال؛ وذلك لأنّ القاعدة المستفادة منها عامة.[٣٦٨]

الدليل الروائي: فقد ورد في الروايات الكثيرة المرويّة من طرائق المسلمين سنة وشيعة ما يؤكد على حرمة (السحاق) بشكل لا لبس فيه:

فمن طريق السنة روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: « السحاق بين النساء زنا بينهن » [٣٦٩]

وأما من طرائق الشيعة فالروايات عديدة، ويمكن تقسيمها كالآتي:

١- بعض الروايات دلّت على حرمة ذلك بشكل صريح، كما في الحديث المروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد سُئل عن اللواتي مع اللواتي ما حدّه؟ قال: «حد الزنا»[٣٧٠]

٢- بعضها دلّت على ذلك بطريق الأولوية، فقد حرّمت بعض الروايات أن تنام امرأتان في لحاف واحد مجردتين من الثياب، كما في معتبرة أبي عبيدة، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: « المرأتان إذا وُجدتا في لحاف واحد مجرَّدتين جُلدت كلّ واحدة منهما مائة جلدة » [٣٧١] .... فكيف هو الحال فيما لو تعدّت المسألة حالة النوم!

كما أنّ روايات أخرى قد حرمت نظر المرأة إلى عورة نظيرتها، ففي حديث المناهي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « ونهى أن تنظر المرأة إلى عورة المرأة » [٣٧٢]

فإذا كان نظر المرأة إلى عورة المرأة - ولا سيما إذا كان بشهوة وريبة- محرمًا فكيف تباح الممارسة المذكورة ؟!

٣- بعضها دلّت على أنّ هذا العمل حرمّه اللّه في القرآن، ففي

الروايـــة الصحيحة عن الإمـــام جعفر الصـــادق عَلَيْهِ السَّلَامُ:« أَنَّهُ دَخَـــلَ عَلَيْهِ نِسْـــوَةٌ، فَسَـــأَلَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ عَنِ السَّـــحْقِ؟

فَقَالَ: « حَدُّهَا حَدُّ الزَّانِي».

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: مَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ؟

فَقَالَ: « بَلَى».

قَالَتْ: وَ أَيْنَ هُوَ؟

قَالَ: « هُنَّ أَصْحَابُ الرَّسِّ » (٣٧٣)

وأصحـــاب الـــرس ورد ذكرهم في قولـــه تعالـــى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ (٣٧٤)، وفـــي تفســـير القمـــي: أَصْحَـــابُ الـــرَّسِّ هُمُ الَّذِيـــنَ هَلَكُـــوا؛ لِأَنَّهُمُ اسْـــتَغْنَوُا الرِّجَـــالُ بِالرِّجَالِ وَ النِّسَـــاءُ بِالنِّسَـــاءِ، وَالـــرَّسُّ نَهَـــرٌ بِنَاحِيَةِ آذَرْبَايْجَـــانَ. (٣٧٥)

المبحث الثالث: عقوبة المساحقة في الدنيا والآخرة

أولاً: العقوبة الدنيوية

فأمـــا عقوبتهـــا الدنيويـــة هـــو أنْ يُجلـــد كلٌّ من المتســـاحقتين - إذا لـــم تكونـــا محصنتيـــن- مائة جلـــدة، فقـــد روي « أنـــه دخل على أبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ نســـوةٌ فســـألتْه امـــرأةٌ منهنَّ عن الســـحق فقال: «حدُّهـــا حدّ الزانـــي » (٣٧٦)

وأمـــا إن كانتـــا متزوجتيـــن ومحصنتين كان علـــى كل واحدة منهما الرجـــم. ونقصـــد بالمحصنة: أي المـــرأة المتزوجة الّتي لهـــا زوج تمارس معه الجنـــس في الحـــال الحاضر.

فقـــد روي عَن النَّبـــيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: « السَّـــحْقُ فِي النِّسَـــاءِ بِمَنْزِلَـــةِ اللِّـــوَاطِ فِي الرِّجَـــالِ، فَمَنْ فَعَـــلَ مِنْ ذَلِـــكَ شَـــيْئًا فَاقْتُلُوهُمَا،

ثُـــمَّ اقْتُلُوهُمَا » [٣٧٧]

ويثبـــت الحكـــم في الســـحاق بقيـــام البيِّنـــة، وهي شـــهادة أربعة عـــدول، أو إقـــرار المـــرأة على نفســـها أربع مـــرات دفعة بعـــد أخرى من غيـــر إكراه، مـــع كمال عقلهـــا، و إذا تكررت المســـاحقة تقتـــل الفاعلة والمفعولة، (والمشـــهور هو ســـقوط حدِّ الســـحق عنهـــا بالتوبة قبل إقامـــة البينة الشـــرعية، فلا تُرجـــم المُحصنة ولا تُجلد غيـــر المحصنة في فـــرض التوبـــة قبل قيـــام البيِّنـــة، وقد ادُّعـــي على ذلـــك الإجماع، واســـتُدلَّ له بمرســـلة جميل بـــن درَّاج عـــن أحـــد الصادقين عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ في رجـــل ســـرق أو شـــرب الخمـــر أو زنـــى، فلم يعُلـــم ذلك منـــه ولم يُوخذ حتـــى تاب وصلـــح، فقـــال: « إذا صلح وعُـــرف منه أمـــرٌ جميل لم يُقم عليه الحـــد » [٣٧٨]. [٣٧٩]

ثانيًا: العقوبة الأخروية

وأما العقاب الأخروي للمساحقات، فنذكر ما منه ما يلي:

✿ **المساحقات ملعونات**: فقـــد روي عن يعقـــوب بن جعفر قال: « ســـأل رجلٌ أبـــا عبـــد اللّه عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أو أبـــا إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ عـــن المرأة تُســـاحق المرأة وكان متكئًـــا فجلـــس وقـــال: «ملعونـــةٌ ملعونـــة الراكبـــة والمركوبة وملعونـــةٌ حتى تخـــرج من أثوابها، فـــانَّ اللّه وملائكته وأولياءه يلعنونها وإنَّـــا ومَن بقي فـــي أصـــلاب الرجال وأرحـــام النِساء، فهـــو واللّه الزنا الأكبر... قال رســـول اللّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : لعنَ اللّه المتشـــبِّهات بالرجال من النســـاء ولعن اللّه المتشـــبِّهين مـــن الرجال بالنســـاء » [٣٨٠].

✿ **المساحقات يدخلن النار ويعذبن**: فقـــد روي عـــن جميـــل بـــن درَّاج أنَّ امرأةً ســـألتْ الإمـــام الصـــادق عَلَيْهِٱلسَّلَامُ فقالت: مـــا تقـــول فـــي اللواتي مع اللواتـــي؟ فقـــال عَلَيْهِٱلسَّلَامُ : « هـــنّ فـــي النـــار، وإذا كان يوم القيامـــة أتي بهـــنَّ فألبســـن جلبابًا من نـــار وخُفَّيْن مـــن نـــار وقناعًا من نـــار، وأدخل فـــي أجوافهـــن وفروجهن أعمـــدةٌ من نـــار وقُذف بهنَّ فـــي النـــار » [٣٨١]

روي عـــن بشـــير النبَّـــال قال: رأيـــتُ عند أبـــي عبـــد اللّه عَلَيْهِٱلسَّلَامُ رجلًا

فقـــال له: « مـــا تقولُ فـــي اللواتي مـــع اللواتـــي فقـــال: لا أُخبرك حتى تحلـــف لتُحدِّثـــن بمـــا أُحدثك النســـاء قـــال: فحلـــف له فقـــال: هما فـــي النار عليهمـــا ســـبعون حُلَّة من نـــار فوق تلـــك الحُلَل جلـــدٌ جاف غليـــظٌ من نـــار عليهمـــا نطاقـــان من نـــار وتاجان مـــن نار، فـــوق تلك الحُلـــل، وخُفان مـــن نار، وهمـــا في النـــار » [٣٨٢].

المبحث الرابع: الرد على تساؤلات الشذوذ الجنسي

نســـمع مـــن المســـلمين والمخالفين بعـــض الأســـئلة المختصة بحرمة ممارســـة الشـــذوذ الجنســـي، ونطـــرح منها هذين الســـؤالين، و هما :

السؤال الأول: ما هي فلسفة تحريم الشذوذ الجنسي؟

يجيـــب علماؤنا بأنـــه على الرغـــم أنّ الدليـــل على الحرمـــة تام ولا غبـــار عليـــه، غير أنّـــه لا ينبغـــي للمربـــي أن يكتفي فـــي مواجهة هذه الظاهـــرة بذكـــر دليل الحرمـــة لولده، وإنّمـــا عليه أن يبيّن فلســـفة هذا الحكم الشـــرعي الرافـــض لهذه العلاقـــة؛ ليجتنبها الإنســـان عن وعي وقناعة، ولا ســـيما أنّـــه قد كثرت فـــي زماننا الشـــبهات الّتـــي تثار في وجه هـــذا الحكم.

وغيـــر خـــاف أنّ أحـــكام الإســـلام التشـــريعية تابعـــة للمصالـــح والمفاســـد الكامنة فـــي متعلقـــات الأحـــكام، ولا تبني على أســـاس الأهـــواء والأغـــراض الخاصة، ويمكننا أن نشـــير إلى اعتبارين أساســـيين في هـــذا المجـــال في بيـــان فلســـفة الحكـــم بالحرمة:

أولًا: أنّ فـــي هـــذا الفعـــل الشـــاذ ببعديـــه المعروفيـــن الكثيـــر من المضار والمفاســـد الاجتماعية والنفســـية والأخلاقيـــة والروحية وربما الصحيـــة، منها أن الســـحاق ينتـــج عنه الفســـاد و انقطاع النســـل و خـــراب الدنيا بســـبب مغايرة هـــذه الممارســـة للحاجة الفطريـــة الّتي فطـــر النســـاء عليهـــا؛ ولأنه ســـلوك لطريق خاطـــئ يؤدي إلـــى الدمار

وتعطيل المهام والمسؤوليات الخطيرة الَّتي عليها تدور رحى الحياة الطيبة و الهادفة، فعَنْ مُحَمَّد بْن سنَان أَنَّ أَبَا الْحَسَن عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَ إِلَيْه فِيمَا كَتَبَ مِنْ جَوَاب مَسَائِله: « عِلَّةُ تَحْرِيم الذُّكْرَان للذُّكْرَان، وَ الْإِنَاث للْإِنَاث لِمَا رُكِّبَ فِي الْإِنَاث وَ مَا طُبِعَ عَلَيْه الذُّكْرَانُ، وَ لِمَا فِي إِتْيَان الذُّكْرَان الذُّكْرَانَ وَ الْإِنَاث الْإِنَاثَ مِنَ انْقِطَاع النَّسْل، وَ فَسَاد التَّدْبِير، وَ خَرَاب الدُّنْيَا » (٣٨٣)

وذكرنا بعض الآثار في نهاية المبحث الأول، وقد كُتب في هذا المجال العديد من الكتب ونشرت الكثير من الدراسات من قبل أهل التخصص ما كفانا مؤونة الإسهاب في الحديث عنه.

ثانيًا: لا يخفى أنّ ثمة قانونًا إلهيًا (أو سنة إلهية) يحكم جميع المخلوقات الحيّة المتناسلة، وهو قانون الزوجيّة، فتزاوج الذكور من الإناث هو الذي يضمن استمرار النسل البشري، وهو المبدأ الذي ينسجم مع الفطرة الإنسانية، الَّتي تقوم على أنّ الذكر يميل إلى الأنثى وبالعكس، ومن أهم مزايا الإسلام أنّ أحكامه التشريعية تنسجم وتتماشى مع السنن التكوينيّة، فهو ينسجم مع الفطرة ولا يلغيها، وإلا إذا استبدلوا الناس الزواج بالشذوذ فسوف ينقرض النوع الإنساني» (٣٨٤)

السؤال الثاني: أليس تحريم الشذوذ الجنسي يتعارض مع الحرية الشخصية ؟!

الجواب: إنَّ الحرية شعار أول من نادى به هو الإسلام، ولكن لزم أن نعرف معنى حدود الحرية، فهل هي حرية مطلقة، أم مقيّدة؟، بالطبع الشرع والعقل يحكم بأن الحرية لزم أن تكون مقيّدة وليست مطلقة، فأنت لا تتمكن باسم الحرية أن تقتل وتسرق وتعتدي على أعراض الناس، وتسب وتشتم وغيرها من الأفعال البذيئة، وهذا الأمر لم يقره فقط الشرع بل حتى القوانين الوضعية، وتعاقب كل من يخالف القوانين حتى لو كانت إشارة مرور.

ونؤكد بأن الإســـلام أقـــرّ الحرية الَّتـــي لولاها لما صـــار مكلفًا، ولكن (لا يعنـــي إقرار الإســـلام للحرّيّـــة أنّه أطلقها مـــن القيـــود والضوابط؛ فبذلـــك تكـــون أقـــرب إلى الفوضـــى الَّتـــي يثيرهـــا الهوى والشـــهوة. وبما أنّ الإســـلام ينظـــر إلى الإنســـان على أنّـــه مدنيّ بطبعـــه، يعيش بيـــن كثيـــر من بني جنســـه، فلـــم يقرّ لأحـــد بحرّيّـــة دون آخـــر، ولكنّه أعطـــى كلّ واحـــد منهـــم حرّيّته، ســـواءً كان فـــردًا أو جماعـــة؛ ضمن قيـــود ضروريّة، تضمن حرّيّـــة الجميـــع، وتتمثّل الضوابـــط الَّتي وضعها الإســـلام في الآتي:

أ- ألّا تـــؤدّي حرّيّـــة الفرد أو الجماعـــة إلى تهديد ســـلامة النظام العامّ وتقويض أركانه.

ب- ألّا تفـــوّت حقوقًـــا أعظـــم منهـــا، وذلـــك بالنظر إلـــى قيمتها في ذاتها ورتبتهـــا ونتائجها.

ج - ألّا تؤدّي حرّيّته إلى الإضرار بحرّيّة الآخرين.[٣٨٥]

الآن لنقـــم بتطبيـــق هـــذه الضوابط على الشـــذوذ الجنســـي لنرى هل يحـــق لنا ممارســـتها أم لا؟

بالنســـبة للضابطـــة الأولى فأن الشـــذوذ الجنســـي يهدد ســـلامة النظام العـــام لكونه ســـببًا في انقـــراض النوع الإنســـاني.

وبالنسبة للضابطة الثانية فأن اختيار الشذوذ يجعل الناس تعزف عن الزواج وتضيع هذا الحق، فتنهدم الأسرة، وأيضًا فيه تضييع لحق الأولاد بأن يكونوا شرعيين، في حين صاروا مجهولي النسب، وصاروا ضائعين مضطربين نفسيا

وأمـــا الضابطة الثالثـــة، فلقد ذكرنـــا بعض الأضـــرار المترتبة على الشـــذوذ الجنســـي للفرد والمجتمع في الســـؤال الأول.

وبمـــا أنـــه يكفي لمنع الشـــذوذ وتحريمـــه انطباق ضابطـــه واحدة،

فمن باب أولى يتأكد الحكم لانطباق الضوابط الثلاثة على الشذوذ... وللوقوف أكثر على معنى الحرية ننصح بمراجعة المحاضرة المعنونة بـ(الحرية بين الانضباط والانفلات) الّتي تم طرحها في كتاب (زاد المبلّغات)[٣٨٦]

المبحث الخامس: توجيهات للحماية من الشذوذ الجنسي

في هذا المبحث سنعرض بعض التوجيهات الّتي ينبغي أخذها بنظر الاعتبار؛ كي تحميكم وتحمي أولادكم من الشذوذ الجنسي، وهي كالآتي:

١. الابتعاد عن التلوث الاجتماعي والبيئي، حيث أن البيئة الفاسدة والمُلوثة بالانحرافات الخُلقية تُعدُّ من أهم أسباب عدوى الشذوذ الجنسي وتفشي هذا السلوك الخاطئ والخطير.

٢. تربية النفس تربية إيمانية سواءً في الجانب العَقَدي أو في الجانب الشرعي من حيث معرفة الحكم الفقهي وعقوباته.

٣. التعرّف على الآثار المترتبة على الشذوذ الجنسي والوقوف على أجوبة الأسئلة والشبهات الّتي يطرحها الشاذون؛ لكي لا يتأثر الفرد بكلامهم.

٤. التفريق بين الفتيات والنساء أثناء النوم؛ لأن لما تنام المرأة بجنب أخرى وبالأخص إذا كان الغطاء واحد فسوف يوسوس الشيطان لهما لتعبث أحدهن بالأخرى، لذا أمرتنا الشريعة بتفريقهما منذ الطفولة، روي عن أمير المؤمنين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ : « .. وفرّقوا بينهم في المضاجع إذا كانوا أبناء عشر سنين»[٣٨٧]

٥. ضرورة تعليم الفرد على كيفية حماية النفس من التحرش الجنسي منذ طفولته؛ لأن من أهم أسباب التعرض للشذوذ الجنسي هو الاعتداء الجنسي من قبل الآخرين؛ لذا ننصح بمراجعة الجزء التاسع عشر لكتاب (لمسات تربوية) تأليف ميّاسة

شـــبع المختص بالتربيـــة الجنســـية في مرحلـــة الطفولـــة المبكرة والـــذي يعلّمكـــم كيـــف تحمـــون أولادكـــم مـــن التحرش الجنســـي، ويمكنكـــم تحميلـــه مـــن المتصفـــح الإلكتروني.

٦.حمايـــة الأولاد مـــن مخاطـــر الإنترنت ومواقـــع التواصـــل الاجتماعي، بتعليمهـــم وتدريبهـــم على كيفية الاســـتخدام الحســـن وتحديد وقت محـــدد حســـب الفئـــة العمريـــة، وتحذيرهم مـــن المواقـــع الإباحية ومخاطرهـــا، فـــأن أغلـــب العدوى تأتـــي من وســـائل الإعلام الفاســـدة ا لمفسد ة .

٧. تجنبـــوا النظـــر للعورة، فالشـــريعة حرّمـــت أن ينظر الشـــخص إلى عـــورة الآخـــر ذكـــرًا كان أو أنثـــى، فقـــد روي عـــن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فـــي حديـــث المناهي قـــال: « إذا اغتســـل أحدكم في فضـــاء من الأرض فليحـــاذر علـــى عورته، وقـــال: لا يدخل أحدكـــم الحمام إلا بمئـــزر، ونهى أن ينظـــر الرجل إلى عـــورة أخيه المســـلم وقـــال: من تأمل عـــورة أخيه المســـلم لعنه ســـبعون ألف ملـــك، ونهى المـــرأة أن تنظر إلـــى عورة المـــرأة، وقال: مـــن نظر إلـــى عورة أخيـــه المســـلم، أو عورة غيـــر أهله متعمـــدا أدخله اللّه مـــع المنافقيـــن الذين كانـــوا يبحثون عـــن عورات النـــاس، ولم يخـــرج من الدنيـــا حتى يفضحـــه اللّه إلا أن يتـــوب» (٣٨٨)

٨. الحمايـــة من التشـــبه بالجنـــس الآخر؛ لأن التشـــبّه من الأمـــور التي تجعل الأولاد والبنات يميلون للشـــذوذ الجنســـي، ولمعرفـــة التفاصيل ننصح بقـــراءة المحاضـــرة المعنونة بـــ(احـــذروا الجنّدريـــة) في الجزء الثاني مـــن كتـــاب زاد المبلغات(٣٨٩).

٩. لا تحدثـــوا أنفســـكم بالشـــذوذ الجنســـي، فكلما فكـــرت امرأة في الســـحاق فلتســـتعذ باللّه مـــن الشـــيطان الرجيـــم وتفكّر مباشـــرة بأمـــر آخـــر مبـــاح والأفضـــل أن تقوم مـــن ســـريرها، وتســـمى عملية التغييـــر المفاجئ في التنميـــة البشـــرية بالعصف الذهني، فقـــد رُوِيَ عـــن الإمام جعفـــر بن محمـــد الصادق (عليـــه السَّـــلام) أنهُ قَـــالَ: « إِنَّ عِيسَـــى (عليه السَّـــلام) قَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ:... إِنَّ مُوسَـــى أَمَرَكُـــمْ أَنْ لَا تَزْنُوا،

وَ أَنَــا آمُرُكُــمْ أَنْ لَا تُحَدِّثُــوا أَنْفُسَــكُمْ بِالزِّنَا فَضْلًا عَــنْ أَنْ تَزْنُــوا، فَإِنَّ مَنْ حَــدَّثَ نَفْسَــهُ بِالزِّنَــا كَانَ كَمَنْ أَوْقَــدَ فِي بَيْــتٍ مُزَوَّقٍ[٣٩٠]، فَأَفْسَــدَ التَّزَاوِيــقَ الدُّخَانُ وَ إِنْ لَــمْ يَحْتَــرِقِ الْبَيْتُ »[٣٩١]

١٠.الابتعــاد عــن ســماع الأغانــي؛ لأنهــا تثيــر الشــهوة وتدفــع إلى ممارســة الفاحشــة، فقد روي عن النبــي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: الغناء رقية الزنا.[٣٩٢]

١١.حصّن نفســك بالزواج، فــأن له دور كبيــر في تحصيــن النفس من ارتكاب الفاحشة.

١٢.(ابتعد عــن أصدقاء الســوء، و من يذكــرك رؤيته بالماضي الســيئ و الذنــوب و المعاصــي، لأن الحــزن قد يدفــع الفرد للتنفيس عن نفســه بارتــكاب المحرم، ولذا اســعَ لربــط نفســك بالقدوة الحســنة وعلى رأسهم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

١٣.امــلأ أوقات فراغــك بالمطالعة المفيــدة والرياضــة والعمل الصالح المفيــد والدراســة، فــأن الملل والفــراغ يدفع الفــرد للتفكيــر بإفزاع شــهوته بأي طريقة.

١٤. كــن واثقًــا من أنك قــادرٌ علــى التخلص من الشــذوذ الــذي تعاني منه بالتــوكل على اللّه العلــي القدير.

١٥. كــن ملتزمًــا بالصلــوات فــي أول وقتهــا، و أكثِــر من تــلاوة القرآن ا لكر يم .

١٦. ابتعــد عن كل شــيء يثير فيك الشــهوة، مثــل الأفــلام و الصور، و المشــاهد الأخــرى، ولا تفكر فــي مثل هــذه الأمور.

١٧. كن دائماً على طهارة ووضوء، و لا تنم إلا و أنت متوضئ.

١٨. اســتغفر اللّه عَــزَّ و جَــلَّ مــن ذنوبك بكل صــدق، وكن واثقــاً من أن اللّه عَــزَّ و جَلَّ غفــار للذنوب و ســتار للعيوب.

١٩. قرر على أن لا تعود لما سبق بأي ثمن كان.

٢٠. صُم في الأسبوع يومي الاثنين و الخميس.

٢١. حاول أن لا تكون بمفردك في المنزل، أو الغرفة.

٢٢. لا تلجأ إلى الفراش إلا بعد شعورك بالحاجة إلى النوم.

٢٣. اسْـــأَلْ اللّه تعالـــى أن يُعينـــك علـــى ما تريـــد، و أكثر من التوســـل بمحمـــد وآلـــه ومن قـــول اللهم صـــل علـــى محمـــد و آل ﷺ)[٣٩٣].

وهناك حالات يستلزم علاجها مراجعة طبيب نفساني.

نفهـــم من خـــلال ما تقـــدم أن الشـــريعة الإســـلامية أمرتنا بحفظ فروجنا مـــن كل أنـــواع الشـــذوذ الجنســـي، والعلاقات غير الشـــرعية، وهـــذا الأمر يحتاج إلى التمســـك بالأســـباب ومنهـــا التربيـــة الإيمانية والـــورع عن محـــارم اللّه، فكلما زاد الإنســـان فـــي إيمانه وورعـــه وتقواه كان مـــن أطهر النـــاس وعلـــى رأســـهم ﷺ وآل ﷺ صلوات ربـــي عليهم أجمعين، لـــذا نقرأ في بعـــض زيارات الإمام الحســـين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أشـــهَدُ أنَّـــكَ طُهرٌ طاهـــرٌ مُطَهَّرٌ مـــن طُهر طاهـــر مُطَهَّر، طَهُـــرتَ وَطَهُرَت بِكَ البِلادُ وَطَهُـــرَتَ أرضٌ أنـــتَ بِها وَطَهُـــرَ حَرَمُكَ)[٣٩٤]

فالشـــريعة أمرتنـــا أن نوالـــي أهـــل البيـــت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، أي نســـير على نهجهـــم وعفتهـــم، في مقابـــل ذلـــك أمرتنا الشـــريعة بـــأن نتبرأ من أعدائهـــم الطواغيـــت الجبابـــرة ومن نهجهـــم الشـــيطاني المنحرف، ومـــن هـــؤلاء الطواغيت هو يزيـــد بن معاويـــة عليهما لعائـــن اللّه الذي يصادف فـــي مثـــل هـــذا اليـــوم هلاكه...فمثلمـــا دفعنا حبنـــا وولاؤنا دفعنـــا للحـــزن علـــى الإمام الحســـين عَلَيْهِ السَّلَامُ طـــوال شـــهري محرم وصفر، فـــأن بغضنـــا وبراءتنا من أعـــداء آل محمد يدفعنـــا للفرح بهلاك الطاغيـــة يزيد (لـــع) في اليوم الرابع عشـــر من شـــهر ربيع الأول ســـنة ٦٤ للهجـــرة عن عمـــر يناهز بضـــع وثلاثين ســـنة ...

تذكر كتب التاريخ والسيرة أن أمه ميسون بنت بجدل الكلبية حملت به من غلام أبيه، ولذا روي عن الأئمة الطاهرين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أنّ قاتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ابن زنا، وهكذا حال شمر وعمر بن سعد وابن زياد وغيرهم من قتلة أبناء الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وكان يزيد اللعين شاراً للخمر قمّاراً لاعباً بالقرود ناكحاً للمحارم تاركاً للصلاة، له أشعار فيها كفر صريح، حيث قال: (لعبت هاشم بالملك فلا ⋆ خبر جاء ولا وحى نزل)، حيث ذكر صاحب كتاب تاريخ الطبري[٣٩٥] هذا هو المروق من الدين وقول من لا يرجع إلى اللّه ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله ولا يؤمن باللّه ولا بما جاء من عند اللّه.

يزيد هو الذي أوجد واقعة كربلاء المحزنة، وقتل الحسين سيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته وصحبه الأبرار (رضوان اللّه عليهم) في فاجعة كربلاء، وسبى عياله وبضمنها علي بن الحسين زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ والسيدة زينب بنت أمير المؤمنين وبقية العلويات عليهن السلام بأسوء حال.

فالإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي قال للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يوم كيومك يا أبا عبد اللّه»، ونحن نستنتج هذه العبارة ونقول: « لا جرم كجرمك يا يزيد» الذي لم يكتف بذلك بل هدم الكعبة المقدسة بالمنجنيق، وحرق ستارها، وهتك ستور نساء المهاجرين والأنصار بعد قتلهم في وقعة الحرة، وأباح مالهم ودمهم وشرفهم لجنده ثلاثة أيام، فوُلد أولادٌ لم يُعرف آباؤهم. وبعد ذلك عمّ القتلُ الذريع والغارة على المدينة المنورة، قام جيشه بالاعتداء على الحرم النبوي المطهّر، وقتل الناس داخله ظلماً.

وفي سبب هلاكه أقوالٌ، منها: أنه هلك ببلاء مفاجئ، وقال الشيخ الصدوق (رحمه اللّه): نام ليلةً مخموراً، ووجدوه صبيحتَها ميّتاً، قد تغير جسمُه كأنه مطلىً بالقير، ودفنوه في الباب الصغير بدمشق.[٣٩٦]

ونتيجـــة للكبائـــر التي قـــام بها فقـــد آذى اللّه ورســـوله أذيـــة كبرى ولذا اســـتحق اللعـــن والعـــذاب الأليم بدليـــل قولـــه تعالـــى: إِنَّ الَّذِينَ يُـــؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُـــولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّـــهُ فِي الدُّنْيَـــا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُـــمْ عَذَابًا مُّهِينًا [٣٩٧]

هلمـــوا بنا لنقـــف على بعـــض الجرائم التي قـــام بها الملعـــون يزيد بالإمام الحســـين وأهـــل بيته وأصحابـــه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لكي نتقـــرب إلى اللّه بلعـــن الطاغيـــة يزيد بحماس، وســـنطرح جرائمه على شـــكل أشـــعار متفرقة:

وإلـــى يزيدَ حواســـرا تُهـــدى على ... الأقتاب تحملهـــا العجـــافُ الضُّلَّع
لهفي على زيـــنِ العبـــادِ مصفَّدا ... مُضنـــىً يُقـــاد علـــى بعيـــر يَضلِع
أيُضامُ بينهُـــم الإمامُ ولـــم يُطِقْ ... منـــعَ الطَغـــام ولم يجد مـــن يمنع
لـــم أدر أيَّ رزيـــةٍ أبكـــي لهـــا ... أم أيَّ نائبـــةٍ لهـــا أتوجـــع [٣٩٨]

وكأن لسان حال الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ ينشد هذه الأبيات:

(نصاري)

مـــن گيد الحديـــد ايســـيل دمي ... وعايـــن للحـــرم ويزيـــد همـــي
عســـن ياليـــت لا ولدتنـــي أمـــي ... اويرانـــي ايزيـــد بالذلـــه اموســـم

(مجردات)

بحبـــال خشـــنه چتفوهـــن ... او ليزيـــد اويلـــي ســـيروهن
والنـــذل ظـــل ينشـــد عليهـــن ... او يتســـترن گامن بديهـــن

أما زينب فإنها لما رأته ينكت ثنايا أخيها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ نادت بصوت حزين يقرّح القلوب: يا حسيناه، يا حبيب رسول اللّه، يا ابن مكة ومنى، يا ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء، ويا ابن بنت المصطفى [٣٩٩].

(مجردات)

يحســـين راســـك حيـــن شـــفته تلعـــب عصـــه ايزيد اعله شـــفته

ذاك الوكـــت وجهـــي لطمتـــه او صديـــت لـــه ابحركه او ندهتـــه

شـــلّت يمينـــك يالضربتـــه شـــتمني او تعـــدت له شـــتمته

يـــا ســـلوة الهـــادي او مهجتـــه يـــا أخـــو المثلـــك ضيّـــع اختـــه

(لچن) معذور يالحزوا ركبته

وأخيـــراً لنقرأ زيارة عاشـــوراء ولنقـــل مائة مـــرّة) اَللّـــهُمَّ الْعَنْ أول ظالـــم ظَلَمَ حَـــقَّ مُحَمَّـــد وَآلِ مُحَمَّد وَآخِرَ تابـــع لَهُ عَلى ذلكَ، اَللّـــهُمَّ الْعَـــنِ الْعصابَـــةَ الَّتـــي جاهَـــدَت الْحُسَـــيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشـــايَعَتْ وَبايَعَتْ وَتابَعَـــتْ عَلى قَتْلِهِ، اَللّـــهُمَّ الْعَنْهُـــمْ جَميعاً)

آمين رب العالمين وصلى اللّه على محمد وآله الطاهرين

١٧ ربيع الأول

ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وولادة الإمام الصادق عليه السلام

المناسبة

ولادة الصادقين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

القصيدة بعنوان بالصادقين

بالصادقين أتى الربيع المُزهِرُ ... فمحمدٌ يزهو ، ويزهو جعفرُ
لولاهما كان الزمان بلا سناً ... فكلاهما للعيش بدرٌ مُقمِرُ
في مكةٍ وُلِدَ النبي المصطفى ... وبطيبةٍ وُلِدَ الحفيدُ الأنورُ
لشريعة الرحمن جاء مؤسساً ... طه ، يخطُّ مبادئاً ويُسطِّرُ
وأتى ابن باقر علمها من بعده ... يجلو الشريعة للورى ويُفسِّرُ
فمدينة العلم الزكيِّ محمدٌ ... والبابُ إن تأتِ المدينةَ حيدرُ
إسلامُ أحمدَ أصلُها وأساسها ... والجعفريةُ فرعُها المتبصرُ
هي روضة زرع النبيُّ ورودها ... وبعطر جعفرَ قد غدَتْ تتعطّرُ
نهج الولاية يبتدي بمحمدٍ ... وبجعفرٍ اسم الولاية يُنشَرُ

هوسات لمولد النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

الفرح ما ينوصف هالليله ياهالناس ... ردت اكتب قصيده وْ اوصف الاحساس
رجف بيدي القلم وانگطعت الانفاس ... شكتب عنّك ياحمد وانت الاكرم عالاكوان
ذخرنه وْ يا فخرنه يا نبي الاكوان ... نْتباهه بيك عالدنيه وْ عله الاديان
عظيم انت وْ كريم وْ صاحب القرآن ... المنقذ انت المنقذ يوم المحشر والاهوال
هلا بْميلاد ابو الزهره وْ ابو الاطهار ... شرق نوره وْ ظهر سرّه من الاسرار
ابو العتره الكريمه وْ والد الابرار ... عالدنيه مْنور بانواره

المحاضرة التاسعة

التوسل بمحمد وآله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾(٤٠٠)

كما هو معلوم أن اللّه تعالى خلق الإنسان طاهراً من الذنوب، وتكليفه أن يتكامل بالطاعة المطلقة للّه تعالى مع المحافظة على طهارته، فإذا عصى وأذنب فوجب عليه أن يزكي نفسه ويطهرها عن طريق الإخلاص في العمل، وعمل الصالحات لأن الْحَسَنَات يُذْهِبْنَ السَّيِّئَات، وعن طريق الاستغفار والتوبة، والصبر على البلاء، والورع عن محارم اللّه، وأيضاً عن طريق التوسل، الذي ينفعنا في التقرّب إلى اللّه وقضاء الحوائج، ونريد في هذه المحاضرة أن نقف على مفهوم التوسل، وحكمه، وأدلته، ونردّ على بعض الأسئلة المختصة به.

المبحث الأول: تفسير الآية الكريمة

إن الأدلة التي تثبت مشروعية التوسل عديدة، اخترنا لكم الآية ٤٦ من سورة النساء، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

يفسّر صاحب كتاب تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان هذه الآية الكريمة: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ﴾، أي هؤلاء المنافقين والعصاة ﴿ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ﴾ بالنفاق والمعصية فإن العصيان يعود ضرره إلى العاصي ﴿ جَآؤُوكَ ﴾ تائبين معتذرين ﴿ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ ﴾، أي طلبوا غفرانه وعفوه ﴿ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ بأن وجدهم أهلا لطلب المغفرة من اللّه لهم ﴿ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا ﴾، أي كثير التوبة ﴿ رَّحِيمًا ﴾ يرحم بهم ويغفر ذنوبهم.(٤٠١)

إن هذه الآية من الآيات التي تثبت مشروعية التوسل، فإن المعنى الاصطلاحي للتوسل هو (أن يتقرّب العبد إلى اللّه تعالى بشيء يكون وسيلة لاستجابة الدعاء ونيل المطلوب)[٤٠٢]

ولتقريب فكرة التوسّل نقول: نحن في حياتنا نمارس التوسل، فلو أرادت البنت من أبيها أن يقضي حاجتها، ولكنها عصته سابقاً فتتوسل بأمها لتكون وسيلة تشفع لها عنده.. وهذا الأمر يشابه ما فعله أولاد يعقوب حينما توسلوا بأبيهم وطلبوا منه أن يستغفر لهم اللّه قائلين: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾[٤٠٣] قَالَ نبي اللّه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٠٤]، وهذه الآية تثبت مشروعية التوسل.[٤٠٥]

والذي يهمنا هو الوقوف على الآية محل البحث، حيث يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (إنّ هذه الآية تجيب ضمناً على كل الذين يعدّون التوسل برسول اللّه أو بالإمام نوعاً من الشرك؛ لأن الآية تصرّح بأن التوسل بالنبي والاستشفاع به إلى اللّه، وطلب الاستغفار منه لمغفرة المعاصي، مؤثر وموجب لقبول التوبة وشمول الرحمة الإلهية.

فلو كانت وساطة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ودعاؤه للعصاة المتوسلين به، والاستشفاع به وطلب الاستغفار منه شركاً، فكيف يمكن أن يأمر القرآن العصاة والمذنبين بمثل هذا الأمر؟

نعم، غاية ما في الباب أن على العصاة والمذنبين أنفسهم أن يتوبوا ويرجعوا عن طريق الخطأ، ثم يستفيدوا - لقبول توبتهم- من استغفار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لهم.

ومن البديهي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليس من شأنه أن يغفر الذنوب، بل شأنه في المقام أن يطلب من اللّه المغفرة خاصة، وهذه الآية إجابة مفحمة للذين ينكرون مشروعية التوسل بهذه الوساطات.[٤٠٦]

بـــل نجد أن اللّه تعالـــى يؤنّب المســـلمين الذين يكابرون ولا يتوســـلون بحجة اللّه ليســـتغفر لهـــم ذنبهم ويقضـــي حوائجهم، قـــال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾(٤٠٧)

المبحث الثاني: الغاية من الحث على المجيء للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

الآيـــة الكريمـــة محـــل البحث تحـــث المســـلمين علـــى المجيء لرســـول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فيـــا تـــرى مـــا هـــي الغايـــة مـــن الأمر بمجيئهـــم إليـــه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ؟

الجواب: إن الغاية من ذلك أمران وهما:

١. أن يســـتغفروا اللّه فـــي محضر الرســـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، لقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَغْفَرُوا اللّه ﴾.

٢.أن يتوســـلوا برســـول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليســـتغفر لهـــم ذنوبهـــم، لقولـــه تعالـــى: ﴿ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾فيقضـــي لهـــم حوائجهم.

فأمـــا ســـبب الحـــث علـــى الاســـتغفار بمحضـــر رســـول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الدعـــاء وطلـــب الحاجة والاســـتغفار يكـــون أكثر اســـتجابة فـــي حالـــة كـــون الإنســـان قريبـــاً مـــن اللّه تعالى.

رب ســـائل يقـــول: ولكـــن اللّه تعالى قريب منّـــا دائماً، لقولـــه تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٤٠٨)، فلمـــاذا الحـــث علـــى الدعاء عنـــد حضـــور مراقد أهـــل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟

الجـــواب: نعـــم، أن اللّه قريب منّـــا لدرجة قـــال فيها تعالـــى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾(٤٠٩) بـــل أعلـــى من ذلـــك ﴿ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾(٤١٠) مـــع كون المرء وقلبه شـــيئًا واحداً لا شـــيئين، فهـــو عزّ وجلّ أقـــرب إلى الإنســـان مـــن نفســـه، ولا يوجـــد بعد هـــذا من هـــو أقرب إليه منـــه تبـــارك وتعالى، ولكـــن المشـــكلة تكمن في بعدنـــا عن اللّه

لا بعد اللّه عنّا... وقد يستغرب بعضكم: كيف نكون بعيدين عن اللّه تعالى، واللّه قريب منّا؟

الحقيقة نحن لا نقصد بالبعد (البعد المكاني)، كابتعاد فلان عن فلان بعشرة أمتار، بل نقصد به بـ(البعد المعنوي) المتمثل بالغفلة والنسيان، وهذا من قبيل غفلة الإنسان عن جليسه الذي يكلمه وهو بقربه، لكونه مشغولاً بأمر آخر، لذا لم ينتبه إلى كلامه ووجوده.. وهذا ينطبق على غفلتنا عن اللّه تعالى، فنحن نعتقد أن اللّه موجود معنّا في أي مكان، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[٤١١]، ولكن الإنسان يغفل عن اللّه تعالى بسبب ارتكاب المعاصي والانشغال بالدنيا وزخارفها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾[٤١٢].

ولكن هذه الغفلة تقل أو تزول عندما يحصل توجه وانتباه، كلحظة حضورنا في بعض الأماكن المقدسة، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾[٤١٣]. وأيضاً هناك مواضع يشعر الإنسان فيها بالقرب من اللّه وإن لم تكن لها قدسية كأن يذكر اللّه تحت السماء، كما ورد في استحباب الصلاة ركعتين في يوم عرفة تحت السّماء، وفي صلاة الاستسقاء، وكما ورد في زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن بُعد، إمّا بأن يبرز إلى الصحراء، أو يصعد على سطح.

وهناك حالات أخرى يشعر فيها بالقرب الإلهي أكثر من بقية الأوقات كمن يبتعد عن زخارف الدنيا من خلال لون وهيئة ثيابه، ولذا أمرت الشريعة الحاج بلبس ثوبي الإحرام؛ لأنها تذكّرنا بلباس الآخرة، وحثت الموالي على لبس السواد على مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لأنها تذكّرنا بحجج اللّه تعالى.

ومن الأمور التي يكون فيها الإنسان أقرب إلى اللّه هو ذكر اللّه في الأماكن التي يحبها اللّه، ومنها المسجد النبوي الشريف، قال تعالى: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾[٤١٤].

حيـــث تذكـــر مصـــادر أهـــل الســـنة عن النبـــي ﷺ قـــال: «صـــلاةٌ في مســـجدي هـــذا، خيرٌ مـــن ألفِ صـــلاةٍ في غيـــرِه من المســـاجدِ، إلا المســـجدَ الحرامَ» (٤١٥)

وهكـــذا الحـــال عنـــد الحضور فـــي مراقـــد المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ففيهـــا يكون الإنســـان أقـــرب إلـــى اللّه ويضاعف لـــه الثـــواب، روي عن جابر الجعفـــي عن الإمـــام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ فـــي حديث في فضـــل زيارة الإمـــام الحســـين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ثـــم تمضي إلـــى صلاتك ولك بـــكل ركعة ركعتهـــا عنده كثـــواب من حج ألـــف حجـــة، واعتمر ألف عمـــرة واعتق ألـــف رقبـــة، وكأنما وقـــف في ســـبيل اللّه ألف مـــرة مع نبي مرســـل». (٤١٦)

ولـــذا ينبغـــي اســـتثمار الفرصـــة بالدعاء والاســـتغفار والتوســـل بمحمـــد وآلـــه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عنـــد حضـــور عنـــد مراقدهم المقدســـة.

المبحث الثالث: حكم التوسل بالميت

أجمـــع المســـلمون بجـــواز التوســـل بالميـــت وعلى ذلـــك اتفقت المذاهـــب الأربعـــة(٤١٧)، ومذهـــب أهـــل البيـــت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، حيـــث قـــال علمـــاء الشـــيعة الإماميـــة: يجـــوز التوســـل بالنبـــي ﷺ والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، في قضـــاء الحوائج وتفريـــج الكرب بعد موتـــهم، كما يجـــوز حـــال حياتهم، لعـــدم كون ذلـــك من خطـــاب المعدوم أوّلًا، ولا كونـــه شـــركاً ثانياً.(٤١٨)

بينمـــا يعتقد الوهابيـــون أن التوســـل بالموتى غير جائز وحـــرام، وأنه من الشـــرك، فهم يعتقـــدون- تبعًـــا لابن تيميـــة- أنَّ التوســـل بالنبي ﷺ والصالحيـــن يجـــوز فـــي حياتهـــم فقـــط، وأمـــا بعد موتهم فهـــو من الشـــرك.(٤١٩)

وهـــم بذلـــك يخالفـــون النصوص الشـــرعية التي تثبت مشـــروعية التوســـل بالصالحيـــن في حـــال حياتهم وبعـــد مماتهـــم، ونذكر منها

- من باب الاستئناس- ما دلّت عليه الآية الكريمة - محل البحث- فهي لم تقيّد المجيء والتوسل بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حال حياته فقط، فالآية لم تقل: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك (حيّا) فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول...)، بل الآية مطلقة، أي جاز التوسل بحضرته حال حياته ومماته ولا يجوز تقييدها - بالموت- إلا بقرينة، ولا توجد قرينة متصلة ولا منفصلة، بل بالعكس فالقرائن تدل على جواز واستحباب التوسل به حال مماته كما جاز حال حياته.

ومن تلك القرائن المنفصلة ورود نصوص روائية تثبت جواز التوسل بالصالحين أمواتاً وأحياء، منها روايات مروية في مصادر أهل السنة، ونتعمد طرحها من باب (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم)، ونذكر منها ما يلي:

١. ورد في الدر المنثور ٢٣٨/١ ورواه في كنز العمال: ٢٥٨/٤، وقال في هامشه: وذكر ابن كثير في تفسيره: ٣٢٩/٢:

أخرج البيهقي عن أبي حرب الهلالي قال حج أعرابي فلما جاء إلى باب مسجد رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أناخ راحلته فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول اللّه، جئتك مثقلا بالذنوب والخطايا، مستشفعًا بك على ربك؛ لأنه قال في محكم كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾. وقد جئتك بأبي أنت وأمي مثقلًا بالذنوب والخطايا، أستشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي، وأن يشفع في. ثم أقبل في عرض الناس وهو يقول:

يا خير من دفنت في الترب أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

٢. ورد فـــي أســـد الغابـــة[٤١٧]، وابـــن عســـاكر في تاريـــخ دمشـــق[٤٢١]: عن أبي الـــدرداء أن بـــلالًا- مـــؤذن النبـــي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- رأى فـــي منامه المصطفـــى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهـــو يقول: مـــا هـــذه الجفوة يا بـــلال؟!.. أمـــا آن لـــك أن تزورني يا بـــلال!.. فانتبـــه بلال حزينًـــا وجلًا خائفًـــا.. ركب راحلتـــه وقصـــد المدينـــة، فأتـــى قبـــر النبـــي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فجعل يبكـــي عند القبـــر، ويمرغ وجهـــه عليه.. فأقبـــل الحســـنان (ع) فجعل يضمهمـــا ويقبلهما.

٣. ورد فـــي المواهـــب اللدنيـــة[٤٢٢]، وفي وفـــاء الوفا[٤٢٣]الروايـــة الآتية: رَوَى أَبُـــو صَادِقٍ عَـــنْ عَلِيّ قَالَ: قَـــدِمَ عَلَيْنَـــا أَعْرَابِـــيّ بَعْدَمَا دَفَنَّا رَسُـــول اللَّه صَلَّـــى اللَّـــه عَلَيْه وَسَـــلَّمَ بِثَلَاثَة أَيَّـــام، فَرَمَى بِنَفْسِـــه عَلَى قَبْر رَسُـــول اللَّه صَلَّـــى اللَّه عَلَيْه وَسَـــلَّمَ وَحَثَا عَلَى رَأْسِـــه مِـــنْ تُرَابه: فَقَـــالَ: قُلْت يَا رَسُـــول اللَّه فَسَـــمِعْنَا قَوْلَـــك، وَوَعَيْت عَنْ اللَّـــه فَوَعَيْنَا عَنْـــك، وَكَانَ فِيمَـــا أَنْزَلَ اللَّـــه عَلَيْك « وَلَـــوْ أَنَّهُـــمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُســـهُمْ» الْآيَـــة، وَقَدْ ظَلَمْت نَفْسِـــي وَجِئْتُك تَسْـــتَغْفِر لِـــي. فَنُودِيَ مِـــنْ الْقَبْر إِنَّهُ قَـــدْ غُفِرَ لَك .

وأمـــا الروايـــات مـــن مصـــادر مدرســـة أهل البيـــت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فهي عديـــدة، نذكـــر منها مـــا روي عَـــنْ مُعَاوِيَةَ بْـــن عَمَّار قَـــالَ: قَالَ لِـــي أَبُو عَبْـــد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْتِـــدَاءً مِنْه: « يَـــا مُعَاوِيَـــةُ، أَمَا عَلِمْـــتَ أَنَّ رَجُـــلًا أَتَى أَمِيـــرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَشَـــكَا الإِبْطَاءَ عَلَيْـــه فِي الْجَوَابِ فِـــي دُعَائِه، فَقَـــالَ لَه: أَيْـــنَ أَنْتَ عَـــنِ الدُّعَـــاءِ السَّـــرِيعِ الإِجَابَة؟!

فَقَالَ لَه الرَّجُلُ: مَا هُوَ؟

قَالَ: قُـــل: اللَّهُـــمَّ إِنِّي أَسْـــأَلُكَ بِاسْـــمِكَ الْعَظِيمِ الأَعْظَـــمِ، الأَجَلِّ الأَكْرَمِ، الْمَخْـــزُونِ الْمَكْنُـــونِ، النُّورِ الْحَـــقِّ، الْبُرْهَـــانِ الْمُبِيـــنِ...، وأَتَوَجَّه إِلَيْـــكَ بِمُحَمَّدٍ وأَهْـــلِ بَيْتِه، أَسْـــأَلُكَ بِكَ وبِهِـــمْ: أَنْ تُصَلِّيَ عَلَـــى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّـــدٍ، وأَنْ تَفْعَـــلَ بِي كَذَا وكَـــذَا » [٤٢٤]

المبحث الرابع: التوسل بالميت بين الوهم والحقيقة

التوسل بالموتى، أو التوسل بالأموات، هو التوسّط للّه تعالى بالأموات من العظماء في الإسلام من أمثال الأنبياء والأئمة والصلحاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من أجل قضاء الحوائج، وقد دلّت على مشروعيته الآيات والروايات التي رواها الشيعة وأهل السنة، وقد اتفق المسلمون على مشروعية التوسل إلا الوهابية: فقد اعتبروه من الشرك تبعاً لابن تيمية الذي يعتقد أن الميت لا يسمع ولا ينفع!! (حتى أن بعض أتباعه كان يقول: عصاي هذه خير من محمد؛ لأنها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها، ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلًا!!)[٤٢٥]

ولم يكتفوا بجعل المسألة فقهية، بل جعلوه خلاف عقائدي وحكموا على كل من يتوسل بالميت بأنه مشرك، وعلى هذا الأساس أباحوا -قاتلهم اللّه- دماء الشيعة وأجازوا هتكهم والتمثيل بهم ... فهؤلاء وأمثالهم يعتقدون بأن التوسل بدعاء غيرهم إنّما يصحّ إذا كان الغير حيّاً يسمع دعاءك ويستجيب لك ويدعو اللّه سبحانه لقضاء وطرك ونجاح سوَالك، أمّا إذا كان المستغاث به ميتاً انتقل من هذه الدنيا فكيف يصحّ التوسل بمن انتقل إلى رحمة اللّه وهو لا يسمع ؟

والجواب: إنّ الموت - حسب ما يوحي إليه القرآن والسنّة النبوية - ليس بمعنى فناء الإنسان وانعدامه، فكل المسلمين يؤمنون بوجود الروح وبقائها حيّةً بعد انفصالها عن البدن، وموت الإنسان معناه الانتقال من دار إلى دار وبقاء الحياة بنحو آخر والذي يعبر عنه بالحياة البرزخية.

إنّ النصوص الشرعية تدل صراحة على كونهم أحياءً بعد موتهم، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ

الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٢٦)

والآيـــــات هذه نزلت في الشـــــهداء، وهي صريحة في بقاء الأرواح بعـــد مفارقتها الأبـــدان، وبعـــد انفكاك الأجســـام وبلاهـــا، كما يتضح ذلك من الإمعـــــان في المقاطـــع الأربعة الآتيـــة: ﴿ بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ وقولـــه: ﴿ يُرْزَقُونَ ﴾ وقولـــه تعالـــى: ﴿ فَرِحِينَ ﴾ وقولـــه: ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ والمقطع الثاني يشـــير إلـــى التنعم بالنعـــم الإلهية، والثالـــث والرابع يشـــير إلى النعـــم الروحيـــة والمعنوية، وفـــي الآية دلالـــة واضحة على بقاء الشـــهداء بعد المـــوت إلى يـــوم القيامة.

وهنـــاك آيـــات ونصـــوص عديدة يســـتدل بهـــا على كونهـــم أحياء لكونهـــم يتكلمـــون ويبصـــرون ويســـمعون وقســـم يتعذبـــون وآخـــر يتنعمـــون. ولمزيـــد مـــن التوضيح نذكـــر الأدلـــة الشـــرعية الآتية:

أ. الموتى يتكلمون: منهـــا الآيـــة التـــي نزلت في حق مؤمن إل ياســـين الـــذي هاجمـــه الكفار ورجمـــوه حتى قتل، فأدخـــل الجنة فقـــال: ﴿ قال يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾(٤٢٧)

ومنهـــا الآية التـــي تخبرنا بـــأن العاصي يتكلـــم بعد موتـــه قائلًا: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾(٤٢٨)

ب. الموتى يبصرون: قـــال تعالى: ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾(٤٢٩). فمعنـــى: ﴿ فَبَصَرُكَ ﴾ وهـــو البصيرة و عين القلب، ﴿ الْيَوْمَ ﴾ و هـــو يـــوم القيامـــة، ﴿ حَدِيدٌ ﴾ أي نافـــذ يبصـــر مـــا لم يكن يبصره في الدنيـــا. (٤٣٠)

ج. الموتى يســـمعون: هنـــاك أدلـــة كثيرة مـــن الكتاب والســـنة تدل على أن الموتـــى يســـمعون، ونحن نؤكـــد على الســـماع؛ لأننا لما نتوســـل بالأنبيـــاء والصالحيـــن في قضـــاء حوائجنـــا نكلّمهم؛ لأننـــا متيقنون أنهم يســـمعوننا، وكما ورد في زيـــارات المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: (أشـــهد أنـــك تســـمع كلامي وتـــرد ســـلامي وإنك حي مـــرزوق).

ومن النصوص الشرعية التي تثبت أنهم يسمعون ما يلي:

١. **الأنبياء يكلمون الموتى**: ومنها قوله سبحانه: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمينَ* فَتَوَلّى عَنْهُمْ وَقالَ يا قَومِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلكِنْ لا تُحِبُّونَ النّاصِحين ﴾(٤٣١)

فقد صدر الخطاب من النبي صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد هلاك قومه وموتهم، بشهادة قوله:﴿ فَتَوَلّى عَنْهُم ﴾ في صدر الخطاب المصدّرة بالفاء المُشعرة بصدور الخطاب عقيب هلاك القوم. فلو لم تكن هناك صلة بين الحياتين ولم يكونوا يسمعون لما خاطبهم النبي صالح بهذا الخطاب.

٢. **إنّ القرآن الكريم يسلّم على الأنبياء قائلًا**: ﴿ سَلامٌ عَلى نُوحٍ في العالَمين ﴾(٤٣٢)، و﴿ سَلامٌ على إبراهيمَ ﴾(٤٣٣)، و﴿ سَلامٌ على مُوسى وهارونَ ﴾(٤٣٤)، و﴿ سَلامٌ عَلى آلْ ياسين ﴾(٤٣٥)، ﴿ وسَلامٌ عَلَى المُرسَلين ﴾(٤٣٦).

ولا شك أنّ ما ورد فيها ليس سلامًا سطحيًّا أجوفاً، بل هو سلام حقيقيّ وتحيّة جديدة يوجّهها القرآن إلى أنبياء اللّه ورسله وهل يصحّ التسليم الجدّي على الجماد الذي لا يَعرف ولا يُدرك ولا يشعر ؟ !

٣. **السلام على الرسول في الصلاة**: كما هو معلوم إنّ جميع المسلمين في العالم - بالرغم من الخلافات المذهبية بينهم في فروع الدين- يسلّمون على رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الصلاة عند ختامها فيقولون :(السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة اللّه وبركاته).

والسؤال الآن : إذا كانت صلتنا وعلاقتنا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد انقطعت بوفاته فهذا يعني أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا يسمع سلامنا، إذن ما معنى مخاطبته والسلام عليه يوميًا؟!

٤.النبي يكلّم أهل القليب: يروى أنه لما انتهت معركة بدر

بانتصار المســـلمين وهزيمة المشركين وقف النبـــي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يخاطـــب القتلى المشـــركين التـــي في القليـــب - أي البئـــر- بخطاب يذكره لنـــا البخـــاري: عن نافـــع أنّ ابن عمـــر أخبـــره، قال: اطّلـــع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ علـــى أهل القليـــب، فقـــال: « وجدتـــم ما وعـــد ربّكم حقًّا؟!فقيـــل لـــه: ندعـــو أمواتًا، فقـــال: ما أنتم بأســـمع منهـــم، ولكن لا يجيبون » (٤٣٧).

إذن تبيـــن أن هنـــاك صلة بيـــن الحياة الدنيويـــة والبرزخيـــة، وإنَّه لا فرق بيـــن الحيـــاة والمـــوت بالنســـبة لأوليـــاء اللّه تعالـــى، ولذلك فلا فرق بالنســـبة للمؤمنيـــن بين حيـــاة النبـــي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والصالحيـــن من ناحية التوســـل بهـــم، فكما كانوا يتوســـلون بهـــم في حياتهـــم ويطلبـــون منهـــم الاســـتغفار كذلك الحـــال بعد مماتهـــم(٤٣٨) اعتمادًا علـــى قوله تعالـــى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (٤٣٩). وهذا هو المعروف من ســـيرة المســـلمين على طول العصـــور(٤٤٠).

المبحث الخامس: هل الموتى الصالحون قادرون على نفعنا؟

لقـــد اتفـــق كل علمـــاء المســـلمين أن التوســـل بالصالحيـــن في حياتهـــم فيـــه كل الخير والبركـــة، كالتوســـل بالأنبياء وعلى رأســـهم الرســـول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي قـــال تعالى عنـــه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾(٤٤١)

وأثبتنـــا في المبحث الســـابق بوجـــود صلة بين الأمـــوات الصالحين وبيـــن الأحياء لكـــون أرواحهم خالدة منعّمـــة لا تموت، ومنهـــا أن أعمال العباد تُعـــرض على الرســـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد مماته، فقـــد روي عن رســـول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُـــمْ، تُحْدِثُونَ وَتُحْـــدَثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِـــي خَيْرٌ لَكُـــمْ، تُعْرَضُ عَلَـــيَّ أَعْمَالُكُـــمْ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيـــرٍ حَمِدْتُ اللَّـــهَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَـــرٍّ اسْـــتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُـــمْ » رواه البـــزار ورجاله رجال الصحيـــح. نقلاً عـــن الهيثمي (٤٤٢)

فإذا كان رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد مماته قد انقطعت صلته بنا فلماذا تعرض عليه أعمالنا ؟

إذن حتمًا الصلة مستمرة- كما أثبتنا ذلك-. وإذا كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يخبرنا بأنه يستغفر اللّه لنا بعد موته، ألا يعدّ ذلك منفعة لنا؟، وإذا كنا نسلّم على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في صلاتنا وزيارتنا بقولنا: (السلام عليك يا رسول اللّه)، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يخبرنا بأنه يردّ علينا السلام، فقد روي أن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «ما من أحد يسلّم علي إلا رد اللّه علي روحي حتى أرد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»(٤٤٣)

ومعلوم أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لمّا يرد علينا السلام بقوله: (وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته)، فهذا بحد ذاته دعاء لنا بتحصيل السلام والرحمة والبركة، إذن ألا يُعد ذلك منفعة لنا؟

نستنتج مما تقدم أن التوسل بالصالحين فيه المنفعة والخير حتى بعد مماتهم.

بل المنفعة أعظم من ذلك، فالصالحون في حال حياتهم إذا أطاعوا اللّه تعالى طاعة مطلقة فسوف تزكو أرواحهم وتتكامل، ويكونون من المفلحين، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (٤٤٤)، ومن مصاديق فلاحها أن اللّه تعالى يمنح أرواحهم الكرامات ويكون دعاؤه مستجاباً، فقد روي في الحديث القدسي: « عبدي أطعني حتى أجعلك مَثَلي أقول للشيء: كن فيكون تقول للشيء: (كن فيكون) » (٤٤٥)

إن قوله تعالى « عبدي أطعني حتى أجعلك مَثَلي » ليس معناه أن من أطاع اللّه يكون مِثْل اللّه، إذ ليس ذلك ممكنا؛ لأن اللّه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾(٤٤٦)، ولذا تقرأ (مَثَلي) بفتح الثاء لا سكونها.

ومن ثمّ يكون معنى الحديث: إذا أطاع اللّه عبدٌ، وقَرُب من اللّه، ورضي اللّه عنه، فإن اللّه قد يعطيه بعض القدرات التي يستطيع

مـــن خلالها أن يقـــوم بها.

(فمعنـــى ذلـــك: أن اللّه يريـــد أن يقـــول للإنســـان إذا أطعتني وصرت مرضيـــاً عندي وصـــرت قريباً إلـــي فإنني أعطيـــك بعض القـــدرات التي تســـتطيع من خلالهـــا أن تقول للشـــيء كُـــنْ فيكون، وليـــس ذلك في كل شـــيء، بـــل أن تقول لبعض الأشـــياء، بحســـب ما يعطـــي اللّه من قدرتـــه)[٤٤٧]. وهـــذه القـــدرة التي يتصـــرف بهـــا الصالحون فـــي نظام الكون تســـمى بالولايـــة التكوينية.

والولايـــة التكوينيـــة: تذكـــر عدة معـــانٍ لها، بعضها شـــرك محرم، وهـــي القائلة بأنّ معنـــى الولاية التكوينيـــةً لغير اللّه وإنّهـــم يتصرفون بالكـــون والخلـــق بانفصـــال عـــن إرادة اللّه، أو أنّ اللّه تعالـــى قـــد فوّض إليهـــم شـــؤون العالم اســـتقلالا، و قـــد اتفـــق علمـــاء الإمامية على اســـتلزامها للشـــرك المحرم.

أمـــا إن كان معنـــى الولايـــة التكوينية غيـــر هذا، مثـــل التصرف في الكـــون بـــإذن اللّه وإرادته، فلا مانـــع من ذلـــك ولا محذور.

والنصـــوص الشـــرعية تثبت أن اللّه تعالـــى منح الولايـــة التكوينية لغيـــره كالملائكـــة، قـــال تعالـــى: ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾[٤٤٨]. ومنهـــم ملك المـــوت، قال تعالـــى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ ﴾[٤٤٩].

والولايـــة التكوينيـــة ثابتة أيضـــاً للأنبيـــاء والجن والنـــاس من غير الأنبيـــاء، فعـــن الأنبياء يتحـــدث القرآن عـــن عيســـى عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللّه ﴾[٤٥٠]. فالآيـــة واضحـــة فـــي إثبات الإحيـــاء لعيســـى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو تصـــرف تكويني.

وعـــن الجن يقول تعالى: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾[٤٥١]

أمـــا ثبوتهـــا لغيـــر الأنبياء وأهـــل البيـــت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فيذكـــر القرآن

الكريم قصة آصف وزير سليمان ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي ...﴾ (٤٥٢) ((٤٥٣))

المبحث السادس: التوسل بين القبول والرفض والتأخير

قد يسأل سائل: أنا اتوسّل بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فيقضوا لي حاجتي، ولكن في بعض الأحيان لا يقضوا لي حاجتي رغم التوسل المستمر، وفي مرات أخرى تتأخر الاستجابة، لماذا؟

الجواب: هذا السؤال يشابه من يقول: أنا ادعو اللّه مراراً وتكراراً ليقضي لي حاجتي، ولكن تارة يقضيها اللّه لي، وتارة أخرى لا يقضيها، وثالثة قد يؤخرها!!!

إن الجواب واحد؛ لأن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا يملكون ضراً ولا نفعاً إلا بأذن اللّه وحوله وقوته، فنحن لما نتوسل بهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ سوف يشفعون لنا عند اللّه بقضائها، قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (٤٥٤)

وبما أن لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ منزلةً عظيمة عند اللّه عزّوجل لديه لذا فإنه يقضي حوائجنا إكراما لهم، ولكن في بعض الأحيان لا يقضيها لأسباب، نذكر منها الآتي:

١. إنّ استجابة الدعاء من قبل اللّه تعالى، لا يكون إلّا من باب التلطف والرحمة بالعبد، فإذا استجيب له في حاجة، وأعطى ما لم يكن في مصلحته وصلاحه، فإنّ تلك الاستجابة والعطاء لا تعد لطفاً أو رحمة، لأن العطاء في غير صلاح الإنسان مخالفة للطف والرحمة.

وإذا نسلم أنّ الإنسان عاجز عن تشخيص صلاحه لعدم قدرته على الإحاطة العلمية الشاملة والدقيقة لجميع ما فيه خيره وصلاحه، أو ضرره وفساده، حيث يقول تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (٥٥٥)، فإن اللّه يعطي الإنسان الدعاء ما فيه صلاحه، أما

ما يطلبــه وهــو في غيــر صلاحه.

٢. الجهــل بمن ندعــوه، روي أن رجلا ســأل الإمام الصــادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن علــة عــدم اســتجابة دعائهــم، فقــال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: (لأنكم تدعــون من لا تعرفونه). (٤٥٦)

أكثرنــا ســمع بالحديــث المروي عــن رســول اللّه ص: من مــات ولم يعــرف إمام زمانــه مات ميتــة جاهلية. (٤٥٧) ولقد شــرحنا هــذا الحديث فــي الجــزء الأول مــن كتــاب زاد المبلغات فــي المحاضــرة المعنونة بـــ(وجــوب معرفــة إمام زماننا عــج) وذكرنا بأن المعرفــة لا تتوقف علــى معرفة اســم الإمــام المهدي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونســبه، بل الأمــر يتوقف علــى موالاته ووجــوب طاعتــه والانقياد لأوامــره واتباعــه وتقليده في أقوالــه وأفعالــه وأفكاره. فمــن يفعل ذلك فقــد نال رضــا اللّه الذي هو شــرط في نيل الشــفاعة، قال تعالــى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ (٤٥٨)

ومعلــوم أن رضــا اللّه مرهون برضــا أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، فقــد روي عن الإمــام الحســين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنّه قال: (رضــى اللّه رضانا أهــل البيت) (٤٥٩)

لذا لا عجــب لما نتوســل بأهل البيــت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ في قضــاء الحوائج ولا نجــد اســتجابة. إن الســبب يرجــع إلينــا لكوننا ندّعــي موالاتهم وأننا معهــم ولكننا فــي الحقيقية لســنا منهم لأننــا نخالفهم، روي عــن الإمــام الصــادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ليس من شــيعتنا مــن وافقنا بلســانه وخالفنا فــي أعمالنا وآثارنــا. (٤٦٠)

٣.إرتــكاب الذنــوب: من أبــرز الموانــع التي تمنــع اســتجابة الدعاء هــي الذنوب، قــال الإمام الصــادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «إن العبد يســأل اللّه الحاجة فيكــون من شــأنه قضاؤهــا إلــى أجل قريــب، أو إلــى وقــت بطيء، فيذنــب العبــد ذنبًا فيقــول اللّه تبارك تعالــى للملــك: لا تقضِ حاجته واحرمــه إيّاهــا، فإنّه تعرَّض لســخطي، واســتوجب الحرمان منــي» (٤٦١)

ومن تلــك الذنــوب التي لا تنفــع معها الشــفاعة هو الاســتخفاف بالصلاة، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: " إن شــفاعتنا لا تنال مســتخفا

بالصلاة.[٤٦٢]

وأما ما يتعلق بتأخيرها، فقد يكون اللّه قد وافق على تلبية طلب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في قضاء حاجة فلان، ولكن أمر بتأخيرها لمصلحة، كما أخّر اللّه رزق اليتيمين إلى أن يبلغا سن الرشد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[٤٦٣]، أو يأمر بتأخير حاجته ليدعو أكثر حتى يستحق عند اللّه المزيد من الفضل والإكرام والإنعام ولأن اللّه يحب أن يسمع صوته، فقد روي عن الصادق قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ:" إنّ العبد ليدعو فيقول عز وجل للملكين: قد استجيب له، ولكن احبسوه بحاجته، فأني أحب أن اسمع صوته "[٤٦٤]

بعد أن تطرقنا لهذه المباحث، وذكرنا أن الشريعة الإسلامية حثتنا على التوسل بالصالحين وبالأخص أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وذلك لترتب المنفعة والفائدة في الدنيا والآخرة.

يمكننا تلخيص المبحث بالسؤال الآتي:

هل توجد فائدة من توسلنا بهم، هل هم قادرون على قضاء حا جتنا ؟

لتقريب مطلب الإجابة نضرب المثال الآتي:

عندما أطلب من شخص جالس أمامي أن يقضي لي حاجتي، وجب عليّ أن اعرف ثلاثة أمور وهي:

الأمر الأول: هل أنه حي أم ميت؟، وإذا كان حيّاً فهل يراني ويسمع كلامي، لأنه قد يكون أعمى أو أصَمُّ لا يَسْمَعُ، فلا فائدة من كلامي معه ؟

الأمر الثاني: هل أن الشخص الذي أمامي له القدرة على قضاء

حاجتـــي؟، فقـــد يكـــون عاجـــزا عـــن ذلـــك، كأن يكـــون مشـــلولاً فلا يســـتطيع الحركـــة ليســـاعدني، أو أنه فقيـــر لا يســـتطيع أن يرزقني؟

الأمـــر الثالـــث: هـــل أن المصلحـــة تقتضـــي أن يقضي لـــي حاجتي -الشـــخص الذي توســـلت بـــه-؟، وهل توجـــد موانع صـــادرة مني تمنع المتوســـل به مـــن أن يقضـــي حاجتي؟

لنطبق هـــذه الأمور علـــى توســـلنا بالصالحيـــن بعد موتهـــم، لنرى هـــم توجد فائـــدة مـــن توســـلنا بهم، وهـــل هم قـــادرون علـــى قضاء حوائجنا أم لا؟

فيما يتعلـــق بالأمـــر الأول، فلقد ذكرنا فـــي المبحث الرابـــع أن الموت لا يعنـــي العـــدم، فالصالحـــون أحياء عنـــد ربهـــم يرزقـــون، وعرفنا أن حواســـهم ســـليمة وقوية، فهم يســـمعون ويرون ويتكلمون ويشـــعرون ويفرحـــون ويحزنـــون. إذن الأمـــر الأول قد تحقق.

وعندمـــا نأتي إلـــى الأمر الثانـــي، فلقـــد ذكرنا في المبحـــث الخامس أن أهـــل البيـــت عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ لديهم الولايـــة التكوينيـــة وهـــي ثابتة لهم فـــي حياتهـــم وبعد مماتهـــم، ولـــذا فهم قـــادرون على نفعنـــا وقضاء حوائجنا.

وأمـــا الأمـــر الثالث، فقـــد ذكرنا فـــي المبحث الســـادس بـــأن قضاء حاجاتنـــا متوقـــف على جملة أمـــور منهـــا: المصلحة، ومعرفـــة الإمام ورفع الموانـــع كالذنوب.

وقبـــل أن نختـــم المحاضرة وجب علينـــا أن نعرف: إن كانـــت المصلحة في عـــدم الاســـتجابة لحاجتنـــا، فهذا لا يعنـــي عدم تحصيـــل الفائدة والمنفعـــة؛ لأن اللّه تبـــارك وتعالى يعوضـــه عنه غيره ممـــا فيه صلاحه في هـــذه الدنيـــا، أو يدخّـــر له في الآخـــرة من الثـــواب والعطـــاء عوضاً عمّـــا فاتـــه في الدنيـــا، جاء فـــي الكافـــي في بـــاب من أبطـــأت عليه الإجابـــة قـــول الصـــادق عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: إنّ المؤمـــن ليدعـــو اللّه عـــزّ وجل في حاجتـــه، فيقـــول اللّه عزّ وجل أخـــروا إجابته، شـــوقاً إلى صوتـــه ودعائه،

فإذا كان يوم القيامة، قال اللّه عزّ وجل: عبدي دعوتني فأخرت إجابتك، وثوابك كذا وكذا. ودعوتني في كذا وكذا فأخرت إجابتك وثوابك كذا وكذا، قال: فيتمنّى المؤمن أنّه لم يستجب له دعوة في الدنيا مما يرى من حسن الثواب "(٤٦٥)

ولذا يجب علينا جميعًا أن لا نغفل عن التوسل بمحمد وآله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في كل حاجاتنا، فقد روي عن أبي محمد العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إن سلمان الفارسي رحمة اللّه عليه مر بقوم من اليهود فسألوه أن يجلس إليهم ويحدثهم بما سمع من محمد في يومه هذا فجلس إليهم لحرصه على إسلامهم، فقال: سمعت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: إن اللّه عز وجل يقول: يا عبادي أوليس من له إليكم حوائج كبار لا تجودون بها إلا أن يتحمل عليكم بأحب الخلق إليكم تقضونها كرامة لشفيعهم؟ ألا فاعلموا أن أكرم الخلق علي وأفضلهم لدي محمد وأخوه علي ومن بعده من الأئمة الذين هم الوسائل إلي ألا فليدعني من همته حاجة يريد نفعها أو دهمته داهية يريد كشف ضررها بمحمد وآله الأفضلين الطيبين الطاهرين أقضها له أحسن من يقضيها ممن تستشفعون إليه بأعز الخلق عليه » (٤٦٦)

والواقع يثبت لنا مئات والآف الكرامات التي حصلت للمتوسلين بالصالحين وعلى رأسهم مُحَمَّدٌ وآله الطاهرين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ونحن نريد اليوم أن نتوسل بحجتين من حجج اللّه على البرايا اللذين يصادف ولادتهما في السابعُ عشر من شهر ربيع الأوّل : الحُجّة الأول هو ولادة خير خلق اللّه على البرايا النبي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، حيث ولدته أمّه آمنة بنت وهب من بني زهرة في مكّة المكرّمة في منزل أبيه عبد اللّه بن عبد المطّلب في شعب أبي طالب في عام الفيل الموافق لسنة ٥٧١ للميلاد قبل البعثة النبوية بأربعين سنة. وكان يوماً بهيجاً عظيمَ البركة، حيث صاحبت ولادته حوادث مختلفة في السماء والأرض، وخاصّة في الشرق، فاضطرب إيوان كسرى أنوشيروان، وسقطت أربع عشرة

شـــرفة من شـــرفاته، وغير ذلـــك. (٤٦٧)

هلمّـــوا بنا نتوســـل بنبـــي الرحمـــة مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (اللّهُـــمَّ إِنِّي أَسْـــأَلُكَ وَأَتَوَجَّـــهُ إِلَيْـــكَ بِنَبِيِّكَ نَبِـــيِّ الرَّحْمَـــةِ مُحَمَّد صَلَّـــى اللّه عَلَيْه وَآلِـــه، يا أبا القاســـم يا رَسُـــولَ اللّه يا إِمـــامَ الرَّحْمَـــةِ يا سَـــيِّدَنا وَمَوْلانا إِنَّا نَتَوَجَّهُنـــا وَاسْتَشْـــفَعْنا وَتَوَسَّـــلْنا بِكَ إِلـــى اللّه، وَقَدَّمْناكَ بَيْـــنَ يَدَيْ حاجاتِنا، يـــا وَجيهًا عِنْـــدَ اللّه اِشْـــفَعْ لَنا عِنْـــدَ اللّه). (٤٦٨)

وأمـــا البرعـــمُ الثانـــي مـــن الشـــجرة النبويّـــة المباركـــة والدوحة الهاشـــميّة الطاهـــرة الذي ولد في الســـابعُ عشـــر من شـــهر ربيع الأوّل من ســـنة ثـــلاث وثمانينَ مـــن الهجـــرة النبويّة الشـــريفة فهـــو الإمام الســـادس جعفـــر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ حيـــث وُلدتـــه أمّه الســـيدة المهذبة الزكيـــة أم فـــروة بالمدينـــة المنـــوّرة، وتربّى فـــي أحضان أبيـــه الإمام الباقـــر وجَـــدّه الإمـــام الســـجّاد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وعنهما أخـــذَ عَلَيْهِ السَّلَامُ علوم الشـــريعة ومعارف الإســـلام .

هلمّوا بنا لنتوســـل بإمامنـــا وفخرنا الصـــادق عَلَيْهِ السَّلَامُ (يا أَبـــا عَبْد اللّه يـــا جَعْفَرَ بْـــنَ مُحَمَّـــد، أَيُّها الصَّـــادقُ يا بْـــنَ رَسُـــول اللّه يـــا حُجَّةَ اللّه عَلـــى خَلْقه يا سَـــيِّدَنا وَمَوْلانا، إِنَّـــا تَوَجَّهْنا وَاسْتَشْـــفَعْنا وَتَوَسَّـــلْنا بِكَ إِلـــى اللّه، وَقَدَّمْنـــاكَ بَيْـــنَ يَدَيْ حاجاتِنـــا، يا وَجيهـــاً عِنْدَ اللّه اِشْـــفَعْ لَنا عِنْدَ اللّه). (٤٦٩)

قصيدة عن ولادة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للشاعر سعيد عسيلي

هو ســـيد البطحاء صفوة هاشـــمٍ ... بـــل ثيبة الحمد التـــي لم تذمم

وأنـــارت الدنيـــا طلائـــع مولـــدٍ ... بعـــث الرجاء إلى الفقيـــر المعدم

وضعتـــه آمنـــة بجـــو آمـــنٍ ... بربيـــع أول اســـمه لـــم يكتم

لفّتـــه أمـــلاك الســـما بحريـــرة ... خضراء مثـــل ربيعه بالموســـم

طافـــت ملائكـــة الســـماء به على ... الســـبع الســـموات العلى والأتخم

سـماه رب العالميـن محمـداً ... وبشـبه وحي للفـؤاد المُلهم
إذ أن آمنـة الكريمـة قـد روت ... فـي أنها أُمـرت بأمـر محتم
وكان وحيـاً داخليـاً قـد حكى ... سمّيه هذا الاسـم كي تتنعمي
وتنكّسـت أصنام مكـة كلها ... مقلوبـة بين السـكون المعتم
وقصـو بصـرى تسـتنير بنـوره ... إذ كان أوسـع مـن منـار الأنجم
وادي السـماوة جـف فيهـا ماؤها ... بعـد الإفاضة من معينٍ مسـجم
وإذا اليهـود يقـول قائلهـا لقد ... طلعت كواكب أحمد كالميسـم
إيوان كسـرى مـاج فـي علیائه ... يبـل كاد فيـه أن يميـد يرتمي
بيـت المجـوس النار فيـه أُخمدت ... وغـدا النهار بهـم كليل مظلم
والموبـذان رأى منامـاً موحشـاً ... فـرواه بعـد تحسّـر وتألم
خيـلاً عرابـاً عنـد دجلـة قادها ... إبـلاً صعابـاً نحو عـرش الديلم
وإذا بكسـرى يسـأل النعمـان عن ... حلـم تفـرَّد بالمخيف المؤلم
فدعـا له عبـد المسـيح ملبياً ... حرصـاً علـى إرضائـه والمغنم
عبد المسـيح عدا ليسـأل خاله ... بالشـام عن رؤيـا المليك الأعظم
وحكى لـه عنهـا بقـول واضح ... وسـطيح فسَّـرها بقلب مُفعم
سطح الهدى والنور ضاء على الدجى ... واعتز بالإسـلام قلب المسـلم

هوسات في مولد الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

هالليله من الفرح صوت الموالي إعتله يا بو الفضايل إلك صحنه ألف يا هله

الجعفر الصادق فرح معقود ميلاد إله نـــتـــمنه يم القمر نوصل طف كربله

و نـــحـــي مـــيـــلادك بـــالـــحضره

يـــــاللي تريد العلـــم هالليله مياده من نسل طاهر زكي معروفه أجداده

مـــذهبنه حق يحتفل يعلنها لأعياده ويـــبعث تهاني الفرح يم سيد الســـاده

هـــالـــلـــيـــله الهلاهل يالله علوها

في أيام شهر ربيع الأول

حـــادثة فدك

(غصب فدك من فاطمة ع)

المناسبة

حادثة فدك

الشاعر المرحوم الشيخ عبد المنعم الفرطوسي

فدك قرية من النخل كانت ... في مكان عن يثرب غير نائي
قطّ ما أوجفوا عليها بخيل ... وركاب في البدء والانتهاء
فهي من جملة الصفايا لطه ... والصفايا لخاتم الأنبياء
وهي ممّا أفاء فيها عليه ... ربُّه من كرامة وعطاء
فهي ملك لخاتم الرسل محض ... خالص دون سائر الحنفاء
صالح المصطفى اليهود عليها ... ليكونوا فيها من الامناء
فاصطفاها لنفسه وحباها ... نحلة للزكيّة الزهراء
حينما أنزلت عليه وآتوا ... حقّ أدنى الأرحام والاقرباء
فدعاها وقال هذا عطاء ... لك منّي بأمان ربّ السماء
وهي كانت في عهده بيديها ... خير ملك لها وخير حباء

وأبوبكر حين خلّف فيهم ... بعد فقدان خاتم السفراء
طرد العامل الموكل فيها ... لابنة المصطفى بأقسى جفاء
وأتت عنوةً لمسجد طه ... وهي تسعى في لمّة من نساء
وأبانت ما جاء في الذكر نصّاً ... في المواريث من حكيم القضاء
وأقامت ما حجّة ــ فأتاهى ــ ... بعد دحض بالحجّة البيضاء
بحديث ما أنزل اللّه فيه ... آية قط في كتاب السماء
وسواه لم يروه فهو ممّا ... خُصّ فيه من بدعة وافتراء

وقد خاصمته أُخرى فقالت نحلة من أبي بأقوى ادّعاء
وأقامت شهودها فحباها منه صكّاً بها بغير وفاء
حينما في يديه بعد انتزاع عمرٌ شقّه بوقت اللقاء
واستمرّت في المنع حتّى تولّى عمرٌ بعده على الحفاء
فحباها لأهلها دون منع بعد دفع من أوّل الخلفاء

المحاضرة العاشرة

حَبسُ حُقوق الآخرين

روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه عدّ من الكبائر:

« حبسُ الحقوقِ من غيرِ عسرٍ » (٤٧٠)

يخبرنا الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الحديث الشريف عن أحد الذنوب الكبيرة والتي تدخل في عنوان أكل السحت، وهي حبس الحقوق من غير عذر، يعني إذا كان لأحد حق في ذمة غيره وطالبه بحقه، وكان ذلك الشخص قادراً، ومع ذلك لم يؤدِّ الحق، فإنّه بذلك يرتكب ذنباً كبيراً.

إن حبس الحق والتسامح في أداء الدين خيانة وظلم، حيث روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « مطل المسلم الموسر ظلم للمسلمين » (٤٧١)

أما إنه ظلم لشخص الدائن فذلك واضح، وأما إنه ظلم لسائر المسلمين فلعله من جهة أنه يكون سبباً في أن لا يقرض باقي المسلمين خوفاً من التساهل في أداء الدين كما فعل هذا الشخص، أو أن يتلف مالهم، وفعلاً أخذ بعضهم يتهرب من مساعدة الآخرين ويحتج بمقولة: «خيراً تفعل، شراً تلقى».

وبعبارة أخرى: إن التسامح في أداء الدين مع وجود القدرة يسد باب الخير والمعروف، فلا يجرؤ بعد ذلك أحد على أن يقرض الآخر، في حين أن القرض من أكبر الخيرات، وذلك الشخص هو السبب في المنع عنه.

قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « لعن الله قاطعي سبيل المعروف

وهو الرجل يُصنع إليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره » [٤٧٢]

وظاهره أن إعطاء القرض إحسان، والتسامح في الرد كفران، وسبب لامتناع الآخرين عن ذلك الإحسان.[٤٧٣]

مباحث الرواية الشريفة

المبحث الأول: الآثار الأخرويّة المترتبة على حبس حقوق الآخرين

إن لحبس حقوق الآخرين آثاراً أخرويّةً وخيمةً، نذكر منها ما يلي:

١.المطالبة بالحقوق: روي عن الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: « يؤخذ بيد العبد يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، ألَا من كان له قِبَل هذا حق فليأخذه، ولا شَيء أشد على أهل القيامة من أن يروا مَن يعرفهم، مخافة أن يدّعي عليه شيئاً » [٤٧٤]

ولعل إلى ذلك تشير الآية الشريفة: ﴿ يومَ يفرُّ المرءُ من أخيهِ وأمِهِ وأبيهِ وصاحِبَتِهِ وَبنيه ﴾[٤٧٥] أي يفرّون خوفاً من المطالبة بحقوقهم.

٢.يكون من المفلسين يوم القيامة: نتيجة مطالبة الآخرين لحقوقهم واسترجاعها سيكون مفلساً يوم القيامة، روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: « أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم ولا مال ولا متاع له، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إن المفلس من أمتي من أتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وحج ويأتي قد شتم هذا، وأكل مال هذا، وهتك دم هذا، وضرب هذا، فيؤتى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياه عليه ثم يطرح في النار » [٤٧٦]

قد يسأل أحدكم: بأي مقدار تكون المعاوضة؟

الجواب: اللّه ورسوله أعلم بكيفيّة هذه المعاوضة التي يطرح

فيها مقدار من الحسنات في مقابل الدين، ولا طريق لنا لمعرفة ذلك، ولا لزوم له. نعم في الروايات إشارة إلى بعض مراتب ذلك حيث قال عَلَيْهِ السَّلَامُ:« يؤخذ ستمائة صلاة بدرهم ».(٤٧٧)

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ:« يؤخذ بدانق فضة سبعمائة صلاة مقبولة فيعطاها الخصم » (٤٧٨)

وقيل: لو أن رجلًا له ثواب سبعين نبيًا وله خصم بنصف دانق، لا يدخل الجنة حتى يرضى خصمه.(٤٧٩)

٣.التوبيخ: روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فيوبّخ أربعين يوماً ثم يؤمر به إلى النار»(٤٨٠) (والموبّخون هم المؤمنون أو الانبياء).

٤.الحبس يوم القيامة: روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَن حَبَسَ حقَّ المؤمن أقامَ اللّه يومَ القيامة خمسمائةَ عام على رجليه حتى تسيل عرقه أو دمه وينادي منادٍ من عند اللّه، هذا الظالم الذي حبس عن اللّه حقه».(٤٨١)

ذكر العلامة المجلسي في معنى هذا الحديث أنه إذا كان ظلمه قليلاً جرى عرقه، وإذا كان ظلمه كثيرًا جرى دمه.(٤٨٢)

٥. يُحرم من الجنة: عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: « أيّما مؤمن حبس مؤمناً عن ماله وهو يحتاج إليه لم يذق واللّه من طعام الجنة، ولا يشرب من الرحيق المختوم » (٤٨٣)

٦.يؤمر بهم في النار: روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إذا كان يوم القيامة ناد مناد: أين الصَدود لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنّفوهم في دينهم ثم يؤمر بهم إلى جهنم... كانوا واللّه الذين يقولون بقولهم ولكنهم حبسوا حقوقهم وأذاعوا عليهم سرهم » (٤٨٤)

المبحث الثاني: موارد حبس الحقوق

الحديث هنا خاصّ بالحقوق الماليّة فقط، ونذكر منها الموارد الآتية:

أولاً: حبس الحقوق والنفقات

ونذكر منها المصداقين الآتيين:

١.حبس الزوج لحق الزوجة في النفقة:

من الحقوق الواجبة التي فرضها اللّه تعالى على الزوج تجاه زوجته هو حق النفقة، وشرعًا: النفقة على الزوجة مقدمة على النفقة على الأقارب كالأولاد والوالدين.[٤٨٥]

فالنفقة على الزوجة مما أمر به اللّه في كتابه الكريم حيث يقول: ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾[٤٨٦]، وتتضمّن النفقة المطعَم والملبَس والمسكَن وغيرها، وأمّا المطعم والملبس، فعن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: « حقّ المرأة على زوجها يسدّ جوعتها وأن يستر عورتها... »[٤٨٧]

ولا تسقط النفقة حتى في حال الطلاق الرجعي؛ لأن المطلقة الرجعية بحكم الزوجة، فيجب الإنفاق عليها في وقت العدة، وأما المطلقة البائن فلا يجب الإنفاق عليها أثناء العدة إلا إذا كانت حاملاً.

(والجدير ذكره أنّ هذه النفقات لم تعد في الشرع أحكاماً فحسب، بل من الحقوق بالمعنى الخاصّ، بمعنى أنّ ما كان حكماً فلو تركه المكلّف فلا يجب قضاؤه ومن هذا القبيل نفقات الوالدين والأولاد، وأمّا ما كان حقّاً فلو تركه وجب قضاؤه وأداء ما عليه ولا تبرأ الذّمّة بمضي عامل الزمن ومن هذا القبيل نفقات الزوجة)[٤٨٨]

وكل من يتخلف عن النفقة على زوجته فسوف تترتب عليه الآثار التي ذكرناها أعلاه بالإضافة إلى اللعن، روي عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « ملعون ملعون من ألقى كله على الناس، ملعون ملعون من ضيع من يعول » (٤٨٩)

ويقول الفقهاء ومنهم سماحة السيد السيستاني -دام ظله: لو امتنع الزوج الموسر عن بذل نفقة زوجته المستحقة لها مع مطالبتها، جاز لها أن تأخذها من ماله بدون إذنه.(٤٩٠)

وإليكم جواب السؤال الآتي وفق رأي سماحة السيد السيستاني دام ظله

سؤال: هل يجوز أخذ المال من زوجي دون علمه، والسبب لأنه لا يعطيني المال وهو ميسور الحال، لكنه مقصّر معي ولا يعطيني فأنا آخذ بدون علمه ما حكم هذا؟

الجواب: لا يجوز للزوجة أن تأخذ من أموال الزوج من دون رضاه، نعم إذا لم ينفق عليها النفقة الواجبة عليه بعد أن طلبت منه، جاز لها أن تأخذ بمقدار نفقاتها الضروريّة بما يناسب حال الزوج من حيث إمكانية الإنفاق.(٤٩١)

فإذا لم تتمكن من الأخذ ولا من رفع أمرها إلى الحاكم ليجبره على الإنفاق - ولو بحبسه - واضطرت إلى اتخاذ وسيلة لتحصيل معاشها لم يجب عليها إطاعة زوجها حال اشتغالها بتلك الوسيلة.(٤٩٢)

وإذا لم ينفق الزوج -لعجز أو غيره- بقيت في ذمته يؤديها متى ما تمكن.(٤٩٣)

وأمّا خصوص المهر: فمن أكثر الحقوق التي يستخفّ بها الرجال هي مهور أزواجهن، فإن أمسكها فلا يؤدّيها المعجّل، وإن أراد تسريحها فلا يطلّقها حتّى تتنازل عن حقّها المؤجّل وهو

أشبه بالإكراه، وهنا يجب على الزوج أن يؤدّي الصَداق إليها إلّا ما طابت نفسها عنه وتركته له حيث قال تعالى: ﴿ وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾(٤٩٤)

ومع عدم تنازلها عن حقّها أو عن شيء منه فعليه أن يؤدّيها حقّها ولا يحلّ له مهرها بنصّ القرآن حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ...وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٤٩٥)

وعن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « إنّ اللّه غافر كلّ ذنب إلّا رجل اغتصب أجيراً أجره أو مهر امرأة » (٤٩٦)

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً: « السراق ثلاثة ، مانع الزكاة ، ومستحل مهور النساء، وكذلك من استدان ولم ينوِ قضاءه »(٤٩٧)

٢.حبس النفقة عن الأولاد والوالدين:

لقد أوجبت الشريعة الإسلامية على الأب أن ينفق على أولاده، وبالعكس، أي شرعاً يثبت على الابن حق الإنفاق على أبويه، كما يثبت على الأب حق الإنفاق على ولده ذكرًا كان أو أنثى، ويشترط في الثبوت يسار المنفق وفقر المنفق عليه، بمعنى احتياجه إلى نفقة نفسه فعلا.

فإذا امتنع من وجبت عليه النفقة من الإنفاق يكون عاصياً، والمشهور عدم اعتبار الذكورة في المنفق، فوجوب نفقة الأولاد مع فقد الأب أو إعساره على الجد وإن علا -الأقرب فالأقرب- ومع فقده أو إعساره فعلى الأم، ومع فقدها أو إعسارها فعلى أبيها وأمها ولو كانت معها أم الأب فعلى الجميع.(٤٩٨)

بمعنى إذا كان الوالدان فقيرين، وكان لديهما أولادٌ (ذكورٌ وإناثٌ)، فهنا تجب النفقة على الوالدين بمشاركة جميع الأولاد -الذكور والإناث- الميسورين دون الفقراء حتى لو كانت المرأة متزوجة،

بشرط أن تدفع من مالها لا من مال زوجها، فإذا دفع بعض الأولاد الميسورين على الوالدين سقط عن بقية الأولاد.

ولذا فكل من وجب عليه الإنفاق -سواءً أكان رجلاً أو امرأة- ولم ينفق على المستحق فهو آثم ويترتب عليه ما يترتب على حابس حقوق الآخرين.

ثانياً: التسلّط على أموال الزوجة

لقد منحت الشريعة الإسلامية للمرأة حق التصرف في ممتلكاتها، وليس للزوج الحق في التدخّل في شؤونها المالية، فإذا طلب الرجل من زوجته شيئاً من مالها فرفضت أو طلب أن يدير لها أعمالها فأبت فلا يعدّ ذلك إخلالاً بحقوقه، لأنه ليس للزوج ولاية على مال زوجته، ولها حق التصرف في مالها دون إذنه أو رضاه وليس له معارضتها في ذلك.

ومع الأسف هناك أزواج استغلوا الزوجة مادياً، فسلبوا أموالها وتسلّطوا عليها، بل انعدمت الغيرة عندهم لدرجة أنه يجبرها على العمل لكي يستولي على راتبها، وهذا التصرّف محرّم ويترتب عليه عقوبات أخروية وخيمة.

وإليكم بعض الفتاوى وفق رأي سماحة السيد السيستاني (دام ظله) :

السؤال(١): هل يجوز للرجل أخذ راتب الزوجة مع العلم أن لديه راتب ؟

الجواب: لايجوز له ذلك إلا برضاها وموافقتها، و لا يجب على الزوجة أن تتكفل بنفقات بيت الزوجية.[٤٩٩]

السؤال(٢): هل يجوز للزوج التصرف في مال زوجته العاملة بدون استشارتها، مع العلم أنها تساعد الزوج في نفقة المعيشة؟

الجواب: لا يجوز.[٥٠٠]

السؤال(٣): زوجة تساعد أختها من راتبها الخاص، بالرغم من رفض زوجها ودون علمه، فما الحكم في هذه المسألة؟

الجواب: يجوز، وليس للزوج المنع عن ذلك.[٥٠١]

السؤال(٤): إذا وافق الزوج على أن تعمل زوجته، فهل يحقّ أن يشترط عليها أن تعطيه جزءاً محدّداً من المال؟ وإذا لم تعطه يطالبها بالتوقّف عن العمل؟

الجواب: إذا لم تكن الزوجة موظفة قبل الزواج ولم تشترط عليه العمل، يجوز له أن لا يوافق على عملها خارج البيت إلّا بذلك الشرط. ولكن إذا وافق من دون شرط فلا يجوز له بعد عقد التوظيف أن يشترط عليها ذلك ولا أن يمنعها من الاستمرار في العمل.[٥٠٢]

ثالثاً: حبس الخُمس عن مستحقيه

إن الخُمس فريضة على كل مكلف، قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ ﴾[٥٠٣]. حيث يُقسّم الخمس إلى نصفين: نصف للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ خاصّة ويسمّى (سهم الإمام)، حيث يدفع إلى الفقيه الأعلم، وبعض الفقهاء أجازوا للناس دفعه إلى الفقراء والمساكين من السادة أو العوام.

وأما النصف الآخر من الخمس فيدفع للأيتام الفقراء من الهاشميين والمساكين وأبناء السبيل منهم، ويسمّى (سهم السادة).

وشرعاً لا يجوز التأخير في إخراج الخمس فإنّه غصب حرام، وإذا كان أداء ما عليه من الحقّ موجباً لوقوعه في حرج شديد فعليه مراجعة أحد المأذونين من قِبَل سماحة السيد (دام ظلّه) لأخذ الإجازة بذلك.

روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « إن أشد ما يكون الناس حالًا يوم القيامة أن يقوم أهل الخمس فيتعلقون بذلك الرجل، فيقولون: ربنا إن هذا الرجل قد أكل خمسنا وتصرّف فيه ولم يدفعه إلينا، فيدفع اللّه إليهم عوضه عن حسنات ذلك الرجل وكذلك أهل الزكاة » (٥٠٤)

ونحن نستغرب ممن ينفق أمواله في وجوه الخير المستحبة بينما يغتصب أموالاً وجب دفعها للسادة والعوام من الفقراء، فهو برفضه دفع الخمس يقطع صلته بالإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « درهم يوصل ودّ الإمام أفضل من ألف ألف درهم فيما سواه من وجوه البر » (٥٠٥)

رابعاً: عدم إرجاع الدّيون

روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:« من استدان ديناً فلم ينوِ قضاءه كان بمنزلة السارق» (٥٠٦)

(الدين هو مال كلي لشخص يثبت في ذمة شخص آخر بسبب من الأسباب مثل: أن يقترض منه فيصبح المبلغ ثابتاً في ذمة المقترض ليدفعه إلى الدائن.

ومثل: الجنس الذي يبيعه سلفاً فتصير ذمته مشغولة للمشتري بذلك الجنس يدفعه إليه في موعده.

ومثل: الثمن في بيع (النسيئة) حيث يجب عليه أن يدفع ثمن الجنس إلى البائع.

ومثل: مال الإجارة فإن المستأجر مدين لصاحب الملك، وهكذا مهر الزوجة الذي يكون في ذمة الزوج، وهكذا نفقة الزوجة الدائمية، وكذلك سائر أنواع الضمان المذكورة في الكتب الفقهية وفروعها كثيرة.

إن الدين على قسمين:

حـــال: وهـــو الدين الـــذي لا مدّة لـــه، أو الذي كانـــت له مـــدّة فانتهت. ومؤجـــل: وهـــو الدين الذي لـــه مدّة.

وفـــي الديـــن المؤجـــل لا يحق للدائـــن المطالبـــة بحقه قبـــل تمام المـــدة، نعـــم إذا مات المدين صـــار دينه حـــالاً، مثال ذلـــك: إذا كان لأحد علـــى الآخـــر ديناً يجـــب دفعه إليه فـــي رأس الســـنة، ولكنه مـــات قبل حلـــول هـــذا الموعد، فهنـــا يجب دفـــع الدين مـــن ماله قبل تقســـيم الإرث، ولا يحـــق للورثـــة أن يقولـــوا بـــأن مدة الديـــن لم تنتـــه بعد، نعم إذا مـــات الدائـــن، وكان للدين مـــدة، هنا لا يســـتطيع الورثـــة أن يطالبوا بالديـــن قبل انتهـــاء المدة.

وإذا لـــم يكـــن للدين أجـــل، وطالب بـــه الدائـــن ، وجب علـــى المدين أداؤه فـــوراً وبأية وســـيلة كانت، حتـــى إذا اقتضى الأمـــر أن يبيع بعض ما لديـــه ممـــا هو زائد عـــن حاجته المعيشـــية، وحتـــى لـــو كان بأقل من القيمـــة فيجب عليـــه بيعـــه وأداء الدين، اللهـــم إلا إذا كان يراد شـــراؤه بثمـــن قليل جـــداً بحيث يعـــد بيعه بـــه عند العـــرف إتلافـــاً وتضييعاً فـــلا يبعد فـــي هذه الصـــورة أن لا يجـــب علـــى المدين بيعـــه، ويفترض كل مكلـــف يرجـــع إلى مرجعه فـــي المســـائل الفقهية.

وهكذا إذا لـــم يكن لديه مـــا يبيعه كالفـــرش واللباس وأثـــاث المنزل والـــدكان وغير ذلـــك، فيجب عليـــه أن يعمل ليـــؤدي دينـــه، أي أنه يجب عليه مـــن أجل الوفـــاء بدين الدائـــن مع مطالبتـــه به أن يعمـــل أجيراً، أو يشـــتغل بكســـب آخر يليق بحالـــه ولا يوقعـــه في حـــرج، ومن خلال هـــذا العمل يـــؤدي دينه.

وبنحو عـــام يجب علـــى المدين أن يـــؤدي دينه، ويحرم عليـــه التماهل فيه فإنّ ذلك مـــن الذنوب الكبيـــرة.(٥٠٧)

خامساً: سلب حق المرأة من الإرث

لقـــد دلت الأدلة الشـــرعية علـــى لزوم توريـــث الأنثى ســـواءً أكانت بنتـــاً أم زوجـــةً أم أختاً أم جـــدةً أم عمةً أم خالـــة، قال تعالـــى: ﴿لِلرِّجَالِ

نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً ﴾[٥٠٨]

ولكن عندما نأتي إلى واقع المسلمين نجد أن بعضهم قد حبس حق المرأة من إرثها الذي شرّعه اللّه لها، ويعود ذلك لأسباب عديدة نذكر منها ما يلي:

١.(يؤدي توريث المرأة -خاصة إذا كانت متزوجة- إلى توريث الصهر الذي يعد غريبا، وهذا سيؤدي حتمًا إلى خروج الأرض من ملكية العائلة، فيتم تحت هذا الشعار سلب المرأة حقها في الميراث.

٢. خوف المرأة من المطالبة بحقها في الميراث الذي يجلب لها -في نظرها- سخط العائلة وعدائها وخروجها عن العرف؛ فهي تربّت على أنها لا ترث بل يجب أن تتنازل لإخوانها عن حصتها في الميراث، فتنال رضا الوالدين ورضا العائلة.

٣. الإجراءات القانونية المعقدة والمملة، والتي تستغرق وقتًا كبيرًا وتكاليف باهظة.

٤. جهل الوالدين بالدِين، وخضوعهم التام للعرف، وإيثارهم الذكر على الأنثى متذرعين بأعذار واهية تقوم أصلا على التمييز والظلم، أو بحجة أن الابن هو القوي، وهو الذي يعول إخوانه من بعده، فيتنازل الأب عن كل ما يملك لأبنائه الذكور) [٥٠٩]

وكل من يسلب حق اليتيم أو المرأة من الإرث فسوف ينال غضب اللّه -تعالى، ويترتب عليه الآثار التي تم ذكرها في المبحث الأول.

ومن المتعارف أن الحابس لحق المرأة في الإرث هو أحد الورثة، ولكن هناك أشخاصاً غير متعارفين ليسوا من الأرحام ومن طبقات الإرث، بل هم رؤساء الدولة الحاكمة من الطواغيت الجبابرة، كما حصل قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة حينما اغتصب أبو بكر وعمر حق السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ في أرض فدك في شهر ربيع الأول...

فلقد (كانت «فَدك» منطقة خصبة، كثيرة الخير، قرب خيبر، وهي تبعد عن المدينة بما يقرب من (١٤٠) كيلومتراً، وكانت تعد بعد حصون خيبر النقطة المهمة التي يعتمد عليها يهود الحجاز.[٥١٠]

وقد ملأت القيادة الإسلامية -بعد أن هُزم اليهود في خيبر ووادي القرى وتيماء- الفراغ الذي حصل في شمال المدينة بالقوة العسكرية الإسلامية.

ومن أجل أن تنهي الوجود السياسي اليهودي في هذه المنطقة التي كانت بمثابة منبع خطر، وبؤرة شغب ضدّ الاسلام، بعثت القيادة الإسلامية سفيراً إلى سادة فدك وزعمائها، لمعرفة موقفهم فآثر «يوشع بن نون» الذي كان يرأس سكان تلك المنطقة، الصلح والسلام على الحرب والقتال، وتعهّد بأن يسلّم كل سنة نصف محاصيل فدك إلى رسول اللّه -صلّى اللّه عليه وآله-.[٥١١]

وأن يعيش هو وقومه من الآن تحت راية الحكومة الإسلامية، ولا يشاغب ولا يتآمر ضدّ المسلمين، على أن تتعهد الحكومة الإسلامية- في مقابل هذا المبلغ- بتوفير الأمن في المنطقة.

ومن الجدير بالذكر أن الأراضي التي يسيطر عليها المسلمون بالحرب والقتال تعود ملكيتها إلى عامة المسلمين ويكون إدارتها بيد القائد الأعلى للأمة.

أما الأراضي التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ولم يسيطر عليها المسلمون بالقتال فتكون لرسول اللّه -صلّى اللّه عليه وآله- والإمام من بعده خالصة، فهو يتصرف فيها كما يشاء ويرى، فله أن يهبها، وله أن يؤجّرها، ومن جملة ماله أن يفعل فيها هو أن يهبها لأقربائه فيسدوا بها حاجتهم، ويديروا بها معيشتهم.[٥١٢]

وعلى هذا الأساس وهب رسولُ اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فدكاً لابنته الطاهرة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، وقد أريد من إيهاب هذه الارض

لها -كما تشهد بذلك القرائن- أمران:

١- إنّ قيادة الأمة كانت بعد رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما صرّح النبي بذلك مراراً، لعلي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومثل هذه المسؤولية الثقيلة تحتاج ولا شك إلى ميزانية كبيرة، فكان لعليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يصرف من أموال فدك وعائداتها إذا صارت تحت تصرفه أكبر قدر ممكن ليحفظ به ذلك المنصب، ويستطيع القيام بمتطلباته.

وكأن جهاز الخلافة -بعد رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أدرك هذه الحقيقة، ولهذا عمد منذ الأيام الأولى لوفاة رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى انتزاع فدك من أهل بيت رسول اللّه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

٢- لقد كان من الواجب أن تعيش ذرية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ التي كان يتمثل مصداقها الكامل في وحيدة رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، وابنيها الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بعد وفاة رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بصورة تليق بمقام رسول اللّه -صلّى اللّه عليه وآله- وشرفه، ومكانته السامية.

ولهذا الهدف وهب رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فدكاً لابنته فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ)[٥١٣]

ولكن استولى أبو بكر على جميع ما تركه النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من بلغة العيش فحازه إلى بيت المال وقد سدّ بذلك كلّ نافذة اقتصادية على آل البيت وكانت حجّته في ذلك ما رواه عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « لا نورث ما تركناه صدقة ».

وهو اعتذار مهلهل حسب ما يقوله المحقّقون من علماء الشيعة وذلك لما يلي:

١ ــ إنّ الحديث لو كان صحيحا لاطّلعت عليه سيّدة نساء العالمين وما دخلت مع أبي بكر ميدان المحاجة والمخاصمة وكيف تطالبه وهي سليلة النبوّة وأوثق سيّدة في دنيا الإسلام بأمر لم

يكن مشروعا.

٢ ــ كيف يحجب النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عن بضعته حكما يرجع إلى تكليفها الشرعي وقد غذّاها بروح التقوى والإيمان وأحاطها علما بجميع الأحكام الشرعية، إنّ حجب ذلك عنها تعريض لها وللامّة لأمور غير مشروعة.

٣ ــ إنّ من الممتنع أن يحجب النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ هذا الحديث عن الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وهو حافظ سرّه وباب مدينة علمه وباب دار حكمته وأقضى أمّته؛ فإنّ من المقطوع به أنّ النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لو كان لا يورّث لعرفه الإمام عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وما كتمه النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عنه.

٤ ــ إنّ الحديث لو كان صحيحا لعرفه الهاشميّون وهم أهل النبيّ وألصق الناس به فلماذا لم يبلّغهم به.

٥ ــ إنّ الحديث لو كان صحيحا لما خفي عن أمّهات المؤمنين والحال أنهنّ أرسلن إلى عثمان بن عفان يطلبن منه ميراثهنّ من رسول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.[٥١٤]

وحينما استولى الظالمون على أرض فدك لم تسكت السيدة الزهراء عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ عن حقها المسلوب بل دافعت عنه، فلقد روي عن عائشة، قالت: «لما بلغ فاطمة إجماعُ أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، و أقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتُها مشيةَ رسول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ حتّى دخلت على أبي بكر، و هو في حشد من المهاجرين و الأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، ثمّ أنّت أنّةً أجهش لها القومُ بالبكاء وارتجّ المجلس.

ثمّ أمهلت هُنيئَةً حتّى إذا سَكَنَ نشيج القوم و هدأت فورتهم، افتتحت كلامَها بالحمد للّه –عزّوجلّ– والثّناء عليه والصلاة على رسول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، إلى أن قالت: ...أيها المسلمون! أأغلب

على أرثي؟

يا ابن أبي قحافة أفي كتاب اللّه ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئا فريّا أفعلى عمد تركتم كتاب اللّه ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[٥١٥] وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[٥١٦] وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٥١٧] وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[٥١٨]، وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[٥١٩] وزعمتم أن لا حظوة لي ولا أرث من أبي ولا رحم بيننا أفخصّكم اللّه بآية أخرج منها أبي؟ أم تقولون: أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟.[٥٢٠]

وبهذه الخطبة أقامت الحجة عليهم، وبقيت صابرة مهضومة ومظلومة واجدة وغاضبة على من ظلمها، حتى أنها عَلَيْهَا السَّلَامُ اوصت الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل وفاتها بعدة وصايا منها أنها (ألا يحضر أحد من الذين ظلموها في تشييع جثمانها،[٥٢١] وطلبت منه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن لا يجعل أبا بكر وعمر[٥٢٢] وأتباعهما أن يصلوا عليها،[٥٢٣] وبعد وفاتها يخبَر أم سلَمة زوجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأم أيمن وفضة والحسنَين وعبد اللّه بن عباس وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد وأبو ذر وحذيفة للمشاركة في تشييع الجثمان وأن لا يخبروا أحداً غيرهم.[٥٢٤] وأن يكون دفنها ليلاً،[٥٢٥] فقد أوصت أن تُدفن فيه بزمانٍ فيه الناس نيام، وأن يكون قبرها مخفياً.[٥٢٦]

فلمّا (علم الناس بوفاة الصديقة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وقد اجتمعوا إلى بيت علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم يضجون وينتظرون أن تخرج الجنازة ليصلوا عليها، إلا أن الصحابي الجليل أبا ذر خرج وقال للمجتمعين: انصرفوا فإن ابنة رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد أخر أخراجها في هذه العشية فقام الناس وانصرفوا.

فلما أن هدأت العيون ومضى شطر من الليل أخرجها علي والحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وعمار والمقداد وعقيل والزبير وأبو ذر وسلمان وبريدة ونفر من بني هاشم صلوا عليها ودفنوها في جوف الليل وقد سوى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ حواليها قبوراً مزورة بمقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها.[٥٢٧]

وفي إعفاء قبرها، ودفنها سراً، وعدم اخبار الصحابة أو الناس بموضع قبرها، مع معرفة ومعلومية كل قبور الصحابة وأمهات المؤمنين وأبناء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غاية عظمى كانت تهدف إليها السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وهي بيان مظلوميتها للأجيال على مر التأريخ ليلتفتوا إلى ما جرى على آل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد رحيله)[٥٢٨]

(مجردات)[٥٢٩]

آه على فاطم الزهره ماتت بالهظم ويلي او حسره
او يتاماها تون والعين عبره اشلون الضلع مكسور كسره
والعين ذيچه الغدت حمره حين السطرها ابيده سطره

(أبوذية)

علي شيّع الزهره او شال بالليل او عليها گام ينعه ابحزن بالليل
او شيبه من دموع العين بالليل على الضيّع گبرها او ظل خفيه
دُفنتْ في الدجى وعَفّى عليٌّ قبرَها ليته استطال دُجاها
أفمثلُ ابنةِ النبيّ يوارى شخصُها في الدجى ويُعفى ثراها

الهوامش

(١)الأحزاب/٣٩.

(٢)التبليغ الديني مفهومه مضمونه أساليبه-مركز المعارف للتأليف- ص١١-١٢.

(٣)الكافي- الشيخ الكليني - ج١- ص٢٣.

(٤)مجلة الإصلاح الحسيني/ warithanbia.com/ أعداد المجلة/ العدد الثالث والعشرون/ مقالات العدد/ دور التبليغ في بناء المجتمع الفاضل- بقلم م.دعاء فاضل الربيعي.

(٥)شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٧ - الصفحة ١٨٣.

(٦)ديوان السيد الحميري/٩٣-٩٧، الشميط: الصبح، لاختلاط بياضه بباقي ظلمة الليل، منهب: يمكن أن يكون من النهب وهو ضرب من الركض، أي تراجعوا راكضين.

(٧)وسائل الشّيعة -الحرّ العاملي - ج١٢- ص١٩٣.

(٨)أخلاقِ الإمامِ عليٍّ (عليهِ السلام) -مُحمد صادق الخِرسان-ج١-ص٢٧٠.

(٩)نهج البلاغة، الحكمة(٣٩٢).

(١٠)بحار الأنوار-العلامة المجلسي- ج ٦٨- ص ٣٠٣.

(١١) راجع منهاج الصالحين - السيد السيستاني- ج ٣- ص ١٥-مسألة ٢٩.

(١٢) فقه الحضارة -السيد السيستاني- الصفحة ١٨٥.

(١٣) الأحزاب/٣٢.

(١٤) منهاج الصالحين - السيد السيستاني- ج ٣- ص ١٥-مسألة ٢٩.

(١٥) وسائل الشيعة (الإسلامية) -الحر العاملي- ج ١٤- ص ١٤٣.

(١٦) بحار الأنوار-العلامة المجلسي- ج ٤٦- ص ٢٥٨.

(١٧) فقه الحضارة -السيد السيستاني- ص ١٨٨.

(١٨)موقع السيد السيستاني/ sistani.org/ الاستفتاءات/ الإنترنت-سؤال رقم(٢).

(١٩) الشيخ حسن الصفار/ saffar.org/ خطب الجمعة النصيّة/الانضباط في العلاقة بين الجنسين، بتصرف.

(٢٠) حوزة الهدى للدراسات الإسلامية/مسائل وردود/متفرقة/ معنى الأمن من ترتب المفسدة وضابطة حرمة المقدمة-بقلم الشيخ محمّد صنقور.

(٢١) الإسراء/٣٢.

(٢٢) الشيخ حسن الصفار/ saffar.org/ خطب الجمعة النصيّة/كيان الأسرة والاختراقات العاطفية.

(٢٣) موقع السيد السيستاني/ sistani.org / الإستفتاءات/ الحديث مع الأجنبي-سؤال رقم(٣).

(٢٤) موقع السراج/ alseraj.net/ فتاوى سماحة السيد السيستاني/أحكام علاقة الرجل بالمرأة/ أحكام التحدث مع الأجنبي-سؤال رقم(٣٩).

(٢٥) الأحزاب/٣٦.

(٢٦) بحار الأنوار- العلامة المجلسي -ج ٨١- ص ٦١.

(٢٧) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ١٠٠ - ص ٢٤٢.

(٢٨) وسائل الشيعة-الحرّ العاملي - ج١١- ص٣٦٨.

(٢٩) الكافي -الشيخ الكليني- ج ٢- الصفحة ٤٥١.

(٣٠) العنكبوت/٣٨.

(٣١) فاطر/٦.

(٣٢) مواقع التواصل الاجتماعي نظرة فقهية، أخلاقية، تربوية-الشيخ ميثم الفريجي-ص ٢٥.

(٣٣) مواقع التواصل الاجتماعي نظرة فقهية، أخلاقية، تربوية-الشيخ ميثم الفريجي-ص٢٩-٣٠.

(٣٤) وسائل الشّيعة -الحرّ العاملي - ج١٢- ص١٩٣.

(٣٥) حبوناه: أعطيناه بلا عوض.

(٣٦) الإحتجاج -الشيخ الطبرسي- ج ١ - ص ٧.

(٣٧) الأنفال/٣٥.

(٣٨) حلية الأبرار- السيد هاشم البحراني -ج١ - ص١٤٣.

(٣٩) البقرة/٢٥٧.

(٤٠) يس/٩.

(٤١) موقع الشىعة/ ar.al-shia.org/ النبي وأهل بيته/النبي محمد (ص)/ حياته وسيرته/هجرة النبي (ص) إلى المدينة ومبيت الإمام علي (ع) على فراشه-بقلم: محمد أمين نجف.

(٤٢) الفصول المختارة-الشريف المرتضى-ص٥٩.

(٤٣) ملحمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- ج٣-ص٣٧٠.

(٤٤) مجمع مصائب أهل البيت-الشيخ الهنداوي-ج٣-ص٢٥١-٢٥٢.

(٤٥) فصلت/٥٣.

(٤٦) الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزَّل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي- ج ١٥- ص ٤٤٨.

(٤٧) الأعراف/١٧٩.

(٤٨) شرح نهج البلاغة- ابن أبي الحديد- ج ١- ص٧٣.

(٤٩) إبراهيم/١٠.

(٥٠) فصلت/٥٣.

(٥١) بداية الطريق-سلسلة المعارف الإسلامية- نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

(٥٢) فصلت/٥٣.

(٥٣) بحار الأنوار- العلامة المجلسي- ج ٦٨- ص ٣١٨.

(٥٤) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ١٨٠١.

(٥٥) نهج البلاغة- خطب الإمام علي (ع) - ج ٢- ص ١١٦.

(٥٦) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٦ - ص ٤٧.

(٥٧) زاد المبلغات-مياسة شبع-ج٢-ص١٥.

(٥٨) جامعة أهل البيت ع/ abu.edu.iq / كلية العلوم الاسلامية/ المحاضرات الالكترونية/ محاضرات عامة/ العقائد/ محاضرات العقائد - المحاضرة ٧ - طريقة علماء الكلام للسيد فاضل الحسيني الميلاني.

(٥٩) الطارق /٥- ٧.

(٦٠) التفكّر-عبد الحسين دستغيب-ص٥٥.

(٦١) موقع مقال/ mqall.org /صحة/ ما هو علاج ضعف السمع بالخلايا

الجذعية؟-بقلم راندا عبد الحميد.

(٦٢) صحة الإنسان/com.mawdoo٣/ صحة عامة/ عدد الخلايا في شبكية العين بالمليون.

(٦٣) الصافات/٩٦.

(٦٤) التفكّر- عبد الحسين دستغيب- ص ١٥-١٦.

(٦٥) العقائد الإسلامية/ research.rafed.net / أسئلة وردود وجود ومعرفة اللّه سبحانه وتعالى كيف أقنع ملحد بوجود اللّه ؟ للسيّد جعفر علم الهدى، بتصرف .

(٦٦) العقائد الحقّة- السيد علي الحسيني الصدر-ص٣٧-٣٨، بتصرف.

(٦٧) جامعة أهل البيت ع/ abu.edu.iq / كلية العلوم الإسلامية/ المحاضرات الإلكترونية/ محاضرات عامة/ العقائد/ محاضرات العقائد - المحاضرة ١١ – دليل النظام للسيد فاضل الحسيني الميلاني.

(٦٨) التفكر-عبد الحسين دستغيب-ص١١٢-١١٣، بتصرف.

(٦٩) كتاب التوحيد- المفضّل بن عمر الجعفي - ص ١٨.

(٧٠) الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ -الشيخ محمد حسين المظفر- ج١- ص ١٥٤.

(٧١) هل تحب معرفة اللّه؟-السيد مُحَمَّد الحسيني الشيرازي- ص١٩.

(٧٢) هل تحب معرفة اللّه؟-السيد محمد الحسيني الشيرازي- ص١٢.

(٧٣) فصلت/ ٥٣.

(٧٤) آل عمران/ ٤٩.

(٧٥) الكهف/ ١٣.

(٧٦) الشعراء / ٢٢٧.

(٧٧) مناقب آل أبي طالب -ابن شهرآشوب- ج٣ / ص ٢١٨، العوالم، الإمام الحسين (ع) -الشيخ عبد اللّه البحراني- ص٣٨٦، بحار الأنوار- العلامة المجلسي- ج٤٥ / ص٣٠٤.

(٧٨) تاريخ الطبري: ج٤، ص٩٦.

(٧٩) تاريخ الخلفاء- السيوطي-ص ص٢٢٦.

(٨٠) مجمع مصائب أهل البيت-الشيخ الهنداوي-ج٣-ص٢٥٢-٢٥٤.

(٨١) المحسن السبط مولود أم سقط-محمد مهدي الموسوي-ص ٥٦١-٥٦٢.

(٨٢) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام-الشيخ الهنداوي-ج٤-ص٤٦.

(٨٣) المحجة البيضاء- الفيض الكاشاني-ج ٣-ص ٩٣.

(٨٤) الطفل بين الوراثة والتربية -محمد تقي فلسفي- ص٥٩-٦٠.

(٨٥) النفس البيولوجي- سامي عبد القوي- الفصل الخامس.

(٨٦) النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ- ص٢٠٦-٢٠٧.

(٨٧) يراجع مثلاً: الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ج٣، ص١٢٦. والسبحاني، جعفر، أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، ص١١٥. والأبطحي، علي، الإمام الحسين في أحاديث الفريقين من الولادة إلى ما بعد الشهادة، ج٢، ص٥. والفياض، محمد إسحاق، منهاج الصالحين، ج٣، ص٤١. والشيرازي، محمد الحسيني، الفقه البيئة، ص١٦. وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، ج١٠، ص٣٥٩.

(٨٨) الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل-ناصر مكارم الشيرازي- ج٣- ص١٢٦.

(٨٩) عصمة الأنبياء في القرآن الكريم-جعفر السبحاني-ص٣٣.

(٩٠) أعيان الشيعة-السيد محسن الأمين- ج٧- ص٤٢٩.

(٩١) المنهج الجديد في تربية الطفل- نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

(٩٢) كنز العمال- المتقي الهندي - ج١٥- ص٨٥٥.

(٩٣) لب الأثر في الجبر والقدر تقريراً لمحاضرات الإمام الخميني قدس سره-جعفر السبحاني- ص١٢٠.

(٩٤) عيون الحكم والمواعظ- علي الواسطي- ص٢٢٨.

(٩٥) الجامع الصغير-جلال الدين السيوطي-ج١- ص٥٠٣- ح٣٢٦٩.

(٩٦) الكافي-الشيخ الكليني- ج٥- ص٣٣٢.

(٩٧) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول-المجلسي- ج٢٠- ص٢٢.

(٩٨) تربية الطفل في الإسلام - مركز الرسالة - ص ٢٨.

(٩٩) مكارم الأخلاق- للطبرسي-ص ٣٠٤ .

(١٠٠) الكافي-الكليني-ج ٥-ص ٣٣٢ / باب فضل من تزوج ذات دين.

(١٠١) الكافي-الكليني-ج ٥-ص ٣٤٧ / ٢، ٣ .

(١٠٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٥ - ص ٥٣٩.

(١٠٣) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٣ - ص ٤٠٤.

(١٠٤) وسائل الشيعة -الحرّ العاملي-ج١٤ -ص٨٨.

(١٠٥) الإسلام وعلم النفس-محمود البستاني-ص٤٠-٤١- بتصرف.

(١٠٦) الكافي-الكليني-ج ٥ -ص ٤٩٨ / ١ باب الأوقات التي يكره فيها الباه.

(١٠٧) تربية الطفل في الإسلام - مركز الرسالة - ص ٣٤.

(١٠٨) مكارم الاخلاق -الشيخ الطبرسي-ص ٢٠٩.

(١٠٩)م.ن.

(١١٠) مكارم الاخلاق -الشيخ الطبرسي-ص٢١٠.

(١١١) مكارم الاخلاق -الشيخ الطبرسي-ص ٢١١.

(١١٢) الأمالي - الشيخ الصدوق -ج١ -ص٦٦٤.

(١١٣) تربية الطفل في الإسلام - مركز الرسالة - ص٣٥-٣٦.

(١١٤) وسائل الشيعة - الحرّ العاملي-ج١٤-ص٩٤.

(١١٥) الإسلام وعلم النفس-محمود البستاني-ص٤١.

(١١٦) (بحار الأنوار - المجلسي - ج ١٠٠ - ص٢٨١.

(١١٧) الإسراء/٨٥.

(١١٨) الروم/٧.

(١١٩) النجم/ ٣- ٤.

(١٢٠) البقرة/١-٣.

(١٢١) الكهف/ ٨٢.

(١٢٢) النساء/٩.

(١٢٣) تفسير الميزان-السيد الطباطبائي- ج ٤ - ص ٢٠٢.

(١٢٤) النساء/٩.

(١٢٥) عبقرية مبكرة لأطفالنا-توفيق بو خضر-ص ٦٣-٦٤.

(١٢٦) موقع يا بيروت/ yabeyrouth.com / حركة المدّ والجزر، بتصرف.

(١٢٧) عبقرية مبكرة لأطفالنا- توفيق بو خضر-ص ٦٦، بتصرف.

(١٢٨) مكارم الأخلاق-الشيخ الطبرسي- ص٢٠٩.

(١٢٩) بحار الأنوار-المجلسي-ج٥٩- ص٢٩٤.

(١٣٠) م.ن، ج٦٣، ص٤٤٤.

(١٣١) م.ن، ص١٤١.

(١٣٢) مكارم الأخلاق-الشيخ الطبرسي- ص١٧٢.

(١٣٣) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٦ - ص ٣٥٧.

(١٣٤) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٦ - ص ٢٢.

(١٣٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٣ - ص١٣٤.

(١٣٦) الإسلام وعلى النفس-محمود البستاني- ص٤٣، بتصرف.

(١٣٧) الكافي-الكليني-ج ٦ -ص ٤٠ / ١ باب الرضاع.

(١٣٨) الكافي-الكليني-ج ٦ -ص ٤٤ / ١ من يكره لبنه ومن لا يكره.

(١٣٩) الكافي-الكليني-ج ٦ -ص ٤٢ / ١ باب من يكره لبنه ومن لا يكره.

(١٤٠) موقع الشيعة/ ar.al-shia.org /الأسرة/الأبناء/ الفصل الثالث: مرحلة ما بعد الولادة.

(١٤١) عبقرية مبكرة لأطفالنا-توفيق بو خضر- ص١٠١-١٠٢.

(١٤٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٤ - ص ٣٦٧٩.

(١٤٣) بحار الأنوار- المجلسي- ج -١٠ ص ١١٢.

(١٤٤) الملل والنحل- أبو الفتح الشهرستاني - ج١-ص ٥٧.

(١٤٥) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام-الشيخ الهنداوي-ج٤-ص٣٤.

(١٤٦) من وحي الثورة الحسينية - هاشم معروف الحسني -ج١-ص٧٤-٧٥.

(١٤٧) شرح نهج البلاغة- ابن أبي الحديد- ج ٢٠- ص ٣٠٥.

(١٤٨) التقوى هو الملكة المانعة من ارتكاب المعاصي.

(١٤٩) ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ٤ - ص ٣٦٢٥.

(١٥٠) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٨ - ص ٢٤٤.

(١٥١) بحار الانوار-المجلسي-ج ٤٤-ص٣٦٧.

(١٥٢) الكافي-الكليني-ج ٨ -ص١٧٧ / ١٩٧.

(١٥٣) آل عمران/١١٠.

(١٥٤) بحار الأنوار-المجلسي- ج٧٤ -ص ٢٣٤.

(١٥٥) بحار الأنوار -المجلسي-ج ٧٨-ص٩٢.

(١٥٦) ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ٢ - ص ٨٦٤.

(١٥٧) بحار الانوار-المجلسي- ج٧٤ -ص٨٠ -ح٨٢.

(١٥٨) ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ٢ - ص ١١٨٤.

(١٥٩) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٦ - ص ١٥٤.

(١٦٠) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٧ - الصفحة ١٠٧.

(١٦١) بحار الأنوار- العلامة المجلسي- ج ١- ص١٣٦.

(١٦٢) بحار الأنوار-العلّامة المجلسي-ج ٦٨- ص ٣٦٢.

(١٦٣) نهج السعادة-الشيخ المحمودي-ج ٨- ص ٤٥.

(١٦٤) البحار-المجلسي-ج ٧٧ -ص١٥٦ / ١٣٢.

(١٦٥) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٦٥ - ص١٣١.

(١٦٦) مستدرك الوسائل -الميرزا النوري-ج١٢-ص٢٠٨.

(١٦٧) أخرجه الترمذي (٢٤١٤) بنحوه، وعبد بن حميد في (المسند) (١٥٢٢).

(١٦٨) الكافي -الشيخ الكليني - ج ٢ - ص٣٧٢.

(١٦٩) بحار الأنوار-العلّامة المجلسي-ج ٦٨-ص ٢٠٨.

(١٧٠) أخرجه الترمذي (٢٤١٤) واللفظ له، وعبد بن حميد في (المسند) (١٥٢٢).

(١٧١) الدرر السنية/dorar.net/ الموسوعة الحديثية/ شروح الأحاديث/حديث: (مَنِ التمسَ رضا اللَّهِ بسَخطِ النَّاسِ...)-بتصرف.

(١٧٢) النجاح/ annajah.net/ مهارات النجاح/التطوير الشخصي/السعي لإرضاء الآخرين: تعريفه، وأسبابه، وأضراره، وطرق التخلص منه، بتصرف.

(١٧٣) جامع السعادات - محمد مهدي النراقي - ج ٢ - ص٢٤٢.

(١٧٤) البحار-المجلسي-ج ٧٥ -ص ١٩٤ / ٥.

(١٧٥) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٧٥ -ص ٢١٣ / ٤.

(١٧٦) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٣٣٢.

(١٧٧) المداهنة أن ترى منكرا وتقدر على دفعه ولم تدفعه، حفظا لجانب مرتكبه، أو جانب غيره، أو لقلة مبالاة في الدين. المصدر: الشريف الجرجاني. كتاب التعريفات.

(١٧٨) أولئك حزب اللّه-سلسلة الدروس الثقافية-نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية-ص٥٦.

(١٧٩) تهذيب الأحكام -الشيخ الطوسي - ج ٦ - ص١٨١.

(١٨٠) ميزان الحكمة-الري شهري-ج ٤ -ص ٣٢٨١.

(١٨١) ميزان الحكمة-ريشهري - ج ٣ - ص ٢٣٣١.

(١٨٢) بحار الأنوار-العلّامة المجلسي-ج ٦٨-ص ٣٦١.

(١٨٣) جامع السعادات-محمد مهدي النراقي- ج ٢- ص ١٤٢.

(١٨٤) ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٧٣٥.

(١٨٥) غرر الحكم: ٢٧٢٠.

(١٨٦) شرح نهج البلاغة-ابن أبي الحديد-ج ٢٠-ص ٣٠٥.

(١٨٧) الاحتجاج-الشيخ الطبرسي-ج - ص ٢٨٣.

(١٨٨) بحار الأنوار - المجلسي-ج ٦٨ - ص ٤٢٢.

(١٨٩) ميزان الحكمة- محمدي الريشهري- ج ٣ -ص ٢٢٨٧.

(١٩٠) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٨ - ص ٢٧٤.

(١٩١) النجاح / annajah.net/ مهارات النجاح/ التطوير الشخصي/ أنماط الشخصية/ الشخصية الحساسة: تعريفها، وأسبابها، وسماتها، وطرق علاجها.

(١٩٢) بحار الأنوار- العلامة المجلسي- ج ٦٥- ص ٢٠٠.

(١٩٣) النجاح/ annajah.net/ مهارات النجاح/ التطوير الشخصي/ أنماط الشخصية/ الشخصية الحساسة: تعريفها، وأسبابها، وسماتها، وطرق علاجها، بتصرف.

(١٩٤) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٧٠-ص ٢ / ٤.

(١٩٥) أعلام النساء المؤمنات-محمد الحسون، أم علي مشكور-ص ٥٠١.

(١٩٦) موقع الشيرازي/ alshirazi.net / المناسبات الدينية/ الخامس من ربيع الاول ذكرى وفاة سيدتنا سكينة بنت الحسين عليها السلام، بتصرف.

(١٩٧) المجالس السنية-السيد محسن الامين- ج ٢.

(١٩٨) مجمع مصائب أهل البيت-الشيخ الهنداوي-ج٤-ص٣٢٩-٣٣٠.

(١٩٩) البقرة/٢٢٨.

(٢٠٠) آداب الاسرة في الإسلام- مركز الرسالة- ص ٥٩.

(٢٠١) البقرة/٢٢٨.

(٢٠٢) زاد المبلغات- مياسة شبع- ج٢- ص٥٧.

(٢٠٣) الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل- الشيخ ناصر مكارم الشيرازي- ج ٢- الصفحة ١٥٠.

(٢٠٤) زاد المبلغات- مياسة شبع-ج٢-ص٥٧.

(٢٠٥) السراج/alseraj.net/ فتاوى سماحة السيد السيستاني/ أحكام الزواج الدائم / أحكام النشوز والحقوق الزوجية- سؤال رقم٣٤.

(٢٠٦) موقع السيستاني/sistani.org / الإستفتاءات/ المرأة- العمل خارج البيت- سؤال رقم ١٥.

(٢٠٧) موقع منير الخباز/ almoneer.org/ الحوارات والندوات/المرأة بين عملين: خيارات الذات و الضرورة، بتصرف.

(٢٠٨) شبكة السراج/alseraj.net / فتاوى سماحة السيد السيستاني/ أحكام المرأة الخاصة/ أحكام حضور المرأة في المجتمع-سؤال رقم٣٧.

(٢٠٩) موقع السيستاني/sistani.org / الإستفتاءات/ المرأة- الحقوق الزوجية- سؤال رقم ٢١.

(٢١٠) البقرة/٢٨٦.

(٢١١) مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ١٤ - ص ٢٥١.

(٢١٢) وسائل الشيعة - الحر العاملي- ج ٢١- ص ٥٤٣.

(٢١٣) الشيخ الصفار/ saffar.org / دروس/ من فقه الأسرة/ نفقة الزوجة.

(٢١٤) منهاج الصالحين- السيد السيستاني- ج٣- كتاب النكاح،٢. القرابة- مسألة ٤٤٠.

(٢١٥) المسائل المنتخبة- السيد السيستاني - ص ٤٠٠- (مسألة ١٠٠٥).

(٢١٦) المسائل المنتخبة- السيد السيستاني- ص ٣٩٩- ٤٠٠- (مسألة ١٠٠٤).

(٢١٧) منهاج الصالحين- السيد السيستاني- ج٣- كتاب النكاح،٢ القرابة- مسألة ٤٥٦.

(٢١٨) الأحزاب/٤.

(٢١٩) الكافي-الشيخ الكليني-ج ٥ - ص ٥٠٨ .

(٢٢٠) منهاج الصالحين- السيد السيستاني-ج٣- كتاب النكاح- أحكام النشوز والشقاق- مسألة ٣٥٠.

(٢٢١) الزخرف/ ١٨.

(٢٢٢) الكافي-الشيخ الكليني-ج ٥ - ص ٥٠٧.

(٢٢٣) مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ١٤ - ص ٢٩٦.

(٢٢٤) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٠ - ص ٢٤٦.

(٢٢٥) منهاج الصالحين- السيد السيستاني -ج٣- مسألة ٣٤٠.

(٢٢٦) عوالم العلوم- البحراني الأصفهاني -ج١١- ص ٥٢٤.

(٢٢٧) بحار الأنوار- العلامة المجلسي- ج ١٠١- ص ١٣٢.

(٢٢٨) مكارم الاخلاق -الشيخ الطبرسي-ص ٢٠١.

(٢٢٩) وسائل الشيعة - الحر العاملي- ج ١٦- ص ١٥٤.

(٢٣٠) التوبة/٧١.

(٢٣١) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٧٨ -ص ٢٣٧ / ٧٠.

(٢٣٢) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج ١٤ -ص١١٦ / ١.

(٢٣٣) بحار الأنوار-المجلسي-ج ١٠٤ -ص ١٣٢ / ١.

(٢٣٤) الذنوب الكبيرة- دستغيب-ج٢- ص١٦.

(٢٣٥) جامع أحاديث الشيعة- السيد البروجردي- ج ٢٠- ص ٢٤٩.

(٢٣٦) أوضاع المرأة المسلمة ودورها الاجتماعي من منظور إسلامي- الجواهري- ص ١٣٧.

(٢٣٧) الإسراء/٧.

(٢٣٨) ميزان الحكمة- محمد الريشهري- ج ٢- ص ١١٨٤.

(٢٣٩) بحار الأنوار- المجلسي-ج ٧٤ -ص ١٦٦.

(٢٤٠) سيرة الأئمة الاثني عشر للسيد الحسني. أئمتنا للشيخ علي محمد علي الدخيل. نور الأبصار للحائري. المطالب المهمة للسيد علي الهاشمي.

(٢٤١) مجمع مصائب أهل البيت-الشيخ الهنداوي-ج٤-ص٣٣١-٣٣٣.

(٢٤٢) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٥٣-ص٣٠٣.

(٢٤٣) راجع مركز الأبحاث العقائدية/ الأسئلة العقائدية/الشيعة/ مصادر حديث (شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا...).

(٢٤٤) يونس/٥٨.

(٢٤٥) المجيب/ almojib.com/ منتدى الكفيل/أحاديث وروايات/يحزنون لحزننا.

(٢٤٦) يبدو أن الاحتفال والتعبد في هذا اليوم كان معروفاً لدى الشيعة منذ القديم، فهذا صاحب (النقض) المؤلف بحدود ٥٦٠ هـ يذكر مثل ذلك.

وفيه رواية طويلة ذكرها بعض العلماء المتأخرين في كتبهم نقلاً عن كتب المتقدمين ولم يصل إلينا سندها الواحد متصلاً كاملاً ، والكتب المنقولة منها بالأصل مفقودة لا نستطيع النظر فيها حتى نعرف مستند الرواية, وعلى ذلك فالرواية غير معتبرة ولا نقدم بها حجة, هذا. (١)مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com/الأسئلة العقائدية/عمر بن الخطاب/ الاحتفال بيوم التاسع من ربيع الأول.

(٢٤٧) النمل/٦٥.

(٢٤٨) الجن/٢٦-٢٧.

(٢٤٩) الصفار، محمّد، بصائر الدرجات، ص ٣١٧.

(٢٥٠) يسألونك عن الأئمة- الشيخ أكرم بركات-ص١١٤-١٢٠، بتصرف.

(٢٥١) موسوعة الأسئلة العقائديّة -مركز الأبحاث العقائدية - ج ٤ -ص ٣٩٨.

(٢٥٢) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com/الأسئلة العقائدية/عمر بن الخطاب/ الاحتفال بيوم التاسع من ربيع الأول.

(٢٥٣) الخصال- الشيخ الصدوق- ص٤٧٩.

(٢٥٤) بحار الأنوار-المجلسي- ج٥٣- ص٨-حديث١ .

(٢٥٥) جنّة المأوى - محمد كاشف الغطاء -ج ١ -ص ٧٤.

(٢٥٦) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٤٥ - ص ٣٤٤.

(٢٥٧)م.ن.

(٢٥٨) موقع مكتب السيد محمد صادق الحسيني الروحاني/ rohani.ir/ الإستفتاءات العقائدية/ مسائل عن الزهراء على‌ها السلام/ الروايات الواردة في عيد الزهراء.

(٢٥٩) رياض العلماء و حياض الفضلاء- جمع من المؤلفين - ج ٤ ، ص ٣٨١. وأيضاً المصباح- الكفعمي -ج ١ -ص ٥١١، بتصرف.

(٢٦٠) الأنعام/ ١٠٨.

(٢٦١) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٦ -ص ٢٥٤.

(٢٦٢) من كلام الشيخ حسن الصفار في أحدى محاضراته عن فرحة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ - بتصرف - .

(٢٦٣) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٦٨ - ص ٣١٠.

(٢٦٤) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٩٥ - ص ٣٥٤.

(٢٦٥) المقنعة-الشيخ المفيد- باب٤ -ص٣٣.

(٢٦٦) كتابات في الميزان/ kitabat.info / المقالات/ المقالات/ ما هي حقيقة فرحة الزهرة عَلَيْهَا السَّلَامُ-للكاتب خضير العواد، بتصرف.

(٢٦٧) صحيح مسلم-مسلم النيسابوري- ج٤- ص١٩٠٤. وبحار الأنوار-المجلسي- ج٤٣- باب ٣- ص٢٥. ومسند الإمام أحمد-أحمد بن حنبل- ج٨- ص٤٠١، ينقل القصّة عن عائشة.

(٢٦٨) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٣١ -ص ١٢٥.

(٢٦٩) الزلزلة/٧-٨.

(٢٧٠) شبكة المعارف الإسلامية/ almaaref.org/ محطات إسلامية/شهادة

الإمـــام العسكري(ع)/شـــهادة الإمام العســـكري ع/ تتويج الإمـــام المهدي عجل اللّه تعالـــى فرجه الشـــريف، بتصرف.

(٢٧١) مريم/٢٩-٣٠.

(٢٧٢) مريم/١٢.

(٢٧٣) الفصول المختارة- الشريف المرتضى - ص ٣١٦.

(٢٧٤) شـــبكة المعـــارف الإســـلامية/ almaaref.org / ســـيرة وتاريخ/النبي وأهل البيت/الإمام محمـــد الجواد(ع)/الإمـــام الجواد (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)/الإمـــام الجواد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والإمامـــة المبكّرة.

(٢٧٥) الصواعق المحرقة-ابن حجر الهيثمي-ص ٢٠٨.

(٢٧٦) موســـوعة الأســـئلة العقائديّـــة - مركز الأبحـــاث العقائديـــة-ج٢-ص ٣٣٥، بتصر ف .

(٢٧٧) راجـــع مركز الأبحـــاث العقائديـــة/ /الأســـئلة العقائدية/الإمـــام المهدي المنتظـــر(عجـــل اللّه فرجه)/الآيـــات القرآنية التي يســـتفاد منها وجـــود المهدي (عجـــل اللّه فرجـــه)، وأيضاً تابع من ضمـــن الأســـئلة: الدليل العقلـــي على وجوده (عجـــل اللّه فرجه).

(٢٧٨) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٢١٩.

(٢٧٩) مركز الأبحـــاث العقائدية/ aqaed.com/ الأســـئلة العقائدية/الإمام المهدي المنتظـــر(عجـــل اللّه فرجه)/هل المهـــدي (عجـــل اللّه فرجه) حجـــة علينا رغم عـــدم ظهوره-بتصرّف.

(٢٨٠) الزخرف/٨٠.

(٢٨١) بحار الأنوار: ٧ / ٣١٩ ــ ٣٢٠ ، الباب ١٦ من كتاب العدل والمعاد ، حديث ١٦.

(٢٨٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٨٩ - ص ١٨٤.

(٢٨٣) مركز الرصـــد العقائـــدي/alrasd.net /الأســـئلة والأجوبة/تراث اســـلامي/ شـــبهة عـــدم فائدة غيـــاب الإمـــام، بتصرف.

(٢٨٤) الخرائج والجرائح -قطب الدين الراوندي -ج ٢ -ص ٤٢٣.

(٢٨٥) بحار النوار-المجلسي-ج ١١- ص ٣٨٧.

(٢٨٦) الكهف/٦٥-٦٦.

(٢٨٧) القصص/١٤.

(٢٨٨) البقرة/٣٠.

(٢٨٩) كمال الدين وتمام النعمة - للشيخ الجليل الأقدم الصدوق - ج ١ - ص ٤١٢.

(٢٩٠) القصيدة للشاعر حميد حلمي البغدادي.

(٢٩١) شعر ألقته بعض النساء ممن حضرت عقد خديجة (عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ)، المصدر: بحار الأنوار ج ١٦ ص ٧٤.

(٢٩٢) الكلح: العبوس والقبح.

(٢٩٣) أم المؤمنين خديجة الطاهرة (ع) - الحاج حسين الشاكري - الصفحة ٢٨-٣١ نقلاً عن بحار الأنوار- ج ١٦ -ص ٧٥.

(٢٩٤) الروم/٢٠.

(٢٩٥) فصلت/٤٢.

(٢٩٦)طه/١٤.

(٢٩٧)الروم/٢٠.

(٢٩٨) آية الوصايا العشر- الشيخ أكرم بركات-ص١٢١-١٢٢.

(٢٩٩) سنن سعيد بن منصور- رقم الحديث : ٤٧٥.

(٣٠٠) الروم/٢٠.

(٣٠١) الروم/٢٠.

(٣٠٢) يونس/٥.

(٣٠٣) الرعد/٣.

(٣٠٤) الروم/٥٤.

(٣٠٥) الحج/٣٦.

(٣٠٦) البقرة/١٢٥.

(٣٠٧) النحل/١٢٤.

(٣٠٨) سعادة الزوجين في ثلاث كلمات-الشيخ أكرم بركات-ص٤٩-٥٠-بتصرّف.

(٣٠٩) الكهف/٨٤-٨٥.

(٣١٠) تفسير الميزان- السيد الطباطبائي-ج١٦- ص١٦٦.

(٣١١) آية الوصايا العشر-الشيخ أكرم بركات-ص١٢٢-١٢٣، بتصرف.

(٣١٢) بحار الأنوار-المجلسي- ج٧٥- ص٣٩.

(٣١٣) بحار الأنوار-المجلسي- ج٧١- ١٦٧.

(٣١٤) غرر الحكم: ٤٨٦٤.

(٣١٥) غرر الحكم/٤٨١٢.

(٣١٦) ميزان الحكمة-ريشهري- ج٢- ص١٢٧٧.

(٣١٧) الكافي-الكليني- ج٥- ص١٤٤.

(٣١٨) الكافي-الكليني-ج٥- ص٥٦٩.

(٣١٩) آية الوصايا العشر، الشيخ أكرم بركات-ص١٢٤-١٢٦- بتصرف.

(٣٢٠) غرر الحكم: ٩٠٩٤.

(٣٢١) غرر الحكم: ١١٠٣٨.

(٣٢٢) غرر الحكم: ٤٥٨٤.

(٣٢٣) تحف العقول-ابن شعبة الحراني-ص ٩١.

(٣٢٤) غرر الحكم: ٦٢٣١.

(٣٢٥) غرر الحكم: ٨٤٤.

(٣٢٦) غرر الحكم:٦١٤.

(٣٢٧) آية الوصايا العشر-الشيخ أكرم بركات- ص١٢٨-١٢٩.

(٣٢٨) الإسراء/١٠٠.

(٣٢٩) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ١٧- ص ١٥.

(٣٣٠) الانعام/٥٩.

(٣٣١) آل عمران/١٣٢.

(٣٣٢) البقرة/٢٢٨.

(٣٣٣) الأعراف/١٥٦.

(٣٣٤) ميزان الحكمة-الريشهري- ج٢- ص١١٨٤.

(٣٣٥) جامع أحاديث الشيعة-البروجردي- ج٢٠- ص٢٤٥.

(٣٣٦) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ١٠١- ص ١٦٤.

(٣٣٧) الأعراف/٥٦.

(٣٣٨) التغابن/١٤.

(٣٣٩) ميزان الحكمة-الريشهري- ج- ص٨٠٥.

(٣٤٠) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٥ - ص ٥١١.

(٣٤١) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٣ - ص ٤٤١.

(٣٤٢) البقرة/١٥٥.

(٣٤٣) الأسرة وقضايا الزواج -الدكتور علي القائمي- ص ١١٣-١١٤، بتصرف.

(٣٤٤) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٠ - ص ١٦٤.

(٣٤٥) ميزان الحكمة-ريشهري- ج٢- ص١١٨٧.

(٣٤٦) الأحزاب/٢١.

(٣٤٧) شرح أصول الكافي-المازندراني- ج٧- ص١٤٤.

(٣٤٨) شجرة طوبى -محمد مهدي الحائري- ج٢- ٢٣٣.

(٣٤٩) الآمالي-الصدوق- ص٥٢٢.

(٣٥٠) روضة الواعظين- النيسابوري - ص٢٦٩.

(٣٥١) شهر اللّه- سماحة الشيخ أكرم بركات-ص١٣٨.

(٣٥٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) - السيد جعفر مرتضى - ج ٢ - الصفحة ١٠٧-١٠٨.

(٣٥٣) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٥ - الصفحة ٣٧٤-٣٧٥.

(٣٥٤) من لا يحضره الفقيه- الشيخ الصدوق-ج٣-ص٢٥١.

(٣٥٥) المؤمنون: ٥- ٧.

(٣٥٦) شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / مقالات شرعية / الآداب والأخلاق / التحذير من ظاهرة الشذوذ الجنسي.

(٣٥٧)الإجتهاد/ ijtihadnet.net / الرئيسية / موقع الاجتهاد و جميع المواضيع / فقه الحياة (جميع المواضيع) / فقه الأسرة والأحوال الشخصية / التربية الجنسية من منظور إسلامي.. رؤية شرعية تربوية معاصرة.

(٣٥٨) مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد: (١٧٠ الجزء الخامس) أكتوبر لسنة ٢٠١٦ م، ص ٨٦- ٨٧.

(٣٥٩) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٧٧ -ص١٤٩ / ٧٥.

(٣٦٠) منهاج الصالحين- السيد السيستاني- ج١- فصل المحرّمات في الشريعة المقدّسة- مسألة رقم(٣٠).

(٣٦١) مستدرك وسائل الشيعة - المحدث النوري-ج ١٤-ص ٣٥٣.

(٣٦٢) المجيب/ almojib.com/ المثليين- بواسطة مؤسسة المصطفى للإرشاد، بتصرف.

(٣٦٣) المؤمنون ٥- ٧.

(٣٦٤) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ١٥ - ص ١٠.

(٣٦٥) الزِّنى: وَطءُ الأُنثى حرامًا من دونِ عقد، و عند فقهائنا هو إيلاج البالغ العاقل ذَكَرَهُ قدر الحشفة في فرج الأُنثى المُحَرَّمة من غير عقد و لا ملك و لا شُبهة عالمًا مختارًا.

(٣٦٦) اللِّواط في اللغة هو اللُّصوق، ولاطَ الرجلُ لِوَاطًا ولاوَطَ، أَي عَمِل عَمَل قوم لُوطٍ، أي وطء الدُّبُر، و سُمي لواطًا لالتصاق اللواطي بالملُوطِ بهِ، أو لأنه فعلَ قوم لُوطٍ. واللواط هو الاتصال الجنسي بين ذكرين، وهو نوع من أنواع الممارسات الجنسية الشاذَّه الَّتي تسبب أضرارًا بالغة الخطورة على الصعيدين الفردي و الاجتماعي.

(٣٦٧) الاستمناء: عبثُ الإنسان بأعضائه التناسلية عبثًا منتظمًا ومستمرًا بغية استجلاب الشهوة و الإستمتاع.

(٣٦٨) مركز الإشعاع الإسلامي/ المجيب / ما هو الشذوذ الجنسي من وجهة نظر الاسلام؟ بتصرف.

(٣٦٩) كنز العمال-المتقي الهندي- ج٥- ص٣١٦.

(٣٧٠) وسائل الشيعة -الحر العاملي- ج٢٠ - ص٣٤٥.

(٣٧١) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي- ج٢٠ -ص٣٤٩.

(٣٧٢) جواهر الكلام- الشيخ الجواهري - ج ٢ - ص ٣.

(٣٧٣) الكافي-الكليني-ج ٧ -ص٢٠٢.

(٣٧٤)ق/١٢.

(٣٧٥) بحار الأنوار- العلامة المجلسي- ج١٤-٢١٥.

(٣٧٦) وسائل الشيعة - الحر العاملي- ج٢٠ - ص٣٤٧.

(٣٧٧) وسائل الشيعة- الحر العاملي- ج ٢٨- ص ١٦٦.

(٣٧٨) وسائل الشيعة- الحر العاملي- ج٢٨-ص٣٧.

(٣٧٩) حوزة الهدى للدراسات الإسلامية/ alhodacenter.com/ مقالات/تعنى بشؤون المرأة/ معنى المساحقة وحكمها وعقوبتها، بقلم الشيخ محمد صنقور، بتصرف.

(٣٨٠) الكافي- الشيخ الكليني- ج٥ - ص٥٥٢.

(٣٨١) وسائل الشيعة (آل البيت)- الحر العاملي- ج٢٠/ ص٣٤٨.

(٣٨٢) الكافي- الشيخ الكليني- ج٥ - ص٥٥٢.

(٣٨٣) علل الشرائع- الشيخ الصدوق- ج ٢- ص ٥٤٧.

(٣٨٤) موقع الشيخ حسين الخشن/ مقالات/ متنوعة/ لشذوذ الجنسي، بتصرف .

(٣٨٥) الإنسان والمجتمع، دار المعارف الإسلامية الثقافية، ص، بتصرف.

(٣٨٦) زاد المبلغات-مياسة شبع-ج٢-ص٧٤.

(٣٨٧) جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي - ج ٢٠ - ص ٣٥٣.

(٣٨٨) وسائل الشيعة (الإسلامية)- الحر العاملي- ج ١- ص ٢١١.

(٣٨٩)زاد المبلغات-مياسة شبع-ج٢-ص١١٩.

(٣٩٠) البيت المُزَوَّق: البيت المُزَيَّن، والمعنى هو أن مَن يُوقِد النار في البيت المُزَيَّن بالأثاث والفرش فإن الدخان المتصاعد من النار سيفسد زينة البيت حتى لو تأتي النار على البيت.

(٣٩١) وسائل الشيعة- الحُر العاملي ج ٢٠- ص ٣١٨.

(٣٩٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٦ - ص ٢٤٧.

(٣٩٣) مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية/ islam٤u.com / المجيب / ما هي طرق معالجة الشذوذ الجنسي ؟، بقلم الشيخ الكرباسي، بتصرف .

(٣٩٤) مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي ص٤٣٩.

(٣٩٥) تاريخ الطبري - الطبري - ج ٨ - ص ١٨٨.

(٣٩٦) موقع قادتنا/ qadatona.org/الوقائع / ربيع الأول / اليوم ١٤ / هلاك يزيد

بـــن معاوية.

(٣٩٧) الأحزاب/٥٧.

(٣٩٨) القصيدة للسيد صالح القزويني، راجع كتاب:الدر النضيد ص٢١٨.

(٣٩٩) نفس المهموم-عباس القمي- ص٤٣٦/٤٤٢.

(٤٠٠) النساء/٤٦.

(٤٠١) تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان- السيد محمد الحسيني الشيرازي- ج١- ص٠٠٥.

(٤٠٢) التوسل في الشريعة الاسلامية الغراء- جعفر سبحاني- ص ٨١.

(٤٠٣) يوسف/٧٩.

(٤٠٤) يوسف/٨٩.

(٤٠٥) لمعرفة المزيد عن بحث التوسل يمكنكم مراجعة المحاضرة المعنونة ب(التوسل بفاطمة عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ) في الجزء الخامس من كتاب زاد المبلغات، ومراجعة المحاضرة المعنونة بـ(أهل البيت ع الوسيلة إلى اللّه) في الجزء الحادي عشر من كتاب زاد المبلغات.

(٤٠٦) الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل- الشيخ ناصر مكارم الشيرازي- ج ٣- ص٦٠٣.

(٤٠٧) المنافقون/٥.

(٤٠٨) البقرة/٦٨١.

(٤٠٩) ق/٦١.

(٤١٠) الأنفال/٤٢.

(٤١١) الحديد/٤.

(٤١٢) يونس/٧.

(٤١٣) النور/٦٣.

(٤١٤) التوبة/٨٠١.

(٤١٥) صحيح مسلم، حديث رقم: ٤٩٣١.

(٤١٦) كامل الزيارات، ص ٣٣٤، ح ٢، باب ٣٨.

(٤١٧) فاسألوا أهل الذكر/الفتاوى/التصنيف العام/التوسل بالأنبياء والأولياء

والصالحين وطلب المدد منهم- رقم الفتوى: ٤٣٣٤.

(٤١٨) البراهين الجلية في دفع تشكيكات الوهابية-السيد القزويني- ص٠٣. نقلا عن كتاب التوسل في رحاب أهل البيت :٦١.

(٤١٩) مجموع الفتاوى-ابن تيمية - ج ١- ص ٩٥١.

(٤٢٠) أسد الغابة-ابن الأثير-ج١- ص٤٤٢.

(٤٢١) تاريخ دمشق-ابن عساكر- ج٧- ص٧٣١.

(٤٢٢) المواهب اللدنية- ابن حجر العسقلاني- ج٤- ص ٣٨٥.

(٤٢٣) وفاء الوفا-السمهودي- ج٢-ص٢١٤.

(٤٢٤) الكافي-الكليني-ج٢ -ص٢٨٥.

(٤٢٥) الرد على الفتاوى المتطرفة- علي الكوراني-ص٣٧.

(٤٢٦) آل عمران/٩٦١-١٧١.

(٤٢٧) يس/٦٢-٧٢.

(٤٢٨) المؤمنون/ ٩٩ -٠٠١.

(٤٢٩) ق/٢٢.

(٤٣٠) الميزان في تفسير القرآن-السيد الطبأطبائي-ج٨١-ص٩٧٣.

(٤٣١) الأعراف/٨٧-٩٧.

(٤٣٢) الصافات/٩٧.

(٤٣٣) الصافات/٩٠١.

(٤٣٤) الصافات/٠٢١.

(٤٣٥) الصافات/٠٣١.

(٤٣٦) الصافات/١٨١.

(٤٣٧) صحيح البخاري-البخاري-ج ٩-ص٨٩، باب ما جاء في عذاب القبر من كتاب الجنائز.

(٤٣٨) وفاء الوفاء-السمهودي- ج ٤-ص ٦٩١- ٧٩١.

(٤٣٩) النساء/٤٦.

(٤٤٠) بحوث قرآنية في التوحيد والشرك-جعفر السبحاني- ص ٨٩.

(٤٤١) الأنبياء/٧٠١.

(٤٤٢) الهيثمي-مجمع الزوائد-ج٩. ص٤٢.

(٤٤٣) سنن أبي داود -كتاب المناسك باب زيارة القبور- حديث رقم: ١٤٠٢.

(٤٤٤) الشمس/ ٩.

(٤٤٥) شجرة طوبى-الحائري-ج ١- ص ٣٣.

(٤٤٦) الشورى/٢١.

(٤٤٧) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com / الأسئلة العقائدية/الحديث القدسي/ شرح حديث (عبدي أطعني تكن مثلي...).

(٤٤٨) النازعات/٥.

(٤٤٩) السجدة/١١.

(٤٥٠) آل عمران/ ٩٤.

(٤٥١) النحل/٨٣-٩٣.

(٤٥٢) النمل/٠٤.

(٤٥٣) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com/ /الأسئلة العقائدية/الولاية التكوينية والتشريعية/ معنى الولاية وثبوتها لأهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ). وأيضا الدليل على الولاية التكوينية.

(٤٥٤) البقرة/٥٥٢.

(٥٥٥) البقرة/٦١٢.

(٤٥٦) بحار الأنوار-العلامة المجلسي -ج ٠٩ -ص ٨٦٣.

(٤٥٧) الإقبال بالأعمال الحسنة -ابن طاووس -ج ٢-ص ٢٥٢.

(٤٥٨) الأنبياء/٨٢.

(٤٥٩) بحار الانوار-العلامة المجلسي-ج٤٤-ص٧٦٣.

(٤٦٠) مشكاة الأنوار: ٠٧، مستطرفات السرائر: ٧٤١ / ١٢ عن محمد بن عمر بن حنظلة .

(٤٦١) وسائل الشيعة، الحر العاملي-ج ٥١-ص٢٠٣- ح٣١.

(٤٦٢) من لا يحضره الفقيه -الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ٦٠٢.

(٤٦٣) الكهف/٢٨.

(٤٦٤) الكافي-الكليني-ج ٢-ص ٩٨٤. نقلا عن مركز الأبحاث العقائدية/ .aqaed

com/ /الأسئلة العقائدية/ الدعاء/ موانع استجابة الدعاء-بتصرف.

(٤٦٥) الكافي-الكليني-ج ٢-ص ٩٤.

(٤٦٦) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٢٢-ص ٩٦٣، بعد مراعاة التصحيف.

(٤٦٧) بحار الأنوار-المجلسي-ج٥١-ص٣٦٢-ح٤١.

(٤٦٨) مقطع من دعاء التوسل في كتب الأدعية والأذكار ومنها كتاب مفاتيح الجنان.

(٤٦٩) م.ن.

٤٧٠) مستدرك سفينة البحار- الشاهرودي - ج ٢ - ص٤٧١.

(٤٧١) الكافي -الشيخ الكليني - ج ٧ - ص ٢١٤.

(٤٧٢) الاختصاص -الشيخ المفيد - ص ١٤٢.

(٤٧٣) الذنوب الكبيرة - عبد الحسين دستغيب-ج٢-ص٩-٦١.

(٤٧٤) لآلئ الأخبار-ص٨٤٥.

(٤٧٥) عبس/٤٣-٦٣.

(٤٧٦) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٩٦ - ص ٦.

(٤٧٧) الذنوب الكبيرة-دستغيب-ج٢-ص٦١.

(٤٧٨)م.ن.

(٤٧٩) شرح أسماء اللّه الحسنى-زين الدين القشيري-ص٤٧٣.

(٤٨٠) الكافي-الكليني-ج ٢ -ص ٧٦٣.

(٤٨١) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٢٧ - ص ٨٧١.

(٤٨٢) مرآة العقول-العلامة المجلسي-١٦٣.

(٤٨٣) المحاسن -أحمد بن محمد بن خالد البرقي - ج ١ - ص٠٠١.

(٤٨٤) وسائل الشيعة -الشيخ حرّ العاملي - ج ٢١ - ص ٥٦٢.

(٤٨٥) المسائل المنتخبة -السيد السيستاني - ص٠٠٤-مسألة ٤٠٠١.

(٤٨٦) الطلاق/٧.

(٤٨٧) بحار الأنوار-المجلسي-ج٣٠١-ص٤٥٢.

(٤٨٨) زاد عاشوراء للمحاضر الحسيني-جمعية المعارف الإسلامية الثقافية-ص٠٦.

(٤٨٩) وسائل الشيعة -الحر العاملي - ج ١٢ - ص ٣٤٥.

(٤٩٠) المسائل المنتخبة -السيد السيستاني - ص ٩٩٣- (مسألة ٢٠٠١).

(٤٩١) موقع المجيب/ almojib.com / الفقهية(استفتاءات)/أخذ المال بدون أذن.

(٤٩٢) المسائل المنتخبة - السيد السيستاني - ص ٩٩٣.

(٤٩٣) المسائل المنتخبة - السيد السيستاني - ص ٠٠٤- مسألة ٥٠٠١.

(٤٩٤) النساء/ ٤.

(٥٩٤) البقرة /٩٢٢.

(٤٩٦) مستدرك الوسائل-الميرزا النوري-ج٢- ص٨٠٥.

(٤٩٧) الخصال -الشيخ الصدوق - ص ٣٥١.

(٤٩٨) المسائل المنتخبة - السيد السيستاني - الصفحة ٩٩٣- مسألة ٣٠٠١.

(٤٩٩) موقع المجيب/ almojib.com/ الفقهية(استفتاءات)/مؤسسة المصطفى للإرشاد/التصرف في أموال الزوجة.

(٥٠٠) موقع السراج/ alseraj.net /فتاوى سماحة السيد السيستاني/ أحكام الزواج الدائم/ أحكام النشوز والحقوق الزوجية-سؤال رقم ٥١.

(٥٠١) موقع السراج/alseraj.net/فتاوى سماحة السيد السيستاني/ أحكام الزواج الدائم/ أحكام النشوز والحقوق الزوجية-سؤال رقم ٢٣.

(٥٠٢) موقع السيد السيستاني/ sistani.org/ الإستفتاءات/ الحقوق الزوجيّة- سؤال رقم٢٤.

(٥٠٣) الأنفال/١٤.

(٥٠٤) لآلئ الأخبار-ص٩٤٥.

(٥٠٥) أصول الكافي-الكليني-ج ١- ٨٣٥.

(٥٠٦) الكافي -الشيخ الكليني - ج ٥ - ص ٩٩.

(٥٠٧) الذنوب الكبيرة-عبد الحسين دستغيب-ج٢-ص١١-٢١.

(٥٠٨) النساء/٧.

(٥٠٩) آصرة مجلة أسرية/acirah.net / العدد٦/ ميراث المرأة بين العرف والشرع- أ.د. منوبة برهاني-الجزائر-، بتصرف.

(٥١٠) راجع كتاب «مراصد الاطلاع» ج ٣ ص ٠٢٠١ ماده فدك.

(٥١١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٥٣. امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٣٣، فتوح البلدان: ص ٢٤.

(٥١٢) وقد طرحت هذه المسألة في الآية ٦و٧ من سورة الحشر وعولجت في الكتب الفقهية في باب الجهاد تحت عنوان «الفيء» «والأنفال».

(٥١٣) شبكة المعارف الإسلامية/ almaaref.org/ القصص الإسلامية/قصص سيد المرسلين/سيد المرسلين/ قصّة فَدَك.

(٥١٤) موسوعة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب- باقر شريف القرشي-ج٢- ص٦٤١-٤٥١.

(٥١٥) النمل/٦١.

(٥١٦) مريم/٥-٦.

(٥١٧) الأنفال/٥٧.

(٥١٨) النساء/١١.

(٥١٩) البقرة/٠٨١.

(٥٢٠) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ١ -ص ٢٣١.

(٥٢١) روضة الواعظين- الفتال النيشابوري - ج ١- ص ١٥١.

(٥٢٢) بحار الأنوار- المجلسي- ج ٩٢- ص ٢١١ .

(٥٢٣) روضة الواعظين- الفتال النيشابوري - ج ١- ص ١٥١.

(٥٢٤) دلائل الإمامة-الطبري- ص ٣٣١ و بحار الأنوار-المجلس- ج ٣٤- ص ٨٠٢.

(٥٢٥) روضة الواعظين- الفتال النيشابوري - ج ١- ص ١٥١. وبحار الأنوار-المجلسي- ج ١٣- ص ٩١٦.

(٥٢٦) دلائل الإمامة-الطبري- ص ٣٣١. وبحار الأنوار-المجلسي -ج٣٤-ص ٨٠٢.

(٥٢٧) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج٣٤ -ص٢٩١.

(٥٢٨) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ)/ السر في دفنها ليلاً وإخفاء قبرها (عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ).

(٥٢٩) مجمع مصائب أهل البيت-الشيخ الهنداوي-ج٤-ص١٨.

الحمد لله